ديوان الأساطير

من أعمال قاسم الشواف

- كتاب «الكلمة الصافية» صدر عن دار الأجيال في دمشق عام ١٩٦٩.
- «الاستعادة» بصدد الصراع الصهيوني - العربي، صدر عن مؤسسة التوجيه المعنوي في دمشق (١٩٦٩) باللغة الفرنسية.
- «نحن الملك» مسرحية مُعرَّبة عن كتاب «أنا الغاضب» للكاتب المغربي محمد خيرالدين. صدرت في عام ١٩[illegible] عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق.
- كتاب «مع رحلة الفنان وليد عزت، في أساطير سومر وملحمة جلجامش» محتوياً على كامل لوحات الفنان الخاصة بهذه المواضيع. صدر عن مؤسسة التوجيه المعنوي بدمشق (أيلول ١٩٧٣).

ديوان الأساطير

سومر وأكاد وآشور

الكتاب الأوّل

أعطِني، أعطِني ماءَ القلبِ

أناشيد الحب السومريّة

نقله الى العربية وَعلّق عليه : قاسم الشوّاف
قدّم له وأشرف عليه : أدونيس



دار الساقي

الطبعة الأولى ١٩٩٦

ISBN 1 85516 556 2

دار الساقي

بناية تابت، شارع أمين منيمنة (نزلة السارولا)، الحمراء، ص.ب: ١١٣/٥٣٤٢ بيروت، لبنان

هاتف: ٣٤٧٤٤٢ (٠١)، فاكس: ٦٠٢٣١٥ (٠١)

DAR AL SAQI

London Office: 26 Westbourne Grove, London W2 5RH

Tel: 0171-221 9347, Fax: 0171-229 7492

ديوان الأساطير

الكتاب الأول

استهلال

ـ ١ ـ

بدأ في السنوات العشرين الأخيرة اهتمام خاص ومفاجىء لدى العرب، كتّاباً وباحثين وقرّاء، بالأسطورة، وبالقضايا الأدبية والفكرية التي تتولّد منها، أو تتّصل بها. فقد تُرجمت ونشرت أكثر من مرّة، ملحمة جلجامش، تمثيلاً لا حصراً. وعمل باحثون كثيرون في العراق وسورية، بخاصّةٍ على دراسة الأساطير في هذين البلدين، وعلى ترجمة نماذج عديدة منها، نقلاً عن اللغة الأصلية، أو اعتماداً على ترجماتها في اللغات الأجنبية.

ـ ٢ ـ

وهذه المحاولة التي نقوم بها، قاسم الشوّاف وأنا، ليست إلاّ استمراراً لتلك الجهود الرّياديّة، الطيبة واللاّمعة، التي تقدّمتها، غير أنها محاولة تتميّز عمّا سبقها، بطموحها وشمولها. فهي تهدف إلى تقديم الأساطير في موسوعةٍ، أو ديوانٍ يحتضنها جميعاً، في عشرة أجزاء، منذ البدايات الأولى على هذه الأرض التي ننتمي إليها، في سومر بين أحضان دجلة والفرات، وفي سورية، والجزيرة العربية، وانتهاءً بمصر وضفاف نيلها الكريم.

ـ ٣ ـ

يمثّل، إذاً، هذا الاهتمام الناشىء بالأسطورة في الوسط الثقافي العربي، ما يمكن أن نسمّيه بانقلابٍ معرفيّ ونظريّ. ولا أخوض هنا في الأسباب التي أدّت إليه، بل أقتصر على القول إنّه دليل نُضجٍ وتفتّح.

وهو، إذاً، انقلاب يشير إلى تغيّر أساسي ـ إلى نشوء نظرةٍ أخرى ترى في اللغة العربية أختاً وامتداداً للغات التي سبقتها، وترى أنها، إذ أخذت محلها، فقد احتفظت بشحنتها الثقافية الحية، إبداعاً وتأصُّلاً.

يشير، أيضاً، إلى ما هو أبعد وأعمق، لم يعد العربي، الكاتب خصوصاً، يرى نفسه سابحاً في تموّج لغته، كأن التاريخ مجرّد عربةٍ لغوية تقطر وراءها الحياة سائرة في فضاء مجرّد، في انقطاع عن القرار العميق: الأرض التي انبثقت منها هذه اللغة. أصبح، على العكس، يرى عمودية هذه اللغة، وعمقها الوجودي والتاريخي.

ـ ٤ ـ

في هذا ما يمثّل بدايةً لعودة نوع خاص من الدفء إلى اللغة الشعرية العربية، وإلى الحساسية العربية. فالأسطورة دفء للعقل وللجسد ـ مما يذكّر به الشاعر الفرنسي «باتريس دولاتور دوبان» في عبارته الجميلة: «الشعب الذي لا أساطير له يموت من البرد»، خصوصاً برد التقنية الآخذة في تدمير طفولة العالم. إن في الطاقة التخيلية التي تكتنزها الأسطورة ما يتيح التأسيس لبؤرة من العلاقات الإنسانية، يتخطّى برودة التقنية، إضافة إلى ما تولّده في الإنسان من القدرة على الاستباق والاستشراف.

وإذ يرتبط الأدب، والشعر بخاصة، بالخيالي الأسطوري، يصبح أكثر قابلية لأن يكون بناءً يشمل برؤيته الجمالية المجتمع ـ علماً وفلسفة، قيماً وعلاقات. فيعيد، على طريقته وبخصوصيته، النظر في العالم، بحيث يكون نقداً شاملاً، انطلاقاً من تلك الرؤية. هكذا يتاح للرؤية العلمية أن تكون هي أيضاً شعرية، ويتاح للتقنية أن تتنفّس هواء الشعر، فتظلّ الحياة أكثر إنسانية، ويظل الوجود، تبعاً لذلك، أكثر بهاء، ودفئاً.

ـ ٥ ـ

آثرنا أن نحافظ، في الترجمة، على بناء الجملة الأصلي، بحيث تنقل إلى العربية كما هي، دون تعديل إلاّ في أشياء طفيفة تقتضيها بين وقت وآخر خصوصية الصياغة النحوية وخصوصية التعبير في اللغة العربية، وفقاً لتلك الصياغة.

نأمل أن يساعدنا الباحثون والقراء في هذا العمل، بنقدهم البصير، ومعرفتهم الدقيقة. ففي هذا ما يفيدنا في تهيئة الأجزاء التالية من هذا الديوان، فنتلافى أخطاءنا في هذا الجزء الذي بين أيديهم، ونعمل على أن تجيء الأجزاء التي ستليه أكثر ما يمكن قرباً إلى الصحة والدقة.

أدونيس

باريس في أول كانون الثاني ١٩٩٦

الغاية المرجوّة
والمصطلحات

هذه المجموعة، المؤلفة من كتبٍ عدّة، تقدم للقارىء العربي النصوص القديمة الأسطورية والبطولية والأدبية، التي عرفها العالم العربي القديم منذ بدء الحضارة، في كل من وادي الرافدين ووادي النيل وبلاد كنعان وغيرها من المراكز الحضارية التي كشفت عنها الحفريات الأثرية، وشغلت الباحثين ولا تزال تشغلهم منذ أكثر من مائة عام.

تهدف هذه المجموعة، إلى تزويد القارىء العربي، بمرجع نودّ أن يكون كاملاً عن حضارتنا القديمة، كما أبدعها كلمةً وحرفاً إنسان وطننا القديّم وتركها لنا على الألواح الفخارية أو أوراق البردي أو جدران المعابد والمدافن أو النصب التذكارية وما كان ذلك ممكناً دون ابتداع عبقرية إنساننا القديم، منذ نهاية الألف الرابع وبداية الألف الثالث لما قبل الميلاد، فن الكتابة والتسجيل، ومتابعة تطوير وتبسيط أداة التعبير هذه حتى بلوغ قمة الأبجدية.

وتسعى أيضاً هذه المجموعة لإخراج نصوصنا القديمة من قوالب الكتب الاختصاصية التي نشرها باللغات الأجنبية، الباحثون والاختصاصيون الأجانب والتي تُستَكمل يوماً بعد يوم، ويتطور تأويلها فتجدُ تفهّماً أعمق لمحتواها، بمجرد إضافة مقطعٍ كان منسياً في أحد متاحف العالم أو حل لغز كان مستعصياً. . . لذا فإن هذه المجمّوعة تحتوي آخر ما وصلت إليه قراءات النصوص التي نحن بصددها.

تشتمل الكتب الأولى من «ديوان الأساطير» نصوص بلاد الرافدين: سومر وآكاد

وآشور. وقد مكّنتنا نظرة اجمالية لمجموعة النصوص المعنية أن نكتشف الأفكار العامة التي تسمح بإدراجها في كتبٍ يحمل كل منها عنواناً عاماً يربط بين النصوص التي يحتويها ويسوّغ مقاربتها.

والكتاب الأول من هذه المجموعة يتعلق بالخصب والإخصاب، بماء الأرض والسماء و «بماء القلب» يسكبه رجُلٌ في «رحم» امرأة فيردّدان معاً أناشيد الحب، ويحتفلان معاً بخصب الطبيعة وإخصابها.

وأناشيد الحب التي تركها لنا شعراء سومر والتي يكتشفها القارىء في هذا الكتاب الأول، سوّغت لنا مقارنة مع نشيد حب آخر لا يجهله أحد وهو نشيد الأنشاد التوراتي، مما سمح لنا من خلال الدراسة التي نقدّمها في نهاية هذا الكتاب التحدّث عن نشيد أنشاد سومري.

لن نُثْقِلَ هذا الكتاب بمقدمة تاريخية عن بلاد ما بين النهرين فتفاصيلها متوافرة في كتب التاريخ القديم. ولن نقدم منذ الآن لائحة بآلهة سومر وآكاد، وسوف نسعى أن يكتشف القارىء أدوارها وأهميتها من خلال النصوص التي سردت لنا حوادث ومناسبات تدخّلها والتي تجعلنا عبر حوالى ألفي سنة نتفهم تداخلها وتطوّر مفهومها.

أما المراكز والمدن التي شهدت الأحداث التي ترويها نصوصنا، فإننا نعرّف بمواقعها وبمركزها الديني والحضاري عند ورودها في النص وفي الهوامش المخصصة لذلك. كما أننا رأينا تسهيلاً للفظ بعض الأسماء التي لم تعد مألوفة في عالمنا، سواء أكانت سومرية الأصل أم آكادية، رأينا، إثبات كتابتها بالأحرف اللاتينية، في الملاحظات الهامشية.

أما فيما يتعلق بمضمون النصوص، فقد عمدنا أن نقدم لكل نص تلخيصاً عن محتواه وعن أماكن اكتشاف اللوحات التي تحمله وتاريخ تسجيلها للمرة الأولى أو نسخها عن نص أقدم. كما علّقنا بما رأيناه ضرورياً ومناسباً لإبراز دلالاتها وتسلسل أحداثها وأضفنا تسهيلاً لمتابعة القارىء عناوين وشروحاً قصيرة تشير إلى تبدّل الموضوع والانتقال إلى أحداث جديدة.

وبالطبع فإن تلك النصوص التي حفظتها تربة وادي الرافدين لأكثر من أربعة آلاف من السنين، مكتوبةً بواسطة رموز مسمارية سومرية أو آكادية، وكشفت عنها حفريات

علماء الآثار، هذه النصوص، التي سجّلت على ألواح فخارية لم تصلنا دون تشوّهٍ في سطوحها أو دون تجزئتها وفقدان بعض أجزائها ولذلك فقد أشرنا من خلال استعراض محتوياتها إلى النقص الذي اعتراها وإلى أهمية هذا النقص.

كما حرصنا على المحافظة على روح الشكل في النص الأصلي، سواء في لغته المباشرة الغالبة أو في لغته الشعرية والمجازية كما وردت في مناسبات أخرى. وحافظنا طبعاً على التكرار وتوازي الجمل الذي عرفته نصوص عالمنا القديم، فالتكرار يوحي بالاستمرار واستعمل التوازي لاستكمال معنى الجملة وفتحه على مفهوم أوسع، يكتشفه القارىء بنفسه من خلال النصوص.

بقي علينا أن نشير إلى الاصطلاحات وإلى الإشارات التي يستعملها عادة علماء دراسات النصوص القديمة بقصد الأمانة واحترام النص الأصلي كما هو وتمكين التعرّف على حالة حفظه ونلخص ذلك في الفقرة التالية.

المصطلحات والإشارات
التي تسهل متابعة النصوص

* أرقام الأسطر، هي الأرقام العربية (1, 5, 10, 15 ...) التي تمكن من الرجوع إلى النص في كل مقارنةٍ أو استشهاد أو اقتباس.

* أشرنا أيضاً كلما لزم الأمر إلى عدد اللوحات التي يتألّف منها النص كما نوّهنا بالانتقال من محتوى وجه اللوحة إلى محتوى ظهرها والانتقال من عمود إلى عمود آخر حين كانت النصوص موزّعة على عدة أعمدة في اللوحة الواحدة.

* . . . هذه الإشارة بين تعبيرين تدلّ على وجود كلمة أو مقطع تعذّرت قراءتهما.

* [. . .] العقفات قصيرة كانت أم طويلة، تعني فقدان كلمات أو مقاطع على اللوحة الأصلية.

* [مع نص تحتوي عليه] تشير إلى أنه أمكن استكمال النقص بسبب التكرار في اللوحة نفسها أو عن لوحة أخرى سهلت هذه الإضافة.

* نظراً لاختلاف أطوال الأسطر، فإن تتمة السطر الذي يتعدّى السطر الواحد المقرّر للنص، هذه التتمة أُوردت وكأنها عجز مكمّل لصدرِ بيت شعر عربي.

* (   ) ما وضع بين قوسين يشير إلى إضافة أو تكرار يساعد على تفهّم النص بلغته العربية.

* <   > تدل هذه الإشارة على أن الناسخ نسي تعبيراً أو مقطعاً معروفاً لدينا وأمكننا إضافته.

* {   } ما يوضع ضمن هاتين الإشارتين يدلّ على أن الناسخ كرّر سهواً ودون مبرّر كلمة أو مقطعاً يُعْزَلُ على هذا الأساس.

* (؟) تشير إلى قراءةٍ غير أكيدة للنص وهي تلي الاقتراح المحتمل للقراءة المعروضة.

* ! علامة التعجّب تشير إلى اللجوء إلى معنى محدّد للمقطع أو الكلمة التي سبقت هذه العلامة أو إلى تصحيحٍ للنص.

* وأخيراً فإن جميع النصوص التي يحتويها هذا الكتاب، تحمل مع عناوينها، التي هي اصطلاحية ولا أساس لها في النصوص الأصلية، تحمل إلى جانب هذه العناوين، رقماً بين قوسين (رقم) يسهّل الرجوع إليها والاستشهاد بمحتواها مثال النص ٣٥ السطر ٦ يشار إليه: (٣٥: ٦) أو الأسطر ٦ إلى ١٠ في النص نفسه يشار إليها: (٣٥: ٦ ـ ١٠).

توضيح وشكر

التوضيح

لا بدّ من التوضيح في بداية هذا الكتاب، بأن النصوص التي اشتمل عليها، وكذلك النصوص التي سوف ترد في الكتب التالية، تنتمي إلى ما يمكننا تسميته بالفكر الميتي[1] العائد لمنطقتنا. وهي ككل فكر ميتي تمكّن من قراءتين أو ترجمتين لمحتواه.

القراءة الأولى تتعرّض لظاهره، أما القراءة الثانية فإنها تكشف الرمز أو الرموز التي تتوارى في خلفية القراءة الأولى وبذلك تفتّق المعنى.

كل فكر ميتي، من شأنه التعاطي مع الرمز، وسرد قصة أعمق، عبّر عنها وجدان ولا شعور الإنسان الذي ابتدعها. ولغة الأساطير الرمزية، في شموليتها وفي مدلولاتها النفسية، يمكن بواسطتها تحليل الحوافز الداخلية العميقة للإنسان الذي ابتدعها. وهي لم تكتفِ من قبله بعرض ردود فعله أمام ما يحيط به من عناصر كونية ولكنها في الوقت نفسه أقامت عبر هذا الإنسان نظاماً فكرياً وتبنت قيماً مكّنته من رسم الطريق المؤدي لمعنى حياته كما رسمه لنفسه، إذ حين تساءل الإنسان عن معنى حياته، رسم لنفسه من ضمن إجابته اتجاهاً لها، اشتمل على القيم ـ الموجّهة له، يتبعها ويفرضها على نفسه لكي تحافظ حياته على المعنى الذي قصده لها. أو كما اعتادت أن تقول النصوص، على المعنى الذي أرادته له الآلهة.

---

(١) الفكر الميتي أو الميثولوجي أو الأسطوري. ويمكن قبول هذا التعبير الأخير إذا ما أُبعد عن معنى الخرافة الكاذبة.

وهكذا أقام الإنسان لنفسه، مفهوم الإلّه القاضي الذي يحاكم، يجزي من يرضيه ويعاقب من يخالفه. وهكذا أيضاً اشتملت رمزية الأساطير على كل ما اهتزّ في دخائل نفس مبتدعها من المعاني الحياتية الهامة، فالتسامي والسقوط، واستحقاق الثواب ورهبة العقاب والقلق أمام المرض وأمام الموت، والبعث والخلود والسعي وراء الحياة الأبدية... كل ذلك مع معانٍ أخرى لم نعددها، يمكن تتبعها من خلال أساطيرنا.

وقد اعتبر الإنسان القديم، أن ما يحيط به مملوء بالمقاصد والإشارات الموجّهة إليه وطبّق ذلك على ما هو في الأعلى، السماء وما هو في الأسفل، الأرض وعلى كامل الطبيعة، التي زوّدها بنوايا وجعلها تمنحه مساعدتها أو تعاديه وفقاً لتصرفاته واستحقاقه.

وفرّق الإنسان القديم منذ بداية تأمّله في ما يحيط به بين ما هو فوق وما هو تحت، بين الأعلى والأسفل، السماء والأرض وشعر بحدوده أمام كونه اللامحدود. فالآلهة هم في الأعالي، وهم في الأعالي قبل أن تكون السماء وقبل أن تكون الأرض، هكذا تبدأ قصيدة التكوين والخلق البابلية.

الملكية، نزلت من السماء، ومن السماء أيضاً نزل الإلّه المَحَضِّرُ وأنزل معه الفأس المباركة لعمل الأرض كما أنزل الحبوب غذاء الإنسان والآلهة. وتقول نصوصنا في مناسبات أخرى بأنه خرج من الماء المحيي ليعلم البشر أسس الحضارة.

الأرض، هي إذاً الأم ـ المغذّية، يُخصِبُها الإلّه الذي أراد الخير للبشر. وحين تسكب السماء منيها في حضن الأرض المتعطشة للإخصاب[١]، فإنها تحقق بذلك اتحاد العلوي (الروحي) مع الأرضي (المادي)، وهذا الاتحاد هو أساس الحياة ومبررها. والجنس الذي امتلأ بقصصه هذا الكتاب الأول، هو من ضمن هذه الرؤية.

وكذلك، حين خلق الإنسان من صلصال الأرض، ممزوجاً بدم إلّه، ففي ذلك رمز لقبس الألوهية المقدسة في روح الإنسان.

---

(١) وبشكل يماثل النص السومري تروي الأسطورة الإغريقية أن الإلّه أورانوس (Ouranos) السماء، يخصب (Gaea) جايا الأرض بالمطر الذي هو منيّه.

لغة الرمز في الأساطير تبقى محجّبة، وللأساطير لغة ومفردات، لها مدلولاتها المشتركة بين كافة ما ابتدعته الشعوب المختلفة من أساطير، دون أن تتعارف أو تتعاصر. وفي قاموس هذه المفردات يمكننا تقديم بعض الأمثلة:

- فصراع الإلّه أو البطل ضد الشياطين والوحوش يرمز في الإنسان إلى صراعه هو، بين حوافزه الصائبة والحوافز الخاطئة، أي بين الخيّرة منها والشريرة وهي نابعة من المحاكمة الصميميّة في الإنسان نفسه.

- الجبل في قممه ومهاويه يرمز إلى إمكانية التسامي وفي الوقت نفسه إلى إمكانية السقوط. آلهة سومر يقيمون على «جبل الكون المقدس» وآلهة اليونان على «جبل الأولمپ».

- يرمز العالم السفلي إلى الرغبات المكبوتة المحمّلة بالشعور بالذنب وبعذاب الضمير المتجاوز للحدود. وملكة العالم السفلي في نصوصنا هي «ايريشكيچال»، فهي ملكة عالم اللاوعي وخفايا الشعور وعالم كبت الرغبات غير المباحة. وأتباع ايريشكيچال، وهم شياطينها[1] يلاحقون دوموزي الراعي من ضمن شعوره بالذنب وهربه ومحاولته الاختباء.

- ترمز السماء إلى الأنا الممانع أو الأنا المحاكم والأرض في ثمارها المتعددة وثرواتها تصبح رمزاً لتعدد الرغبات المادية وهي في أساس الصراعات والأزمات.

- العاصفة ترمز إلى طفحان العواطف والبرق إلى الفكر المنير. فبالبرق يُعَلِّم الإلّه الأوغاريتي بعل الأرض.

- التألّق هو من صفات الآلهة، والشمس في وضوحها المتألق، ترمز إلى النظرة الثاقبة وإلى الحق والعدالة (الإلّه شمش).

- وعلى جناح نسر صعد «إيتانا» إلى السماء، فالجناح رمز للتسامي. وقد ينحرف صاحب الجناح مثل الطائر «أنزو» الذي أساء استعمال جناحيه حين سرق لوحة الأقدار بقصد الاستيلاء على السلطة واستوجب الصراع معه قطع جناحيه للتغلّب عليه.

---

(١) وهكذا تفعل تابعات هادس (Hadés) إلّه العالم السفلي الإغريقي.

يمكن متابعة تقديم أمثلة أخرى عديدة على رموز لغة الأساطير. . . ولكننا نوضح هنا أننا في تعليقاتنا عبر هذا الكتاب على النصوص المعروضة، لم نلجأ إلا في بعض الأحيان، إلى إبراز المعاني الرمزية لمحتوى الأساطير، واكتفينا كلّما اقتضى الأمر بتعليقات اجتماعية أو لغوية أو تاريخية محلية كان لا بد منها. ولا بد أيضاً من دراسات تحليلية مستقلة، تخرج عن نطاق هذه المجموعة، لبحث وعرض ما أسميناه بالقراءة الأخرى لهذه النصوص، وهو موضوع آخر. وقد رأينا ضرورة التنويه بذلك.

الشكر

وبهذه المناسبة، لا بد لي من توجيه شكري وتقديري، إلى أدونيس، صديقي منذ القدم، وهو صاحب الفكرة في إصدار هذه المجموعة التي قدّم لها وأشرف عليها، وشارك في إبداء الرأي حول توزيعها، على مجموعات الكتب التي اشتملت عليها.

ولأدونيس أيضاً، شكر آخر، لأنه وضع تحت تصرّفي كامل مكتبته، مما شجّعني وسهّل عليّ مهمتي. راجياً أن يجد القارىء العربي ضالته في هذه المجموعة الرحبة لنصوص عالمنا القديم التي أردنا لها أن تكون كاملة وشاملة.

قاسم الشوّاف

الفصـــل الأول
ماء الأرض وماء القلب

(١) ـ الآلهة وماء الخصب
(٢) ـ الماشية والحبوب

منيّ السماء

الأرض الفسيحة المسطّحة لبست تألّقها،
جمّلت ببهجةِ جسدها.
الأرض العريضة، بالمعدن الثمين واللاّزورد
زيّنت جسدها
تبرّجت باليَنعِ والعقيق الأَحمر البرّاق.
زيّنت السماءَ رأسها بأوراقِ الشجر
وظهرت، كأنها الأميرة.
الأرض المقدّسة العذراء تبرّجت
من أجل السماء المقدّسة.
السماء، الإلّه الرائع الجمالِ، غرس
في الأرض العريضة ركبتيه
وسكب في رحمها، بذرة الأبطال
الأشجار والمقاصب.
الأرض الطرية، البقرة الخصبة تشبّعت
بمنيّ السماء الغنيّ،
وبالفرحِ ولدت الأرض نباتات الحياة.
وبغزارةٍ حملت الأرض هذا التاج الرائع
وجعلت الخمر والعسل يسيلان.

كلمة إنليل:

إنْ هيَ مسّت السماء: فهذا هو الفيض إذْ تنسكب من الأعالي الأمطار الغزيرة. ولئن مسّتِ الأرض: فهذا هو الرخاء، فمن الأسفل تطفح الثروات. كلمتكَ هي النباتات! كلمتك هي الحَبّ كلمتك هي الفيض: حياة البلاد جَمْعاء!

(عن النص رقم (٦) المنشور في هذا الفصل)

(١) ـ الآلهة وماء الخصب

(١ ـ ١) ـ الماء حياة البلاد

كان الماء في عالمنا القديم، مِنحةَ الآلهة، لإنسانٍ مبدعٍ وحاد الذكاء.

ولئن اعتمدت حضارة وادي النيل على الطمي الذي كان يحمله نيل مصر إلى شريطه الخصيب، فإن وادي الرافدين، جعل إنسان سومر وآكاد يعتمد على شقّ الأقنية وإقامة مشروعات الري، فيتمكن بذلك من تكديس الحبوب وملء الأهراءات وتعميم الوفرة والكثرة في البلاد.

وإذا ما كان الإلّه أنكي[١] سيّد مهارة الصنع والخلق، هو الذي، في أزمنة البدء، ملأ بمنيّه مجريَيْ دجلة والفرات[٢] فقد كان إنسان سومر يعتبرُ أن ماء السماء الذي يلقح ويخصب الأرض هو أيضاً منيّ إله السماء ولكنه كان يعرف أيضاً أن للفيض والطفح في دجلة والفرات علاقة بذوبان الثلوج على الجبال التي تغذيهما.

وفي المجال الحضاري، لا ننسى طبعاً مياه الخابور والبليخ والعاصي والليطاني والأردن، وجميعها مياه باركت هذه الأرض فأخصبتها.

وكما هو إخصاب الأرحام كذلك تصوّر إنسان سومر إخصاب الأرض كي تنبت الزروع.

---

(١) (Enki) إله المياه السفلية العذبة حاملة الأرض وهو إلّه الذكاء والخلق ومهارة الصنع.
(٢) انظر النص رقم (٥).

وفي بلاد دلمون[١] نرى الإلّه أنكي يملأ من جديد بمنيّه المجاري ويغمر منابت القصب. كما نشهد إله الشمس أوتو[٢] يُخرج المياه الحلوة من الأرض. وفي الهور يضاجع أنكي قرينته «السيدة الطاهرة»، فتلد إلهة الخضار، وبمضاجعة هذه الأخيرة ومن سوف تلدها، تأتي إلى الوجود تباعاً الإلهة سيدة النباتات ذات الألياف، ثم إلّهة النسيج[٣]. . .

وها هو الإلّه إنليل[٤] يقع في غرام الفتاة اليافعة ننليل[٥] ذات البهاء والظرف، التي لم يلجها أحد بعد ويتمكن من مجامعتها فتلد له، كما ورد في (النص رقم ٢) عدة أبناء، من بينهم الإلّه القمر.

وفي قصيدة تالية (النص رقم ٣) يقع إنليل في غرام أجمل فتيات المدينة، التي ستصبح «قرينته» ننليل فيما بعد، إلا أنه أمام حشمتها وعفّتها يضطر إنليل إلى طلب الزواج منها إلى أمها، وهذا ما يرويه لنا النص بأسلوب شيّق لنشهد بشكل حيّ وممتع تقاليد الخطوبة والأعراس في ذلك الزمن السحيق.

وفي نص رابع، يستجيب أنكي لطلب أمه بتصوّر وخلق البشر لإراحة الآلهة من أعبائها المعيشية، فيعدّ لذلك قالباً من الصلصال. وتتدخل الإلّهات المساعدات للإشراف على الولادة أو إعارة الرحم، ثم نشهد نقاشاً ومنافسة بين أنكي وقرينته نينماخ[٦] حول عملية الخلق ونتائجها.

أما النص الخامس، فهو يعود لتمجيد أنكي في دوره المخصب لكل شيء، الأرض المبذورة والحقول والقطيع. ومن ضمن هذا التمجيد نراه كما أشرنا إلى ذلك آنفاً يملأ دجلة والفرات بماء قضيبه المنتصب وكأنه الثور المتلهّف.

ويعود النص السادس للإشادة بدور الإلّه إنليل، «الجبل ـ الكبير» وبكلمته التي تكفي لسكب الأمطار من أعالي السماء ونشر الرخاء على الأرض.

---

(١) (Dilmun) جزر البحرين والشاطىء المجاور لها من شبه الجزيرة العربية.
(٢) (Utu) إله الشمس السومري.
(٣) انظر النص رقم (١).
(٤) (Enlil) سيد مجمع الآلهة.. ومعنى اسمه: «سيد ـ الهواء».
(٥) (Ninlil) قرينة إنليل.
(٦) (Nin-Maḫ) السيدة الفائقة السمو.

(١ ـ ٢) ـ الماء حياة البلاد
النصوص (١ ـ ٦)

(١) ـ إحياء بلاد دلمون

(٢) ـ إنليل ونينليل

(٣) ـ زواج إنليل من سود

(٤) ـ أنكي ونينماخ

(٥) ـ أنكي وبلاد سومر

(٦) ـ كلمة إنليل، حياة البلاد

(١) ـ إحياء بلاد دلمون
أنكي ونينخورساج

دلمون[١] هي التسمية السومرية للمنطقة الواقعة في الشمال الشرقي من شبه الجزيرة العربية والتي تشمل جزر البحرين وفيلكا والشاطىء المجاور لهما.

يتألّف النص الذي نحن بصدده من ٢٨٤ سطراً وصلنا معظمها من حفريات نقر[٢] ووصلنا جزء آخر من أور[٣] وهناك جزء ثالث مجهول المصدر. مسرح الأحداث هو منطقة دلمون.

وقبل أن تصبح هذه المنطقة أهراءً لسومر وذلك بفضل إحيائها من قبل الإلّه أنكي[٤] وقرينته نينخورساج[٥] بمنحها ماءها العذب وتزويدها بالنباتات، بعد خلقها وتحديد دورها. . .

يغلب على النص شكل «ميتوس أصول» وذلك على الرغم من وجود بعض المقاطع التي عُدّت دلمون بسببها كجنة أرضية، وهذا الرأي كان قد عمّمه باحث السومريات المعروف كرامر منذ عام ١٩٥٧. إلا أن نشر النص الكامل اليوم، قد يدل على تأويل آخر، هو استصلاح وإخصاب منطقة دلمون، من قبل الإلّه أنكي ناشر الحضارة والمعرفة.

يعود النص إلى بداية الألف الثاني قبل الميلاد، ويحتمل أن يشير إلى حوادث واقعية وعلاقات اقتصادية بين سومر ودلمون تعود إلى الألف الثالث قبل الميلاد.

---

(١) (Dilmun).

(٢) (Nippur) العاصمة الدينية القديمة لبلاد سومر، تقع على بعد حوالي ٨٠ كم إلى الجنوب الشرقي من بابل.

(٣) (Ur) المدينة القديمة التي ارتبط اسمها بإبراهيم الخليل وهي مدينة القبور الملكية المعروفة وهي مدينة الإلّه القمر السومري.

(٤) (Enki) إله المياه السفلية العذبة وهو إلّه الذكاء ومهارة الصنع والخلق.

(٥) (Ninhursag) بمعنى سيدة الجبل وهي قرينة أنكي وإلّهة ـ أم سومرية.

دلمون البلد الطاهر، كما هي سومر، بفضل أنكي

مقدّسةٌ هي المدينة [. . .] ولكن دلمون أيضاً (بلدٌ) مقدس!
مقدسة هي سومر [. . .] لكن دلمون أيضاً (بلد) مقدس!
دلمون بلد مقدس! دلمون (بلد) طاهر
دلمون بلد مقدس! دلمون بلد منوّر!
حين أقام فيه مع فريدته
حين استقر فيه أنكي مع قرينته
أصبحت المنطقة (برمتها) طاهرة ومنوّرة
عندما استقرّ في دلمون مع فريدته،
هذه المنطقة، عندما استقر فيها أنكي مع نينسيكيلا[١]
أصبحت هذه المنطقة منوّرة وطاهرة!

ما كانت عليه منطقة دلمون قبلاً:

في دلمون قبل ذلك، لم يكن أي غراب ينعق
ولم يكن أي حجل يغرّد
لم يكن هناك أي أسد يفترس
لم يكن هناك أي ذئبٍ لينقضّ على الحملان!
لم يكن الكلب البرّي، يختطف الجديان معروفاً!
لم يكن معروفاً الخنزير الوحشي ملتهم الحاصلات!
لم يكن هناك أي طير من السماء، يأتي لنقر دينارٍ
تركته أرملة على سطح بيتها!
لم تكن هناك قط حمامة محنيّة الرأس!
لم يكن هناك من يشكو مرض عينه ليقول:
«عيني تؤلمني!»

---

(١) (Ninsikila) لقب نينخورساج ومعناه السيدة الطاهرة وقد يستعمل كصفة لآلهة أخرى مثال ما ورد هنا في السطر ٢٥٦ من هذا النص.

ولا أحد يشكو من ألم الرأس ليعلن:
«رأسي يوجعني!»
لم تكن هناك أية عجوز تعترف بعجزها،
لم يكن هناك أي رجل شيخ ليعلن: «أنا رجل شيخ!»
لم تكن هناك أية فتاة تستحم!
لم تكن هناك أية مياه صافية لتصبّ في المدينة!
لم يكن أحد يجتاز النهر صارخاً «هيّا! إرفعْ!»
ولا أي منادٍ ليقوم بدورته
لم يكن هناك أي منشدٍ جوّال ليسمع مرثاته
أو ليطلق بعض الآهات على مدخل المدينة!

الأسطر (٢٩ ـ ٥٢) غير كاملة وهي تشير على ما يظهر، إلى أن نينسيكيلا «السيدة الطاهرة»، تشكو لأنكي أن المنطقة ينقصها الماء العذب. ولم تكن فيها أية أرضٍ صالحة للزراعة. وبنتيجة ذلك يطلب أنكي إلى أوتو[١] أن يُخرجَ لتلك الأرض ماءً.

من مقره السماويّ
أخرج أوتو، المياه الحلوة من الأرض
من فوّهاتٍ تنبعث منها.
جعلها تصل إلى صهاريج (؟) متسعة
فاستهلكت المدينة منها كميات وافرة
بلد دلمون استهلكتها بكميات وافرة!
فتحولت آبار مائه الحامزة إلى آبار مياه حلوة
وجلبت حقول حصاده، كميات كبيرة من الحبوب!
أصبحت بعد ذلك عاصمة (دلمون) الأهراء،
الأهراء التي تموّن بالحبوب بلاد سومر كلّها!
نعم! هذا ما حدث آنذاك بفضل أوتو

(١) (Utu) إله الشمس السومري.

أنكي يخلق القصب والأعشاب والنباتات الأخرى

وحده (أنكي) الفطن وأمام نينتو[١] «أم ـ البلاد»،
أنكي الحاذق، أمام نينتو «أم ـ البلاد»
ملأ بماء قضيبه المجاري جمعاء،
وبماء منيّه الغزير، أغرق منابت القصب،
ممزّقاً بقضيبه الكساء الذي كان يستر حضن الأرض!
ثم أعلن (بعد ذلك): لا أحد غيري
يجتاز هذا الهوْر!»
«لا أحد غيري يجتاز الهوْر!» قال أنكي مقسماً باسم آن[٢]
ومن أجل التي اضطجعت في الهوْر
وتمددت في الهوْر
من أجل دامكال ـ نونّا[٣] خصّص أنكي منيّه
وسكبه في رحم نينخورساج
وبتلقيها في رحمها المنيّ، مني أنكي،
عند ذلك ومن أجلها، عدّ اليوم الأول شهراً
واليومان عدّا شهرين
والأيام الثلاثة، ثلاثة أشهر
والأربعة عدّت أربعة أشهر
والخمسة عدّت خمسة أشهر
والستة، ستة أشهر
والأيام السبعة، سبعة أشهر
والثمانية، ثمانية أشهر
والتسعة عدّت تسعة أشهر
أشهر الحمل التسعة

(١) (Nin-tu) لقب نينخورساج ومعناه سيدة الولادة وهو لقبها كإلهة ـ أم.
(٢) (An) إلّه السماء السومري.
(٣) (Damgalnunna) لقب آخر لنينخورساج.

(بعد ذلك) كالزيت الناعم (لزوجةً)
كالزيت الناعم، كالدهان الثمين
[نينتو] «أمّ ـ البلاد»، كالزيت الناعم،
كالزيت الناعم، كالدهان الثمين
ولدت «نينسار»[١] «سيدة الخضار والنباتات التي تؤكل»!
خرجت نينسار يوماً لتتنزّه على طول الهوْر
وكان أنكي في الهوْر،
فقال لحاجبه إيسمود[٢]
«لِمْ لا أجامع هذه الفتاة اليانعة الجميلة.
لِمْ لا أجامعَ هذه النينسار الفاتنة»؟
فأجابه إيسمود:
«جامع إذن هذه الفتاة اليانعة الجميلة.
جامع نينسار الفاتنة!»
«من أجل مليكي، سوف أنفخ ريحاً ملائمة
ريحاً جيدة!»
وحده أنكي وضع في القارب رجليه
ثم وضعهما على الأرض الصلبة
إحتوى نينسار بين ذراعيه وجامعها
سكب منيه في حضنها[٣]:
في حضنها تلقت المني، منيّ أنكي!

---

(١) (Ninsar).
(٢) (Ismud) حاجب أنكي ومساعده.
(٣) عندما لا ترغب النصوص السومرية باستعمال تسمية الفرج بصدد الجماع والاتصال الجنسي فإنها تلجأ أحياناً إلى تعبير الحضن أو الحِجر وفي أناشيد الحب السومرية كما سيرد في الفصل الثاني من هذا الكتاب نشهد تزامن الاتجاهين في الاستعمال.

عند ذلك، ومن أجلها، عدّ اليوم شهراً
واليومان شهرين
والثلاثة، ثلاثة أشهر،
والأربعة، أربعة أشهر
والخمسة، خمسة أشهر
والستة، ستة أشهر
والسبعة، سبعة أشهر
والثمانية، ثمانية أشهر
والتسعة عدّت تسعة أشهر
أشهر الحمل التسعة.
بعد ذلك، كالزيت الناعم (لزوجةً)
كالزيت الناعم كالدهان الثمين،
[نينسار]، كالزيت الناعم
كالزيت الناعم، كالدهان الثمين
ولدت نينكورا[١] («سيدة النباتات
ذات الألياف»؟)
خرجت نينكورا يوماً (لتتنزه) على طول الهوْر
وكان أنكي في الهوْر فقال لحاجبه إيسمود:
لِمْ لا أجامع هذه الفتاة اليانعة الجميلة
لِمْ لا أجامع هذه النينكورا الفاتنة!
فأجابه إيسمود:
«جامع إذن هذه الفتاة اليانعة الجميلة.
جامع نينكورا الفاتنة!»

---

(١) (Ninkura).

«من أجل مليكي سوف أنفخ ريحاً ملائمة
ريحاً جيدة!»
وحده أنكي وضع في القارب رجليه
ثم وضعهما على الأرض الصلبة.
احتوى نينكورا بين ذراعيه وجامعها
سكب منيّه في حضنها:
في حضنها تلقت المنيّ، منيّ أنكي!
عند ذلك، ومن أجلها، عدّ اليوم شهراً
واليومان شهرين
والثلاثة، ثلاثة أشهر
والخمسة، خمسة أشهر
والستة، ستة أشهر
والسبعة، سبعة أشهر
والثمانية، ثمانية أشهر
والتسعة عدّت تسعة أشهر
أشهر الحمل التسعة
بعد ذلك، كالزيت الناعم (لزوجةّ)
كالزيت الناعم كالدهان الثمين.
نينكورا كالزيت الناعم
كالزيت الناعم، كالدهان الثمين،
ولدت أوتو[1] (إلٓهة النسيج)،
المرأة الجميلة.

الأسطر (١٤١ ـ ١٥٢) غير كاملة. ويتضح مما بقي منها أن نينخورساج، زوجة أنكي حذّرت أوتّو الجميلة وأوصتها بتحاشي أي لقاء مع أنكي إذا لم يقدّم لها المشمش (؟) والتفاح

(١) (Uttu) بالتاء المشدّدة.

والعنب هديةً. وهذا ما سعى إليه أنكي حين وطد علاقته مع بستانيٍّ بعد إرواء أشجاره بالمياه الحلوة.

مرّة أخرى عمد أنكي إلى توفير الماء
ملأ بالماء المجاري
ملأ بالماء الحُفر
ملأ بالماء الأرضَ المَوات.
امتلأ قلب البستاني فرحاً [...]
فضمّ (أنكي) بين ذراعيه قائلاً:
«من تكون إذن؟ أنت الذي رويت بستاني؟»
أجاب أنكي البستاني:
«أجاب [...]
أجلب لي المشمش (؟) مع [...]
أجلب لي التفاح مع [...]
أجلب لي عناقيد العنب الريّان (؟)»
قدّم له (البستاني) المشمش مع [...]
قدّم له التفاح مع [...]
جلب له عناقيد العنب الريّان تملأ حضنه

أنكي يتوجّه بعد ذلك إلى أوتّو

حَمل أنكي عند ذلك عصاه، تملؤه البهجة
ذهب للقاء أوتّو (في مقرها)
صرخ حين وصل أمام البيت: «إفتحي! إفتحي!»
ـ «من أنت؟» (قالت له)،
ـ «أنا البستاني أحمل إليك هديةً، المشمش (؟) التفاح والعنب»!
ابتهجت أوتّو وفتحت عندئذٍ باب بيتها
فقدم أنكي إلى المرأة الجميلة (؟)

قدّم لها المشمش مع [. . .]
قدم لها التفاح على [. . .]
قدم العنب الرّيان (؟)
وكانت أوتّو تضرب بكفيها على [فخذيها]
وتصفّق فرحاً!
لكن أنكي بعد أن تذوقت أوتّو (ثماره)
عانقها وشدها إلى صدره
تلمّس فخذيها وربَّت عليهما
قبّلها وضغط عليها بجسده
ولج المرأة الفتية وجامعها
سكب في حضنها منيّه
في حضنها تلقت المنيّ، منيّ أنكي
صاحت المرأة الجميلة (؟) عند ذلك:
«آه فخذاي، آه جسدي، آه قلبي!»
لكن نينخورساج استخرجت المني من بين فخذيها

الأسطر (١٨٨ ـ ١٩٥) غير كاملة وتشير إلى أن نينخورساج تمكّنت بتحويلها منيّ أنكي عن أوتّو من خلق ثمانية نباتات يتضح لنا دورها فيما بعد.

خرج عندئذٍ أنكي من الهوْر
وقال لإيسمود حاجبه:
«أنا لم أقرر بعد مصير تلك النباتات[1]
كيف يمكن ذلك؟ قل لي،
كيف يمكن ذلك؟»
فأجابه إيسمود:
«يا مليكي، هذه هي النبتة ـ المتشجّرة!»

---

(١) النباتات الثماني التي خلقتها نينخورساج.

وقطع له منها جزءاً ليتذوّقه!
«يا مليكي، هذه هي النبتة ـ ذات الحلاوة!»
وقطع له منها جزءاً ليتذوّقه!
«يا مليكي، هذه هي العشبة ـ السيئة ـ على الدروب!»
وقطع له منها جزءاً ليتذوّقه!
«يا مليكي، هذه هي النبتة ـ آنومون!»
وقطع له منها جزءاً ليتذوّقه
«يا مليكي، هذه هي النبتة ـ الشائكة!»
وقطع له منها جزءاً ليتذوّقه!
«يا مليكي، هذه هي النبتة ـ ذات ـ الأزرار!»
وقطع له منها جزءاً ليتذوّقه!
«يا مليكي، هذه هي نبتة ـ الـ . . !»
وقطع له منها جزءاً ليتذوّقه!
«يا مليكي، هذه هي نبتة ـ الآمخارو!»
وقطع له منها جزءاً ليتذوّقه!
هكذا عرف أنكي طبيعة تلك النباتات
وقرّر لكلٍ منها مصيرها.

يلي ذلك غضب نينخورساج على أنكي ومغادرتها المدينة بعد أن حوّلت عنه نظرها المحيي وأصبح أنكي مهدّداً بالموت.

وحين أقسمت باسم أنكي، (أعلنت) نينخورساج:
«لن أمنحه بعد ذلك نظرتي للحياة
ومن أجل ذلك سيموت!»
«لبس الأنونّا[1] عند ذلك التراب حزناً

---

(١) (Anunna) أو أنوناكو وأنوناكي وهو مجموعة الآلهة التي مقرها هو العالم السفلي ويقابلها الإيجيجي (Igigi) مجموعة آلهة السماء.

لكن الثعلب الذي كان حاضراً، قال لإنليل:
ماذا ستكون مكافأتي إذا ما أعدت نينخورساچ؟
فأجابه إنليل:
إذا ما أعدْتَ نينخورساچ
إلى مدينتي [. . .] سوف أزرع لك شجرة كيشكانو[١]
وسوف تصبح مشهوراً!»
لّمع الثعلب وبره استعداداً
و [. . . . . .]
وزيّن بالكحل عينيه

الأسطر (٢٢٩ ـ ٢٤٩) تشير على الرغم من فقدان أجزاء كبيرة منها، إلى أن الثعلب قابل عدداً من الآلهة طلباً للمساعدة ويحول التشويه دون تمكيننا من التعرّف على كيفية توصل الثعلب إلى هدفه.

نينخورساچ تقوم بشفاء أنكي من آلامه لدى عودتها

حين أخذت نينخورساچ أنكي في حضنها
قالت:
«ما الذي يؤلمك يا أخي؟
ـ رأسي يؤلمني!
ـ سأخلق إذن من أجلك الإلّه آبا ـ أو[٢]!
ـ ما الذي يؤلمك (أيضاً يا أخي)؟
ـ شعري يؤلمني!
ـ سأخلق من أجلك عندئذٍ الإلّهة نينسيكيلا[٣]!
ـ ما الذي يؤلمك (بعد) يا أخي؟

---

(١) (Kishkanu) من الصعب فهم مدلول هذه المكافأة بالنسبة لثعلب وكذلك تدخل الثعلب في عملية إعادة الآلهة ـ الأم.
(٢) (Aba. ou).
(٣) (Ninsikila).

ـ أنفي يؤلمني!
ـ سأخلق من أجلك إذن الإلّهة نينكيري ـ أوتو[١]!
ـ ما الذي يؤلمك (أيضاً) يا أخي؟
ـ فمي يؤلمني!
ـ سأخلق من أجلك إذن الإلّهة نينكازي[٢]!
ـ ما الذي يؤلمك (أيضاً) يا أخي؟
ـ حنجرتي تؤلمني!
ـ سأخلق من أجلك إذن الإلّهة نازي[٣]!
ما الذي يؤلمك أيضاً يا أخي؟
ـ ذراعي تؤلمني!
ـ سأخلق من أجلك إذن الإلّهة آزيموآ[٤]!
ـ ما الذي يؤلمك (أيضاً) يا أخي؟
ـ ضلوعي تؤلمني!
ـ سأخلق من أجلك إذن الإلّهة نينتي[٥]!
ـ ما الذي يؤلمك (أيضاً) يا أخي؟
ـ متناي يؤلمانني!
ـ سأخلق من أجلك إذن الإلّه إنشا ـ آج[٦]
ـ (قال أنكي عندئذ):
بما أنكِ خلقتِ هذه الآلهة الثانوية
فإن آبا ـ أو سوف يكون ملك النباتات
ونينسيكيلا سوف تكون سيدة الماچان[٧]

(١) (Ninkiri-utu).
(٢) (Ninkasi).
(٣) (Nazi).
(٤) (Azimua).
(٥) (Ninti).
(٦) (En.sha.ag).
(٧) (Magan) التسمية السومرية لمنطقة الساحل الشرقي من شبه الجزيرة العربية الممتد من جنوب دلمون حتى خليج عُمان.

وسوف تتزوج نينكيري ـ أوتو من نينآزو[١]
وسوف (تعمل) نينكازي على تحقيق الرغبات
ونازي سوف تتزوج من نيندارا[٢]
وآزيموآ سوف تتزوج نينجيشزيدا[٣]؛
وستكون نينتي سيدة الأشهر
وسوف يكون إن ـ شا ـ آج سيد دلمون!»
المجد لك يا أنكي المعظّم.

---

(١) (Nin.Azu).
(٢) (Nin.Dara).
(٣) (Ningishzida).

(٢) ـ إنليل وننليل
زواج الإلّه إنليل

يتألف هذا النص السومري من ١٥٤ سطراً، وصلنا بشكل شبه كامل، وهو يعود إلى الفترة البابلية القديمة (حوالى ١٧٠٠ ق. م). تمّ العثور عليه في مدينة نفر[١]، وهو يصف لنا هذه المدينة في مطلعه، بنخيلها ومجاري مائها وأرصفتها وبساتينها ويقدم لنا شخصياتها: فتاها الإلّه إنليل[٢] وسيدتها نُنْبار شيغونو[٣] وابنتها ننليل[٤].

وتروي هذه الأسطورة ولادة بعض الآلهة نتيجة للقاء إنليل وننليل وتخصيص مهام هؤلاء وهي تمجد إنليل في ختامها.

تقديم المدينة والأشخاص

هذه هي المدينة، حيث نسكن!
مدينة نفّر، حيث نسكن،
المدينة المكسوة بالنخيل، حيث نسكن!
انظر إلى مجرى مائها الصافي، «قناة السيدات» (؟)
انظر إلى رصيفها، «رصيف تفريغ الخمور»،
انظر إلى رصيف التحميل، «رصيف الاقتراب من الضفّة» (؟)
هي ذي فُوّهَةُ مائها العذب، «البئر المتقطّرة عسلاً»،
هو ذا مسار مائها المتلالىء، «القناة الأميرية»
انظر إلى أرض بساتينها، «خمسون ساراً[٥] أينما نظرت»!
هو ذا إنليل فتاها، قوي البنية وهذه هي فتاتها ننليل،
ونُنبار شيغونو، سيدتها القديمة الأولى.

---

(١) (Nippur) العاصمة الدينية القديمة في سومر.
(٢) (Enlil) سيد مجمع الآلهة ومعنى اسمه «سيد الهواء».
(٣) (Nunbarshegunu) الإلّهة ـ الأم في نفّر وهي والدة ننليل.
(٤) (Ninlil) قرينة إنليل وهي أم الإلّه القمر نانا (Nanna) ولقبه هنا آشيمبابار (Ashimbabar).
(٥) السار السومري ومعناه «وحدة البستان» وهو يعادل ٣٦ متراً مربعاً وكان سكان نفّر على ما يظهر يملك كل واحد منهم بستاناً بمساحة ٥٠ ساراً في ضواحي المدينة.

الأم تحذر ابنتها ننليل

في أحد الأيام، حذّرتها أمها، الأم التي ولدتها
(حذرت) فتاتها
حذّرت ننبار ـ شيغونو ابنتها ننليل قائلة:
«في مجرى الماء الصافي، لا تستحمي أيتها المرأة الفتية،
لا تستحمّي في مجرى الماء الصافي!
لا تتنزّهي، أي ننليل، على طول القناة الأميرية!
الإلّه ذو النظر البرّاق، ذو النظر البرّاق
سوف يسلّط عليك عينيه!
الجبل الكبير[١]، إنليل المهيب، ذو النظر البرّاق
سوف يسلّط عليكِ عينيه!
الراعي. . .، ذو النظر البرّاق، الذي يقرّر المصائر
سوف يسلّط عليك عينيه
سوف يلجك ويجامعك
سوف يُحبلك، ساكباً فيك (؟) بحيويّته كلها،
بذرته الشهوانية

إنليل يقع في غرام ننليل التي تنفر منه

حكيمة كانت كلمات ذلك التحذير،
ومع ذلك، في مجرى الماء الصافي، استحمّت ننليل،
في مجرى الماء الصافي،
وتنزّهت على طول القناة الأميرية!
والسيّد ذو النظر البرّاق، ذو النظر البرّاق
سلّط عليها عينيه!

---

(١) لقب إنليل.

[الجبل الكبير]، إنليل المهيب، ذو النظر البرّاق
سلّط عليها عينيه!
[الراعي]. . . الذي يقرر المصائر، ذو النظر البرّاق
سلّط عليها عينيه!
«أريد أن أضاجعك!» قال لها الإله،
لكنها رفضت.
«أريد أن أجامعك!»، أعلن لها إنليل،
لكنها رفضت،
«لا يزال مهبلي ضيّقاً. (قالت له)
ولا أستطيع توسيعه،
شِفْراي صغيران جداً: لن أستطيع المجامعة
إنْ عرفَتْ ذلك أمي، تعاقبني،
إنْ عرفَ ذلك أبي، يَنْبذني
ورفيقاتي [يستَهْزِئن مني (؟)!]

إنليل يحقق أربه

حينذاك توجّه إنليل إلى خادمه نوسكا[1]،
«أي خادمي نوسكا!»
ـ «ليأمرْ سيدي!»
«أنت يا من خطّط لي الإيكور!»[2]
ـ «ليأمر سيدي!»
ـ هذه اليافعة ذات البهاء والظرف
«لم يلجها أحد بعد، لم يجامعها أحد!»
عند ذلك زوّد الخادم سيّده بتفصيلة قارب

---

(١) (Nuska) خادم إنليل ومساعده.
(٢) معبد إنليل في نفّر: (E-Kur) بمعنى بيت الجبل.

وسلّمه ما يشبه قَلْس الربط
وجلب له ما يشبه الفُلْك الكبير
تغلغل الملك بين القصب
ضاجع ننليل وجامعها،
إنليل المهيب،
ضاجع ننليل وجامعها، متغلغلاً بين القصب.
لمست يده ما يُشتهى لمسه كثيراً
وولجها وجامعها.
في زاوية من الضفّة (؟) اضطجع معها،
ولجها وجامعها.
بولوجها ومجامعتها،
سكب إنليل في أحشائها بذرة ابنه
سين ـ آشيمبابار[١]

معاقبة إنليل ونَفْيه

كان إنليل في أحد الأيام يجتاز الكي ـ أور[٢]،
بينما كان إنليل يجتاز الكي ـ أور،
أوقفه الآلهة العظام، بعددهم الكامل الخمسين
ومعهم الآلهة السبعة، الذين يقرّرون المصائر،
أوقفوا إنليل وهو في وسط الكي ـ أور
(صرخوا): «إنليل!»، أيها المغتصب، غادر المدينة!
ـ غادِرِ المدينةَ، أي نونّامنير[٣] المغتصب.

(١) (Sin-Ashimbabar) سين الإلّه القمر الأكادي أضيف إليه لقب الإلّه نانّا (Nanna) الإلّه القمر السومري أثناء النسخ عن النص الأصلي.
(٢) (Kiur) جزء من معبد الإيكور في نفّر.
(٣) (Nunnamnir) لقب إنليل.

إمتثَل إنليل للقرار المتخذ،
إمتثَل نونّامنير للقرار المتخذ،
وحين باشر بسلوك طريقه، كانت ننليل تتبعه.
سلك نونّامنير طريقه، لكن ننليل كانت تتبعه.
قال إنليل لبوّاب العالم السفلي:
«أيها البواب! يا رجل المزلاج!
أيها الرجل المتحكّم بالقِفل! يا رجل المزلاج الرهيب!
«سيدتك ننليل سوف تأتي:
إذا سألتك عنّي،
لا تقلْ لها قطّ من أنا»!
عندما قالت ننليل معتقدةً [أنها تتوجه] إلى البوّاب:
«أيّها البواب! يا رجل المزلاج
أيّها الرجل المتحكم بالقفل! يا رجل المزلاج الرهيب!
إلى أين ذهب إنليل سيدك؟»
أجابها إنليل منتحلاً دور البوّاب:
ـ «مليكي لم يحطني علماً (؟)!
إنليل لم يخبرني! [. . .]
(تم إهمال سطرين غير صالحين)
هذا كل ما قاله لي إنليل ملك العالم!»
ـ إذا كان إنليل ملكك، فأنا ملكتك
ـ «بما أنك ملكتي (أجاب)،
دعيني ألَمس . . . . لكِ»
ـ «أنا من حَملتُ البذرة في أحشائي
بذرة سيدك المجيدة
حملت في أحشائي بذرة سين المجيدة!»

عندئذٍ أجابها:
«بذرة مليكي تصعد نحو الأعلى
وبذرتي سوف تستقر في الأسفل.
في مكان بذرة مليكي،
بذرتي سوف تستقر في الأسفل!»
عندئذٍ، دخل إنليل مُتّخذاً مظهر البواب
غرفة المضاجعة،
حيث ولج ننليل وجامعها
ولدى ولوجها ومجامعتها
سَكَب في أحشائها بذرة
نرچال ـ مسلامْتاإيا[1]
استمر إنليل بعد ذلك في طريقه.
لكن ننليل كانت تتبعه
عاد نونّامنير للمسير. لكن ننليل كانت تتبعه.
والتقى إنليل
برجل ـ نهر ـ العالم السفلي، مفترس البشر
«يا رجل ـ نهر ـ العالم السفلي، مفترس البشر (قال له)،
سوف تأتي سيدتك ننليل،
إذا ما سألتك عنّي
لا تقل لها من أنا!»
وعندما (قالت ننليل) معتقدةً أنها تتوجّه
إلى رجل ـ نهر ـ العالم السفلي، مفترس البشر:
«يا رجل ـ نهر ـ العالم السفلي، مفترس البشر

---

(١) (Nergal-Meslamtaéa) وهو الإلّه الذي سيصبح سيد العالم السفلي فيما بعد، بزواجه من إيريشكيچال (Ereshkigal) ملكة العالم السفلي.

إلى أين ذهب إنليل، سيدك؟»
أجابها إنليل متنحلاً دور رجل ـ نهر ـ العالم السفلي
«مليكي لم يُحطني عِلماً (؟)!
إنليل لم يخبرني! . . .

(أهمل سطران غير مقروءين)

هذا كل ما قاله لي إنليل، ملك العالم!»
ـ «إذا كان إنليل ملكك فأنا ملكتك»
ـ «بما أنك ملكتي
دعيني ألمس . . . . كِ!»
ـ «أنا من حملتُ البذرة في أحشائي
بذرة سيدكَ المجيدة
حملت في أحشائي بذرة سيدك المجيدة!»
عندئذٍ أجابها:
«بذرة مليكي تصعد نحو الأعلى
وبذرتي سوف تستقر في الأسفل.
في مكان بذرة مليكي،
بذرتي سوف تستقر في الأسفل!»
عندئذٍ، دخل إنليل متخذّاً مظهر
رجل ـ نهر ـ العالم ـ السفلي غرفة المضاجعة
حيث ولج ننليل وجامعها.
ولدى ولوجها ومجامعتها
سكب في أحشائها بذرة نين ـ آزو[١]

---

(١) (Ninazu) إله في العالم السفلي.

سيد الإيجيدّا[١]

استمر إنليل بعد ذلك في طريقه
لكن ننليل كانت تتبعه
عاد نونّامنير للمسير، لكن ننليل كانت تتبعه.
التقى إنليل بسيلوليم نوتي العالم السفلي
«أي سيلوليم النوتي (قال له إنليل):
ننليل سيدتك سوف تأتي
إذا سألتك عنّي
لا تقل لها من أنا!»
وعندما (قالت ننليل) معتقدة أنها تتوجّه
إلى سيلوليم (؟) النوتي:
ـ «سيلوليم يا أيها النوتي
إلى أين ذهب إنليل سيدك؟»
أجابها إنليل منتحلاً دور سيلوليم:
ـ «مليكي لم يخبرني
لم يحطني عِلماً؟!...

(سطران مشوهان)

هذا كل ما قاله لي إنليل ملك العالم!»
ـ «إذا كان إنليل ملكك، فأنا ملكتك»
ـ «بما أنكِ ملكتي
دعيني ألمس... كِ!»
ـ «أنا من حملت البذرة في أحشائي
بذرة سيدك المجيدة!

(١) (E.gid.da) مقرّ نين ـ آزو ومعناه البيت المستطيل.

حملت في أحشائي بذرة سين المجيدة!»
عندئذٍ أجابها:
«بذرة مليكي تصعد نحو الأعلى
وبذرتي سوف تستقر في الأسفل.
في مكان بذرة مليكي
بذرتي سوف تستقر في الأسفل!»
دخل إنليل عندئذٍ، متّخذاً مظهر
سيلوليم، غرفة المضاجعة
حيث ولج ننليل وجامعها
ولدى ولوجها ومجامعتها
سكب في أحشائها بذرة إنبيلولو[١]،
الوكيل المسؤول عن الأقنية!

تمجيد الختام

هو أنت الإلّه، هو أنت الملك!
أي إنليل، هو أنت الإلّه، هو أنت الملك!
يا نونّامنير (هو أنت) الإلّه، أنت الملك!
الإله المطلق القدرة! الإلّه الأكثر سمواً!
الإله الذي يجعل الزروع تنمو
ويُنبت الشعير
سيّد السماء! الإلّه الذي ينتجُ الكثرة!
سيد الأرض،
سيد الأرض، الإلّه الذي ينتج الكثرة!
سيد السماء

---

(١) (Enbilulu).

إنليل الإله! إنليل الملك!
الإله ذو الأوامر التي لا مردّ لها،
ذو الأوامر التي لا تستبدل!
لأنك أكرمت ننليل الجليلة
لك الحمد، يا إنليل الممجّد.

(٣) ـ زواج إنليل من
سود الجميلة

هذه القصيدة المتعلقة بغراميات إنليل، تختلف تماماً عن سابقتها، فهي تروي قصة فتاة خلاّبة أثارت إعجاب إنليل، بعد أن اجتاز بلاد سومر كلها مفتّشاً عن زوجة. ونظراً لبراءتها وعفّتها يضطر إنليل إلى توجيه رسوله إلى والدتها لطلب يدها رسمياً، محاولاً التكفير عن خطئه لأنه اعتقد حين التقى بها للمرة الأولى على باب بيت أمها أنها كانت من بنات الهوى وهي في الحقيقة ابنة العائلة الحاكمة في مدينة إيريش(١)، أمّها الإلّهة نيسابا(٢) وأبوها خايا(٣). وبأسلوب شيّق تسرد لنا هذه القصيدة قصة الخطوبة وهدايا العرس ودور أخت العريس ومن ثم تقرير مصير العروس سود التي تحوز بعد زواجها على لقب ننليل المشتق من إنليل وتسند إليها مهامّ عِدّة.

نُشرت هذه القصيدة للمرة الأولى في عام ١٩٦٧ عن حوالي عشرين لوحة بابلية ـ قديمة، أو جزء من لوحة، (تعود إلى حوالي ١٩٠٠ ق. م) عثر عليها في نفّر. وعن أربع لوحات آشورية ـ حديثة احتوت على النص باللغتين السومرية والآكادية. وهو يتألّف من ١٧٥ سطراً.

حيث ترعرعت سود

1 [نيسابا السيدة](٤) التي تشغل دوماً [الـ. . .]،
السيدة المدهشة الخلاّبة
[عندما سكب بعلها] النبيل، سليل [. . .]
نظير آن وإنليل
[عندما] خايا الـ [. . .] سكب في حجرها
ماءَه المقدس

---

(١) (Eresh) مدينة سومرية قديمة.
(٢) (Nisaba) اشتهرت بأنها كانت تشرف وترعى فن الكتابة ونسبت إليها أيضاً رعاية الولادة.
(٣) (Haia).
(٤) (Nisaba) والدة سود (انظر المقدمة) ومدينتها إيريش (Eresh).

وَلَدَتْ نونْبار ـ شيغُونو[١] [ابنتها سود]
كما يُقتضى.
حملتها بين ذراعيها وأرضعتها
أفضل ما في ثدييها
إلى أن أصبحت [سود] الفتاة الفاتنة
الخلاّبة

سود تثير إعجاب إنليل

في يوم من الأيام، أمام [مدخل (؟)] البيت
(بيت أمها)،
عند بوّابة الإيزاجين[٢]،
وقفت [سود] مثيرة إعجاب الجميع
كبقرةٍ كريمةِ الأصل، رائعة الجمال.
وفي ذلك الزمان، لم تكن لإنليل بعد
أية زوجة في الإيكور[٣]
وفي الكي ـ أور[٤] لم يكن اسم ننليل قد تمّ لفظه قطّ.
بعد أن اجتاز بلاد سومر كلها
حتى طرف العالِم (تفتيشاً عن زوجة)
توقف إنليل، الجبل الكبير[٥] خلال سعْيه
عند مدينة إيريش[٦]

---

(١) (Nunbarshegunu) لقب نيسابا والدة سود.
(٢) (Ezagin) بيت سكن سود وقد يكون المعبد في إيريش.
(٣) (Ekur) بمعنى بيت الجبل وهو معبد الإلّه إنليل في مدينة نقّر.
(٤) (Kiur) وهو الجزء من المعبد بصورة عامة وبشكل خاص جزء من معبد الإيكور في نقّر حيث يسكن الإلّه.
(٥) الجبل الكبير هو لقب إنليل ومعبده الإيكور هو بيت الجبل.
(٦) (Eresh) المدينة التي كانت نيسابا إلّهتها ويعتقد أنها تقع إلى الجنوب من نقّر.

هنا، عندما ألقى (إنليل) نظرةً حوله،
اكتشف امرأة قلبه!
اقترب منها بكل سعادة، توجّه إليها،
متشهّياً: سوف أغمرك بالرداء الملكي،
وبعد ممارستك الشارع[١]، سوف تصبحين [زوجتي (؟)]
فُتنتُ بجمالك دون تردد
حتى لو لم تكوني ذات مقام.
وعلى الرغم من حداثتها وبراءتها، ردّت
سود على إنليل (قائلة):
بما أنني أقف ببساطة وشرف أمام باب بيتنا
لماذا تلوث سمعتي هكذا؟
ماذا تريد مني، لماذا تعرّضت لي؟
أيها الشاب، لقد انتهى حديثنا
أغرب عنّي.
[كثيرون غيركَ] حاولوا قبلك خداع أمّي
لكنّهم زادوها نفوراً.
إنليل توجّه إلى سود مرة ثانية
بعد أن ناداها واقترب منها:
«حسناً! عليّ أن أكلمك وأن أتناقش معك
هل تريدين أن تكوني زوجتي؟
قَبّليني يا حبيبتي، يا ذات العينين الفاتنتين
ثم قرّري!»
وما أن خرجت تلك الكلمات من فمه
حتى أوصدت سود البابَ في وجهه.

---

(١) الوقوف في الشارع على باب البيت أو المعبد جعل إنليل يعتقد خطأً أن سود كانت إحدى مومسات المدينة.

إنليل يبعث برسوله لوالدة سود

لدى عودته إلى مقرّه شديد التأثر،
اتّضح له الأمر، فأطلق السيد نداءه:
«أسرعْ يا نوسكا[1]! أطلب منك أن تسرع!
إليك تعليماتي:
توجّه مسرعاً إلى إيريش، ذات الأسس القديمة،
مدينة نيسابا
وأمامها، كَرِّرْ دونما تأخير ما سأقوله لك:
«عازب أنا، وأعلمك عن رغبتي
في الرسالة التالية:
أريد أن أتزوج ابنتك: امنحيني
موافقتك!
أرسل إليكِ هذه الهدايا الشخصية.
وتقبّلي أيضاً، هداياي من أجل العرس.
أنا إنليل، وليد آنشار[2] ذي الجلال الرفيع،
ملك السماء والأرض!
سوف أطلق على ابنتك اسم ننليل
وسوف يعرفها (هكذا) العالم بأجمعه!
أمنحها كل ثروات الغاشيشوا[3]
وسوف أقدّم لها الكي - أور مسكناً،
سوف تعيش معي في كي - أور
القصر المجيد،
ومعي سوف تقرّر المصائر

(١) (Nuska) خادم إنليل ورسوله.
(٢) (Anshar) والد إنليل أو أحد أجداده.
(٣) (Gashishua) خزائن ثروات إنليل (؟).

وسوف توزع القدرات بين الآنونا
الآلهة ـ العظام!
أما أنتِ، فسوف أعهد إليك بحياة
ذوي الرؤوس السوداء[1]!
عندما تصل إلى هناك يا نوسكا،
فإن الفاتنة التي اختارها قلبي
سوف تقف إلى جانب أمّها:
لا تقترب منها وأنت فارغ اليدين:
بيدِك اليسرى، قدم لها هذا الكنز!
إعمل بهمّة، وانقل لي جوابها في أسرع وقت!»

نوسكا ينفّذ الأوامر

عندما تلقّى نوسكا، رئيس الحفْل،
أوامر إنليل
بسرعةٍ [سلك طريقه]، وصل إلى إيريش
ودخل إلى الإيزاجين، مقر نانيبغال[2]
[هنا (؟)] سَجَد أمامها وهي جالسة
على عرشها،
ثم وقف رسول إنليل،
فسألته أن يعلن رسالته

(الأسطر (٤٩ ـ ٥٩) غير صالحة أو مفقودة وهي تسرد بدون شك ما نقله نوسكا على لسان إنليل).

---

(١) تسمية شعرية تطلق على سكان سومر.
(٢) (Nanibgal) لقب نيسابا والدة سود.

أم سود توافق على طلب إنليل

عندما كرّر (هذه الكلمات)
توجهت نانيبغال، بكل لياقة إلى الرسول:
أيها المستشار الجدير بملكه،
الساهرُ دوماً على تنفيذ أوامره،
لا أحد مثلك يستطيع كل يوم،
تقديم آرائه للجبل الكبير!
ليس لدي ما أقوله حول طلب الملك
الذي تلقته خادمتك،
إذا ما كان كلامك صادقاً ـ
ولم تكذب قط.
كيف يمكنني ردّ من يمنحني نعماً
رائعة كهذه؟
رسالة بيتكم، تدخل البهجة إلى قلوبنا
وإلى أرواحنا، ونحن
نَرَى أن إيضاحات كافية قد قُدِّمت إلينا
كما أن الإهانة محتها هدايا العرس
والهدايا الشخصية!
قل له إذن: «سوف أكون حماتك!
فلتتحقق أمنيتك!»
أَجِبْ إنليل، الجبل الكبير:
«فلتتحقّق أمنيتك!»
«لتأتِ أختَك آرورو[١] إلى هنا: فسوف أترك

---

(١) (Aruru) أخت إنليل والإلّهة المشرفة على الولادة.

لها مكاني! سوف أعاملها ككنّتي،
وسوف تكون لها اليد الطولى على كامل بيتي!
هكذا سوف تكلّمُ سيدكَ في كي ـ أوره العظيم:
سوف تكرر كل ذلك على مسامع إنليل
في سرّية غُرفتِهِ المقدّسة!»
وبعد أن أعطت نيسابا الكريمة الأصل، في
معبدها الجليل، أوامرها إلى الرسول
طلبت بعد ذلك كرسيٍّ شرفٍ وأجلست عليه نوسكا
وأعدّت له مأدبة مُبْهجة (شهية) [. . .]
نادت نانيبغال ابنتها وأبلغتها (قولها):
«يا صغيرتي [. . .] من النوم في البيت [. . .] المقدّس
أجنحة السَكَنِ الخاصة، أكثر ملاءمةً لك!
من الآن فصاعداً سوف يمكنك (؟) الابتعاد
عن مقرّ ـ حكمةِ ـ نيسابا».
نوسكا الفطِنُ والمقتدر، أنجز مهمته على أحسن وجه
إذهبي [فوراً (؟)] للقائه، واسكبي له شراباً.
[تلبيةً لرغبة أمها]،
غسلت سود يديها وقدّمت له الكأس،
عند ذلك، وبيده اليسرى، قدّم لها الرسول الكنز،
كدّسه أمامها.
وقَبِلت [سود] الهدايا باحتشام!
[ثم قام نوسكا] آخذاً طريق عودته إلى نفّر.

عودة الرسول إلى نفّر

[لدى وصوله (؟)] أمام إنليل، سجد وقبّل الأرض
[كرّر له] عند ذلك [حرفاً حرفاً]

ما قالته السيدة العظيمة:
«أيها المستشار الجدير بملكه،
الساهر دوماً على تنفيذ أوامره،
لا أحد مثلك يستطيع كل يوم
تقديم آرائه للجبل الكبير!
ماذا أقول عن طلب الملك
الذي تلقته خادمتك.
إذا ما كان كلامك لي صادقاً ـ
ولم تكذب قط! ـ
كيف يمكنني رفض من يمنحني نعماً
رائعة كهذه؟
رسالة بيتكم، تدخل البهجة إلى قلوبنا
وإلى أرواحنا، ونحن
نرى أن إيضاحات كافية
قد قُدِّمت إلينا
كما أن الإهانة محتها هدايا العرس
والهدايا الشخصية!
قل له إذن: «سوف أكون حماتك!
فلتتحقق أمنيتك!»
أَجِب إنليل، الجبل الكبير:
«فلتتحقق أمنيتك.. !»
«لتأتِ أختك آرورو إلى هنا: فسوف أترك لها مكاني!
سوف أعاملها ككنّتي
وسوف تكون لها اليد الطولى على كامل بيتي!
هكذا سوف تكلّم سيدك في كي أوره العظيم:
سوف تكرر كل ذلك على مسمع إنليل
في سِرِّية غرفته المقدّسة!»

يبتهج قلب إنليل ويعدّ للعرس

أراح هذا التقرير خاطر إنليل
وأدخل فرحاً كبيراً إلى قلبه.
فأصدر عند ذلك أوامره،
ومنذ البلد المرتفع، لكي تتوافد الحيوانات
من ذوات القوائم الأربع، من العنزيات إلى الحمير
التي تتكاثر بحرّية في السهوب
وترتاد الجبال، لتُختارَ كثرة:
ثيران وحشية، أيائل، فيلة، ظباء، غزلان،
دببة، خرفان وأكباش وحشية،
وِشَقّان، ثعالب، قطط بريّة، فهود
أُرويّات، جواميس ماء، قرود،
ثيران بَحَاتر ثقيلة القرون خائرة.
بقرات ترافقها عجولها، مواشٍ برية
ذات قرون ضافية، تجرّها أرسان ثمينة،
نعجات مع حملانها، أعْنُزٌ مع جدياتها
تنطنط وتتصارع فيما بينها،
جديان ذات عُثنونٍ طويل
تقرع الأرض بحوافرها،
حِملان [. . .].
خِراف جديرة (بمائدة) الملك
كل هذا أسْرَعَ إنليل بإرساله إلى إيريش.
أَجبانٌ دسمة، أجبان مُضمّخة بالأَريج النباتي،
أجبان صغيرة، [. . .]،
ألبان من كل الأنواع، [. . .]،

عسل أبيض، عسل مقسّى، [. . .] الأكثر حلاوة،
[. . .] عريضة وسميكة:
أرسلها إنليل إلى إيريش.
[. . .]، التمور، التين، الرمان الثقيل، [. . .]،
الكرز، الخوخ، جوز «الخلوب»(١) الفستق، تمر البلوط،
سِلال من تمور بلاد دلمون في أقراطٍ داكنة اللون،
الرمّان ذو الحب العريض
العناقيد المثقلة بباكورة العنب،
الثمار المستجلبة وهي على أغصانها،
فروع الأشجار المثمرة [. . .] الشتوية،
ثمار البستان المختلفة:
أسرع إنليل بإرسالها إلى إيريش،
أحجارٌ كريمة (؟) من «خَرَالي»(٢) البلد النائي،
[. . .] مأخوذة من مستودعات [. . .]
الياقوت الأصفر، الذهب، الفضة، [. . .]،
مستخرجات البلد المرتفع:
أسرع إنليل بإرسالها جميعاً في أحمالٍ ثقيلة إلى إيريش

أخت إنليل ونوسكا رسوله يرافقان القافلة

نينماخ(٣) ورسول إنليل، رافقا،
الهدايا الشخصية والثروات التي أرسلها.
عالياً في السماء، ارتفع غبار قافلتهما
وكأنه الغيم الكثيف الماطر،

(١) (Ḫalub) وردت سومرياً وفق هذا اللفظ.
(٢) (Ḫarali) البلد النائي (؟).
(٣) لقب آرورو أخت إنليل ومعناه السيدة ذات السمو.

وقبل أن تصل هدايا العرس التي لا حصر لها
إلى نانيبغال في إيريش،
امتلأت بها المدينة حتى الطفحان،
حتى تدفق [. . .]
الدروب الأكثر انعزالاً [. . .]
أكداس الـ [. . .]
(الأسطر (١٣٣ ـ ١٣٦) غير مقروءة وغير قابلة للاستثمار).

تمنيات نيسابا لسعادة ابنتها سود

عَامَل نوسكا بكل لياقة
نايبغال، حماة إنليل
التي سبق أن أهانها هذا الأخير.
ولكن دون أن تعير اهتماماً لنواياه،
توجّهت السيدة إلى ابنتها (قائلة):
«سوف تكونين إذن زوجة إنْليل المفضّلة
آمل أن يعاملك بجدارة!
أن يحتفظ بك بين ذراعيه، أنت الأجمل بين الفتيات،
وأن يقول لك: «حبيبتي!
دعيني آخذ جَسَدك!»
لا تنسي المداعبات (الغرامية)!
دعي زَمَنها يَطُلْ كثيراً!
تَجَامَعَا على الرابية:
أنجبا أولاداً!
ليسبقكِ الرخاء، لدى دخولك إلى بيته لتعيشي
ولترافقك البهجة!
وليرسمَ لك الشعبُ بكامِلِهِ طريقكِ

ولـ [. . .] الشعب من تلقاء نفسه!
ليتحقق المصير الذي قدَّرتهُ لك:
أدخلي بإباء البيتَ الجليل!»

آرورو ترافق سود إلى عريسها

أمسكت آرورو بيد سود
وأدخلتها في الإيكور البراق[١]
نثرت على وجهها العطور الأكثر طيباً!
وفي غرفة العروسين، وفوق فراشٍ تزينه الزهور
معطّرٍ وكأنه غابة أرز،
جَامَعَ إنليل زوجته، وتنعّم بلذةٍ فائقة!
ثم من على عرش سيادته،
إنتصب واقفاً لكي يبارك زوجته.
هكذا قرر الإلّه ذو الكلمة (المقدّسة)
مصير السيدة التي اختارها قلبه،
أطلق عليها اسم نينتو:
«السيدة التي تلد»
وفي الوقت نفسه «السيدة التي تفتح فخذيها ركبتيها!»
(للولادة)
عهد [. . .]
عهد إليها كذلك بوظائف الأمومة
وكل ما يرتبط بالمولّدات
اللاتي يجب ألاّ يَراهُنّ أي رجل (أثناء عملهن)!
أولاها المكانة المعدّة لها وفقاً لتلك الصفة،
علوّ الشأن والحظ:
«من الآن فصاعداً (هكذا قال) سوف تصبح

(١) معبد إنليل في نفّر ومعناه بيت الجبل.

هذه المرأة [. . .]
هذه المرأة التي أتت من مكان آخر
سوف تكون سيدة بيتي!»

إنليل يعهد إلى سود حماية الزراعة

زوجتي الفاتنة الجمال، التي ولدتها نيسابا المقدّسة
سوف تكون أيضاً أشنان[١]:
الحَبُّ ـ الذي ـ يَنبت، حياة سومر!
عندما تظهرين بين الأثلام،
وكأنك فتاة جميلة
سوف يهتم بك إيشكور[٢]، سيد المياه
وسوف يُسيِّل لك المياه المسحوبة من الأرض!
أول كتّانك وأولى سبلاتك،
سوف يحدّدان بداية السنة!
{أنا وأنتِ، سوف ننجب من الأولاد
العدد الذي نريد،
مع عدوٍ وحيد، عدوّ لن أتلفّظ باسمه
والذي سوف يتناقص عدد أتباعه!}[٣]
ومع ذلك فإن الحصاد، العيد الكبير لإنليل
سوف نحتفل به بكل فخرٍ تحت السماء!

إنليل يعهد لسود كذلك حماية فن الكتابة

وبالإضافة إلى ذلك، فإن فنّ الكتابة

---

(١) (Ashnan) إلّهة الحبوب مثال (Céres) سيريس الرومانية.
(٢) (Ishkur) الإلّه المكلف بالري.
(٣) أوْرَدَ الناسخ خطأً هذا المقطع الذي لا علاقة له بالنص.

والألواح تزيّنها الإشارات،
القلم وحاملة ـ الألواح،
المحاسبة وعلم الحساب وحبل المساحة
وال [. . .]
أوتاد القيّاس، شريط القياس
وتثبيت التخوم، وتخطيط
الأقنية والسدود.
كل ذلك سوف يكون من اختصاصك! وسوف
يقابلك المزارعون بالمثل تبعاً لمكاسب حقولهم!

إنليل يطلق على سود اسم ننليل

أيتها المرأة التي يُفتخر بها،
أنت أكثر علواً من الجبال.
لك سيادة تحقيق كل ما ترغبين!
من الآن فصاعداً، يا سود، ولأن الملك هو إنليل
فإن ننليل سوف تكون الملكة:
إلّهة دون مجد أصبح لها اليوم اسمٌ شهيرٌ!
سوف توزع المراعي (؟)
بينما ال [. . .]، سوف يقدمون لها
القرابين المستمرة:
ولكل من يعتني بها [. . .]،
سوف تقرّر له مصيره
وفي كل مرة تقدم الهدايا إلى معبد نفّر،
سوف يتعالى فيه ذلك الهتاف المقدس!
المجد لإنليل وننليل!

(٤) ـ أنكي ونينماخ:
المنافسة

يشير هذا النص، الذي ليس من السهل فهم جميع معانيه ومدلولاته إلى موضوعات مهمّة، كوضع الآلهة قبل خلق البشر وما سَوّغ بعد ذلك خلق البشر أو صناعة البشر لأن عملية الخلق تمت كأنها صناعة تستعمل قالباً من الصلصال تصوّره أنكي[١] الإلّه الذكي والحكيم والفطن والماهر في التصوّر والصنع وذلك بناء على طلب أمه نامّو[٢] الأم البَدْئية، أمُّ الآلهة جميعاً. ويشير النص إلى دورٍ مهمّ لكل من الإلّهة ـ الأم نامّو ونينماخ[٣] قرينة أنكي وسبع مساعدات من الإلّهات الثانويات للإشراف على الولادة أو لإعارة الرحم. ولا يفصّل النص هذا الدور مع الأسف وينتقل بعد ذلك إلى نوع من النقاش والمنافسة بين أنكي ونينماخ في تقرير مصير ووسائل معيشة خلائق غير مكتملةً أو مشوهة أو ذات عاهة ويحاول النص عرض بعض الحلول لتلك الحالات التي عرفها البشر...

يتألف النص من ١٤١ سطراً، ويمكن إعادته بالنسبة للغته ومفرداته إلى مرحلة تأليف متأخرة (بابلية قديمة: حوالى ١٩٠٠ ق. م).

حالة الكون العامة قبل خلق البشر وشكوى الآلهة

1 في تلك الأيام، عندما، كان ما في الأعلى وما في الأسفل[٤]
قد تمّ [فصلهما].
في تلك الليالي، عندما، كان الأعلى والأسفل
قد تمّ [تفريقهما]
في تلك السنة، عندما كانت مصائر (الآلهة)
قد قُرّرت،
عندما جيىء بالأنونّا إلى الوجود في العالم

(١) (Enki) إلّه المياه السفلية العذبة حاملة الأرض وإلّه الذكاء ومهارة الصنع.
(٢) (Nammu) والدة أنكي الأم البدئية.
(٣) (Nin-maḫ) قرينة أنكي ومعنى اسمها السيدة الفائقة السمو.
(٤) في السماء وعلى الأرض..

والإلّهات عندما تمّ الاقتران بهنّ (؟)
وأخذت كل منهن نصيبها:
من هنّ في الأعلى ومن هنّ في الأسفل،
وكان قد تمّ إخصابهن وكنّ
قد أصبحن أمّهات.
وحين كان يتوجب على الآلهة الاستحصال على طعامهم
عمدوا إلى العمل جميعهم (؟):
وآلهة المرتبة الثانية كُلِّفوا بأعمال السخرة
فحفروا الأقنية وكدّسوا التربة
وكانوا يقومون بطحن الحبوب:
ولكنّهم كانوا يشتكون من سوء مصيرهم
بينما كان «الذكاء ـ الخارق»
صانع (؟) جميع الآلهة العظام
(بينما كان) أنكي في عميق (مقرّه) إنجور الجيّاش[١]
حيث لا يمكن لأي إلّه إلقاء نظرة عليه
كان دائم الاسترخاء على فراشه:
لا يتوقف عن النوم!
والآلهة تستمر في الأنين والاعتراض:
«إنه هو سبب شقائنا
هو الذي يبقى مستلقياً (على فراشه) للنوم
ولا يغادره قط!»

فكرة إيجاد من يعمل عوضاً عن آلهة السخرة

عند ذلك (نقلت) نامّو الأم البَدْئية

(١) (Engur) مقر أنكي في الأبسو (Apsu) وهو محيط المياه الحلوة حيث تطفو الأرض.

مولِّدة الآلهة جميعاً،
نقلت لابنها أنكي الشكاوى (قائلة):
«أنت تبقى مضّطجعاً، لتغرق
دون انقطاع في نومك.
لكن الآلهة، الذين ولدتُهم أنا، يتّهمون!
غَادِرْ فراشك يا بني،
ومارس مواهبَك بذكاء
لتصنعَ من يحل محل (؟) الآلهة
لكي يتوقفوا عن العمل!»

أنكي ومشروع خلق البشر

لدى استماعه كلمةَ أمهِ نامّو
غادرَ أنكي فراشه
وبعد أن قام [. . .]
الذكي والحكيم والفطن [. . .] والماهر
صانع كل شيء، (قام) بإعداد قالب[1]
وضعه بالقرب منه ودرسه بإمعان
وعندما توصّل أنكي الصانع بشكل طبيعي،
توصل إلى إنجاز مشروعه بدقة (؟)
توجّه عند ذلك إلى أمه نامّو:
أماه، المخلوق الذي فكّرتِ به
هو ذا جاهز للقيام بالعمل من أجل الآلهة!
عندما تعمدين إلى عزك كتلة
من الصلصال تَستخرجينها من ضفاف الأبسو

(١) ما يماثل النموذج الأوليّ في الصناعة.

سوف نعطي شكلاً (؟) لصلصالِ ذلك القالب (؟)
وعندما ترغبين أنتِ بنفسك
أن تصنعي له «طبيعَةً» (؟)[١]
سوف تساعدك نينماخ[٢]
وكذلك نين إيمّا وشوزيانّا ونينمادا ونينبارا
35 ونينموچ ومُسارچابا ونينچونا[٣]
سوف يكنّ مساعداتٍ لك!
تقرّرين له بعد ذلك مصيره يا أماه
وتعين له نينماخ مهمة العمل من أجل الآلهة!

الأسطر (٣٨ ـ ٤٣) مبتورة وغير مفهومة. ويعتقد أنها كانت تشير إلى عملية خلق البشر التي تمّ تصورها على طراز ولادة بني البشر.

44 وسُرّ أنكي من عملهنّ
وابتَهجن بدورهن!
45 وبسرعةٍ أعدّ احتفالاً
تكريماً لأمه نامّو ولنينماخ!
إلى نامّو (؟) المكلّفة بالقالب الأوليّ (؟)
قدّم طعام الچوساچ[٤] عوَضاً عن الخبز
وإلى آن، وإلى إنليل قدّم الإله نوديمّود[٥]،
قدّم جِدياناً مشوية رائعة!
وجميع الآلهة احتفلوا به (معلنين):

---

(١) الكلمة السومرية تعني حرفياً: أعضاء الجسم أو أطرافه.
(٢) (Nin-maḫ) السيدة الفائقة ـ السمو وهي قرينة أنكي.
(٣) الإلَهات: (Nin-imma) و (Suzianna) و (Ninmada) و (Ninbara) و (Ninmug) و (Musargaba) و (Ninguna) وعددهنّ سبع، هنّ الإلَهات الثانويات وكانت مُهمتهنّ الإشراف على الولادة أو إعارة الرحم.
(٤) (Gusag) بديل عن الخبز لا يعرف معناه.
(٥) (Nudimmud) لقب الإلّه أنكي.

«يا مالك مَهارة الصنع الأكثر اتساعاً
من ذا الذي يزيدك فِطنةً؟
أنكي، أيها الإله العظيم، من ذا الذي يستطيع
محاكاة نجاحاتك؟
كأب وكموَلِّد أنت الذي [. . .] العالم!»

نينماخ تتحدّى أنكي أثناء الاحتفال

وبعد أن كان أنكي ونينماخ
قد استهلكا كمية وافرة من الجعة
وملأت النشوة قلبيهما
قالت نينماخ لأنكي:
«طبيعة (؟) البشر قد تكون حسنة، وقد تكون سيّئة
وأظن أن بمقدوري أن أعين لهم، حسب رغبتي
مصيراً حسناً أو سيئاً!»
فأجاب أنكي نينماخ:
«نعم أنا باستطاعتي تصحيح
هذا المصير الذي تختارين سواء أكان حسناً أم سيّئاً!»
أخذت نينماخ عند ذلك الصلصال من ضفاف الأبسو
والإنسان الأول الذي شكلته به،
لم يكن يستطيع إمساك أيّ شيء بيديه المتصلبتيّ المفاصل
لكن أنكي، أمام هذا الإنسان غير القادر
على إمساك أي شيء بيديه المتصلبتين،
عيّن له مصيراً أن يدخل في خدمة الملك!
أما الإنسان الثاني فقد كان ضريراً
غير قادر على الرؤية.
ولكن أنكي أمام هذا الإنسان الضّرير

غير القادر على الرؤية
عينّ له فن الغناء مصيراً
وجعل منه المنشد الأول لأوشومجال[١]
أمام الملك!
أما الإنسان الثالث الذي صنعته [. . .]
(كان) مشلول الساقين.
ولكن أنكي أمام هذا الرجل [. . .] المشلول الساقين
عينّ له شيئاً من البهاء الخارق للطبيعة
كما لو كان ذلك لـ [. . .] من الفضة!
والرابع الذي صنعته، لم يكن بمقدوره الاحتفاظ
بمنيّه (كما ينبغي)
ولكن أنكي، أمام هذا الرجل الذي لم يكن
بمقدوره الاحتفاظ بمنيّه
شَفَاهُ باغْتسالٍ مع تَعْويذٍ خاص.
والخامس الذي صنعته كان امرأة
غير قادرة على الإنجاب
ولكن أنكي أمام تلك المرأة
التي لا تقدر أن تنجب
عين لها مصيراً، أن تبقى في «بيت الحريم»[٢]
الإنسان السادس (الذي صنعته) لم يكن له لا قضيب ذكر ولا فرج أنثى
ولكن أنكي أمام هذا الإنسان الذي
لم يكن له قضيب ذكر أو فرج أنثى

(١) (Ushumgal) التسمية السومرية للتنين وهي صفة من صفات ملك الآلهة على ما يظهر تستعمل للتفخيم.

(٢) قد يعني ذلك: الماخور أو بيت المومسات.

أطلق عليه تسمية إنليل ـ كيجال (؟) وعيّن له مصيراً
أن يبقى تحت تصرّف
من سَيُعيّنه إنليل ملكاً!
وهكذا تمكّن أنكي من «وضع القمين (؟) أرضاً (؟)»
وتصرّف بموهبة (فذّة) (؟)
والإلّه العظيم أنكي قال عندئذٍ لنينماخ:
«عيّنت مصيراً لكل من صنعت
ومنحتهم وسيلةً لمعيشتهم!
سوف أصنع بدوري (مخلوقاً):
وعليكِ أنتِ كذلك تعيين مصيرٍ له!»
قام أنكي إذن بصنع ما يشبه الرأس (؟) [. . .]
مع فمٍ (؟) في الوسط (؟)
وقال لنينماخ:
«المنيّ حين سُكبَ في أحشاء
امرأة جعلها حاملاً!»
وساعدت نينماخ على الولادة:
فوضعت المرأة شيئاً يُشبه الرأس (؟) [. . .]
مع فمٍ (؟) في الوسط (؟)
وأصبح بعد ذلك ما يسمى «أومول»[١]: رأس خامد،
[. . .] خامد،
نفس قصير، قفص صدر غير مكتمل (؟) وزوّر خامد
وقلب خامد وبطن خامد،
ويدان غير قادرتين على الإمساك بالرأس وعلى تغذية الفم،
وصلب يُحنى بصعوبة،

(١) بالسومرية (Umu-ul) ومعناه «يومي بعيد»، وهو المخلوق الغريب الشكل الذي صنعه أنكي.

وكتفان منهارتان، ورجلان غير قادرتين على السير حافيتين (؟)!
وتوجّه أنكي إلى نينماخ (قائلاً):
«عيّنتُ مصيراً لكل من صنعتِ
ومنحتهم وسيلة لمعيشتهم:
وأنت بدورك عيّني مصيراً لما صنعت
وامنحيه وسيلةً لمعيشته!»

نينماخ تفشل

استدارت نينماخ عندئذٍ نحو «الأومول» وتأملته
اقتربت منه ونادته
ولكنه لم يستطع الإجابة
قدّمت له خبزاً
ولكنه لم يستطع تناوله:
لم يكن قادراً على [. . .]
إذا كان واقفاً، لم يكن قادراً على الجلوس أو الاستلقاء،
وكان غير قادر أن يعدّ لنفسه مأوى أو غذاءً!
ولذلك فقد أجابت نينماخ أنكي:
«إن ما صنعته هنا ليس بالحيّ ولا الميت،
إنه غير قادر على عمل أي شيء!»
ولكن أنكي ردّ على نينماخ:
«للرجل ذي اليدين المتصلبتين، عيّنت مصيراً
ومنحته وسيلة لمعيشته!
للرجل الضرير، عيّنت مصيراً
ومنحته وسيلة لمعيشته!
للرجل ذي الساقين المشلولتين عيّنت مصيراً
ومنحته وسيلة لمعيشته!

للرجل الذي كان يفقد منيّه، عيّنت مصيراً
ومنحته وسيلةً لمعيشته!
للمرأة غير القادرة على الإنجاب، عيّنت مصيرها
ومنحتها وسيلة لمعيشتها!
للمخلوق بدون قضيب ذكر ولا فرج أنثى عيّنت له مصيراً
ومنحته وسيلةً لمعيشته
والآن أيتها الأخت، [عيّني إذن مصيراً
لما صنعتُ وامنحيه وسيلة ليعيش!]»

السطران (١١٠ و١١١) مفقودان).

112 نينما [خ، أجابت عندئذٍ أنكي (؟)]:

الأسطر (١١٣ ـ ١٢٢) التي كان حتماً يُتابَع النقاش من خلالها، تلقي بفقدانها غموضاً على النص مؤسفاً.

والأسطر (١٢٣ ـ ١٢٨): من الصعب تفهم كامل معناها ويُعتقد أنها تسرد شكوى نينماخ لأنكي بأنها تركت مدينتها ومعبدها بسبب الهجوم عليهما واضطرت للالتجاء إلى الإيكور[١] ولا يُفهم سبب وجود هذا المقطع هنا. إلا أن فشل نينماخ كان على ما يظهر أكيداً.

أنكي يعلن فشل نينماخ ويمجّد نفسه

129 أجاب أنكي، نينماخ عندئذٍ:
«من يشكّ (؟) بالكلمات التي خرجت من فمك؟
أبعدي فقط «الأومول» عن حضنك
(أبعدي) هذا المخلوق العاجز! (الإلّه)
[...] ألقى على ما عملتِ نظرةً راضية [...]!
من يستطيع إذن معارضته؟
خذي [...] ي وضعي يدك على فمك!»

---

(١) (Ekur) معبد إنليل في نفّر ومعناه: بيت الجبل.

ولنحتفل بمقدرتي ـ الخلاّقة (؟)
المتألقة بمهارة ـ الصنع
ليقم إذن إنكوم ونينكوم[١]
بإنشاد المدائح لي
[اعترفي (؟)] بتفوقي أي أختي،
مجِّدي [. . .
وليشيِّد لي الآلهة معبداً لدى إعلامهم]
بقضية «الأومول» هذه!»
وهكذا لم تستطع نينماخ منافسة أنكي
أي أنكي المبجّل، الاحتفال بك متعة!

(١) (Enkum) و (Ninkum) رجل وامرأة لهما رتبة سيد وسيدة ربما كانا منشدي الآلهة.

(٥) ـ أنكي وبلاد سومر[١]

52 عندما يقوم أنكي الموقّر، باجتياز الأرض المبذورة،
تنتج (هذه الأرض) حبوبها بكثرة!
عندما يزور نوديمّود[٢] نعاجنا الحوامل،
تلد (عندئذٍ) الحملان السمان!
عندما يأتي لزيارة بقراتنا الخصيبة،
تلد (عندئذٍ) العجول الممتلئة الجسم!
55 عندما يأتي لزيارة عنزاتنا الولودة،
تلد (عندئذٍ) جدياناً وافرة اللحم!
عندما تأتي لزيارة حقولنا وأريافنا
تجعل الحبّ يتجمّع أكواماً وأكداساً على
السهل المرتفع.
وحين تقترب منها، ولو قليلاً
فإن الأماكن الأكثر جدباً في البلاد
[تتحول إلى مراعٍ مخضوضرة!].
[. . .]
250 بعد أن حول أنكي نظره
عن جميع هذه الأماكن
وعندما وجه أنكي الموقّر نظره إلى الفرات
رفع قامته وكأنه ثور متلهف،
نصّب قضيبه ودفّق منيّه.

(١) نقتطف هنا الفقرات المرتبطة بماء الخصب والإخصاب، عن قصيدة طويلة سوف تنشر كاملةً في الكتاب الثالث تحت عنوان: «أنكي ينظم البلاد».
(٢) (Nu-Dim-Mud) لقب الإلّه أنكي ومعناه: الذي هو مختصّ بمهارة الصنع والخلق.

فملأ النهر بالماء المتلألىء
كما لو كان (النهر) بقرة في المراعي
تخور من أجل عجلها الذي بقي في الحظيرة [. . .]
ثم خَضَعَ له نهر دجلة بعد ذلك
كما يخضع لثور متلهّف
وهو منتصب القضيب يدفع «بهدية ـ العرس»:
وكثورٍ وحشي عملاق في حالة النزو،
جعل دجلة يشعر باللذة
والماء الذي سكبه هكذا، كان متلألئاً
عَذباً ومُسكراً
والحَبُّ الذي أنتجه هذا المكان
كان وازناً ومغذّياً!
فغمر على هذا الشكل مسكن إنليل بالثراء
وبفضل (أنكي) ابتهج إنليل
وعمّت الأفراح نقر[1].

(١) (Nippur) مدينة الإلّه إنليل والعاصمة الدينية القديمة لبلاد سومر، تقع على بعد حوالى ٨٠ كم إلى الجنوب الشرقي من بابل.

(٦) ـ كلمة إنليل هي حياة البلاد

109 «بدون إنليل[١]، الجبل ـ الكبير
لن تقام المدن ولن تُرفَع البيوت،
ولن تُبنى الحظائر ولن تُشيّد الزرائب. . .

115 ولن يَحمِلَ الفيضان الغمر المبارك. . .

117 والبحر، لن يمنح كنوزه السخيّة!
ولن تأتي أسماك البحر لتضع بيوضها في وسط المستنقع،
ولن توزع طيور السماء أعشاشها على الأرض الفسيحة!

120 وفي السماء، لن تفتحَ الغيوم المحمّلة بالمطر، ثغراتها!
ولن يُثقل الحصادُ الوفير، الحقولَ والمروج!
ولن يُزيِّن بعد ذلك السهوبَ، العشبُ والشجيرات!
وفي البساتين، فإن «أشجار ـ الجبل» الكثيفة،
لن تحمل ثمارها!

126 ولن تلدَ البقرات في الزريبة،
وفي الحظيرة لن تضع النعجات حِملانها!
والبشرية، هذه الجموع العاجّة، لن تستمر في [. . .]!
ولن تسعى الحيوانات المفترسة ورباعيات القوائم
على إطعام صِغارها.

130 ولن تقبل حتى التسافد فيما بينها!»

أما كلمة إنليل التي لا مردّ لها، فيضيف الشاعر بصددها:

---

(١) (Enlil): سيد مجمع الآلهة السومري القديم معبده الرئيسي في مدينة نفّر (Nippur) ويعني اسمه «سيد ـ الهواء» وهو أحد الآلهة الرئيسيين الثلاثة آن (An) إله السماء وأنكي (Enki) سيد الأرض.

«إن هي مسَّت السماء: فهذا هو الفيض
إذْ تنسكبُ من الأعالي الأمطار الغزيرة!
ولئن مسّت الأرض: فهذا هو الرخاء
فمن الأسفل تطفح الثروات!
كلمتك هي النباتات! كلمتك هي الحَبّ!
كلمتك هي الفيض: حياة البلاد جمعاء! . . .»

(٢) ـ الماشية والحبوب

(٢ ـ ١) ـ على الأرض الفسيحة

بالماء يملأُ المجاري والأنهار، وعلى الأرض الفسيحة ينزلُ من أعالي السماء، خلقت الآلهة الخضار والنباتات وأُعدَّ البشر خلقاً لتحرير الآلهة من أعباء المعيشة اليومية، تأمين الطعام والشراب في المعابد، لكي يتفرّغوا لمهامهم في تسيير الكون وحفظ نظامه وانسجامه.

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحدّ، ففي السماء تمّ خلق الإلّهتين، الشقيقتين: لاهار[١] النعجة، وأشنان[٢] الحبوب وأرسلتا على الأرض الفسيحة لتحقيق مهمّة نبيلة[٣]. ثم تدخل الإلّه إنليل فخلق أخوين هما الصيف والشتاء، وأعطى لكل منهما دوراً، فتكاثرت النعاج وتكاثرت البقرات وعمّت البهجة السهوب. امتلأت الأهوار ببيوض الأسماك وبنت العصافير أعشاشها موزعةً على الأرض الفسيحة، كما نمت الأشجار والزروع وتضاعف إلى عشر مرات الحبّ المبذور في الأثلام.

تكاثر القطيع وتكاثرت الزروع وشُيّدت البيوت في كل مكان من البلاد وأقيمت المعابد[٤] الراعي والفلاح، أصبحا بذلك دعامتي البلاد. وهذا هو نينورتا[٥] «فلاح إنليل»، يجعل الماء

---

(١) (Lahar) إلّهة المواشي.
(٢) (Ashnan) إلهة الحبوب.
(٣) انظر النص رقم (٧).
(٤) انظر النص رقم (٨).
(٥) (Ninurta) ومعنى اسمه سيد الأرض.

المنعش يسيل في المجرى والحبّ المليء ينبت في الحقول وتطفح الأثمار حلاوة في البساتين المروية[١] . . .

أما إنانا[٢] ملكة السماء المتألقة، حين قررت يوماً النزول على الأرض. . . دخلت لترتاح في ظل بستانٍ وريف ونامت إنانا الجميلة، ولكن عين البستاني، بستاني أنكي، كانت تراقبها. وفي غفلةٍ منها اغتصبها البستاني وعاد إلى الطرف الآخر من بستانه. . . تلك كانت أول مغامرة أرضية لإنانا تحدث دون إرادة منها. . . وعند ذلك: «أيّة كارثةٍ لم تثرها إنانا بسبب فرجها المهان» هذا ما يرويه لنا النص رقم (١٠) بالإضافة لما يحتويه من معلومات حول فنّ البستنة وصدّ الرياح منذ ذلك الوقت.

---

(١) انظر النص رقم (٩).

(٢) (Inanna) إلهة الحُبّ السومرية وهي ابنة الإلّه القمر نانا (Nanna) وأخت الإلّه الشمس (Utu) أوتو ويرمز إليها كوكب الزهرة.

(٢ ــ ٢) ــ على الأرض الفسيحة

النصوص (٧ ــ ١٠)

(٧) ــ خلق إلَهتي الماشية والحبوب

(٨) ــ الأخَوَان: الصيف والشتاء

(٩) ــ نينورتا فلاح إنليل

(١٠) ــ قصاص بستاني أنكي
الذي اغتصب إنانا

(٧) ـ خلق إلَهتي الماشية والحبوب[١]

إنليل، سيد مجمع الآلهة وأنكي إلَه الأبسو (المياه الحلوة الباطنية) وإلَه الذكاء ومهارة الخلق. إنليل وأنكي يقومان بخلق إلهتين شقيقتين هما لاهار (النعجة) وأشْنَان (الحبوب). كُلِّفت لاهار بالسهر على تكاثر الماشية الصغيرة واشنان بالإشراف على نمو الحبوب وأُرسلتا إلى الأرض الفسيحة لتحقيق مهمتهما.

6 لم تكن هناك نعجة: ولم يكن يولد أي حمل!
لم تكن هناك عنزة: ولم يكن يولد أي جدي!
لم تكن هناك أية نعجة لكي تضعَ حَمَلَها
ولا عنزة من أجل جديانها الثلاثة! . . .
12 ولم يكن موجوداً شيش ـ الثلاثون ـ يوماً
ولا شيش ـ الأربعين ـ يوماً[٢]
ولم يكن موجوداً، «الحبّ ـ الصغير» ولا
«حَبّ ـ الجبال» ولا «الحبّ الممتاز»

عند ذلك عمد الإلهان إنليل وأنكي إلى خلق الإلهتين الشقيقتين لاهار (النعجة) وأشنان (الحبوب).

41 تمركزت لاهار في حظيرتها
وكراعيةٍ جعلت القطيع يزداد أهميةً
كما استقرت أشْنان قرب حاصلاتها
كامرأة فتية لطيفة وجذّابة!
45 وهكذا تمكّنتا من إنتاج
الوفر الآتي من السماء. . .
47 ومن أجل الجموع الغفيرة، حقّقتا الكثرة،

---

(١) مقتطفات، وسوف نقدّم النص الكامل من الكتاب الثاني من هذه المجموعة.
(٢) (Shesh) هكذا وردت في النص ويتعلق الأمر بنوع من الخضار.

وجلبتا إلى البلاد الحياة،
محققتين «العجائب» الخارقة
50 وكثرتا على هذا الشكل ـ احتياطات التخزين! . . .
62 وحتى إلى بيت الفقير الممتلىء بالغبار
دخلتا، جالبتين إليه الوفر!
وكلتاهما، أينما كانتا
65 تمنحان كل بيت رخاءً متزايداً:
أينما وجدتا، إنهما تُشْبعان! أينما
وُجدتا إنهما تُجزِلان في العطاء
وبذلك أبهجتا قلب كلٍ من آن[١] وإنليل

ثم يظهر بعد ذلك خلاف بينهما حول من هي الأفضل؟، ويصل ضجيج نزاعهما ومنافستهما إلى المزارع والحقول فيتدخّل في النهاية الإلّهان إنليل وأنكي، ليضعا حدّاً لهذه المنافسة بإعلان تفوق أشنان إلّهة الحبوب والزراعة.

(١) (An) إلّه السماء وهو «الإلّه البعيد» بالمعنى الميتي الذي يترك لغيره من الآلهة الاهتمام بما يرتبط بالأرض والبشر.

(٨) ـ الأخَوَان: الصيف والشتاء
إيميش وإينتين[١]

عندما قرر الإلّه إنليل توفير الأشجار والحبوب من مختلف الأنواع ونشر الرخاء والكثرة على الأرض، عند ذلك، كما تقول إحدى القصائد السومرية، عمد إلى خلق الأخوين إيميش (الصيف) وإينتين (الشتاء) محدِّداً لكل منهما دوره. ومنذ ذلك الحين كان كل منهما يقوم بمهمته:

«إينتين كان يجعل النعاج والماعز تلد صغارها.
كثّر البقرات والعجول ووفّر بسخاء السمن واللبن
وفي السهوب، جعل البهجة تعمّ العَنْز البرّي والأرويّات
والحمر الوحْشية!
ووزّع أعشاش الطيور على كامل الأرض الفسيحة
وجعل الأسماك تضع بيوضها في (هور) القصب!
وفي مزارع النخيل والكروم، ضاعف الحلاوة والخمرة!
غطّى بالخضرة البساتين، وجعل زروعها تتكاثر.
كما ضاعف عشر مرات الحبّ في الأثلام.
وجعل أشنان[٢] تنمو بشكل رائع كفتاةٍ
جذّابة.
أما إيميش، فقد نمّى الأشجار والزروع ووسّع
المذاود والحظائر!
وضاعف إنتاج المزارع وغطّى الأرض بالـ [. . .]،
كما أتى بحصادٍ غني ليُكدّسَ في العَنابر،
ودفع إلى بناء المساكن والتجمعات السكنية وإلى
إشادة البيوت في كل مكان،
وإلى إقامة معابد تضاهي الجبال في شموخها! . . .»

---

(١) Emesh و Enten.

(٢) (Ashnan) إلهة الحبوب وهنا بمعنى الحبوب.

(٩) ـ نينورتا فلاح إنليل

قبل أن يصبح نينّورتا بطل المعارك الصعبة والانتصارات[١] كان نينورتا، ويدلّ اسمه على ذلك ومعناه «سيد ـ الأرض» كان يلقب «بفلاح إنليل» وهذا النشيد يمجّده على هذا الأساس.

وجه اللوحة

«أيتها البذرة الخَصِبَة! يا نطفة مُخصبةً!
يا ملكاً أعلن إنليل عن اسمه!
أيتها البذرة الخصبة! يا نطفة مُخصبة!
نينورتا الذي أعلن عن اسمه إنليل
يا مليكي: أريد ترديد اسمَك وتكراره!
نينورتا، أنا، خليقتُك، خَليقتك،
أريد ترديد وتكرار اسمك!
النعجة ولدت، النعجة ولدت صغيراً مختاراً:
أريد ترديد وتكرار اسمك...

ظهر اللوحة

... طالما كان ملكاً...
في المجرى كان يسيل ماء منعش
وكان حَبٌّ مليء ينبت في الحقول
كان المستنقع يَمُورُ بالأسماك...
والقصب «القديم» و «الجديد» كانا ينموان
في مزرعة القصب،
وكانت الغابة تعجّ بالعنز البري والوعول،

---

(١) انظر في الكتاب الثالث نص نينورتا يخضع شعْب الحجارة.

و (المشچور)[1] كان يعلو في السهول المرتفعة
وكانت البساتين المروية تطفح حلاوة وخمراً،
وفي القصر كانت الحياة المديدة تتمطّى...».

(١) المشچور (Mashgur): نوع من الشجر ومن المحتمل أن يدل على الطّرفاء.

(١٠) ـ قصاص بستاني أنكي الذي اغتصب إنانّا

يزخر هذا النص بحوادث ومناسبات مهمّة وذات مغازٍ تستوقف القارىء، إذْ يحتوي على قرار إنّانا ملكة السماء النزول على الأرض بغية تحقيق مهام ترتبط بالبشر، كما نرى أنكي يتوجّه إلى غرابٍ يقوم بعمل بستاني وكأنّه رجل، طالباً منه اتّباع عَمَلية زراعية تؤدي إلى خلق شجرة النخيل، الشجرة المقدسة. وبعد ذلك يظهر بستاني بشري باسم «شوكاليتودا»[١] يهتم بأعمال البستنة، إلا أن الريح والجفاف يعارضانه، فيبتدع غرس أشجار حماية تظلّل وتصدّ الرياح. وفي ظلال هذا البستان الوريف حطت إنّانا رحَالها لترتاح وفي عذوبة جو الرطوبة التي حقّقها شوكاليتودا بستاني أنكي. نامت إنّانا، نامت إنّانا الجميلة وعين البستاني تراقبها. وفي غفلةٍ منها والنوم يمتلكها تقدم منها البستاني وجامعها ثم عاد إلى الطرف الآخر من بستانه. وحين استيقظت إنّانا في الصباح وعرفت ما حلّ بها فتشت عن مغتصبها دون جدوى، وبدأت تنتقم محدثة الأضرار في البلاد لكي يُسلّم إليها المذنب ودون جدوى أيضاً، لأن البستاني اتّبع نصح أبيه الذي قد يكون أنكي نفسه واختلط بسكان المدن الكثيري العدد. اختلط بإخوانه ذوي الرؤوس السوداء، كما يقول النص، ولم توفق إنّانا إلى كشفه وتعتبر أن أنكي يساعد المعتدي. وفي النهاية تذهب لمقابلة أنكي وتطلب منه تسليمها شوكاليتودا واعدةً أن تحمله دون أذىً إلى مقرها السماوي وهكذا يتحوّل البستاني إلى [نجم (؟)] في السماء. إلا أن ذكراه كما تعده بذلك إنّانا تبقى على الأرض في قصائد الشعراء تُردد في قصور الملوك وفي أغاني الرعاة وهم يمخضون قربة الحليب.

وصلنا هذا النص على لوحتين مستقلتين تحتوي كل واحدة، على عشرة أعمدة. وتعودان إلى الثلث الأول من الألف الثاني قبل الميلاد. ويقع النص في حوالى ثلاثمائة سطر.

إنانا تقرر النزول إلى الأرض

I السيدة ذات الصلاحيات العظيمة،
الجديرة بأن تجلس على المنصّة ـ
إنانا[٢] ذات الصلاحيّات العظيمة

---

(١) (Shukaletuda).

(٢) (Inanna) إلّهة الخصب والحب، أبوها الإلّه القمر Nanna ومدينتها أوروك (Uruk) لقبها سيدة السماء والأرض ويرمز إليها كوكب الزهرة.

الجديرة بالتربّع على المنصّة
إنانا التي تشغل معبد إيانا المحبّب
هذه المرأة - الفتية أرادت يوماً النزول إلى هذه الدنيا
إنانا المقدّسة أرادت النزول إلى الأرض!
وذلك للتفريق بين الأشرار والأبرار، ولسبر القلوب في البلاد،
والفصل بين الحق والباطل. من أجل ذلك
قررت النزول إلى الأرض!
كم من قصة نسجت حول ذلك!
وكم مِن رواية كذلك ردّدت!
كانت هي السيدة الممتطية الثور السماوي المقتدر
والشهيرة بصلاحيّاتها! -
إنانا الراكبة على الأسد الأ [رضي] العظيم
والشهيرة بصلاحياتها!
كم من قصة نسجت حول ذلك!
وكم من رواية كذلك ردّدت!
عندئذٍ، وفي ذلك اليوم غادرت الإلّهة السماء [. . .]
بغية النزول إلى الأرض
إنانا غادرَت [السماء] بغية النزول إلى الأرض:
بغية النزول إلى الأرض.
[غادرت] الإيانا[١] في أوروك،
للنزول إلى الأرض.
[وتركت] في زابا [لام][٢] الجيجونا[٣]:
خرجت من الإيانا، [خرجت] من الچيپار[٤]،

---

(١) (Eanna) بيت السماء: معبد إلّه السماء آن في أوروك.
(٢) (Zabalam) مدينة سومرية قديمة تقع شمالي أوروك على بعد حوالى ٨٠ كم.
(٣) (Giguna) معبد إنانا في مدينة زابالام.
(٤) (Gipar) القسم المخصص للكهنة أو للآلهة في المعبد.

بغية النزول إلى الأرض
20 [لبسَتْ] إنّانا الرداء الذي لا شبيه له
رداء الآلهة!
كم من قصة نسجت حول ذلك!
وكم من رواية كذلك ردّدت!

الأسطر (٢٣ ـ ٣٧) مفقودة وحين يستأنف النص، نجد أنكي يتحدّث عن إنانا وكأنه يأمرها بلقائه قبل مباشرة جولتها.

38 «. . . على [إنانا] بعد أن تستعلم
عمّا يتعلق بالأرض الفسيحة
أن تأتي لمقابلتي شخصياً
في مقرّي الأميري (؟)!»
40 كم من قصة نسجت حول ذلك!
وكم من رواية كذلك ردّدت!

الأسطر (٤٢ ـ ٤٨) مفقودة وفي المشاهد التي تليها، نجد أنكي يتوجّه إلى غراب (؟) ويعطيه تعليمات ينتج عنها خلق شجرة النخيل أول شجرة مثمرة في أول بستان على الأرض.

الغراب وخلق شجرة النخيل

49 بعد أن نادى الإلّه [أنكي] الغراب (؟)
وجه إليه هذه الكلمات:
«لديّ كلمة أقولها لك، استمع إليّ أيها الغراب (؟)
أيها الغراب (؟) لديّ ما أبلغك إياه: استمع إليّ!
«كِحْلُ التعويذ في أريدو،
الموضوع في وعاء المرهم من اللازورد
55 والموجود في غرفة بيت الأمير[١]

(١) المقصود هنا هو أنكي متكلماً عن نفسه.

(هذا الكحل) فتّته (؟) ونعّمه (؟)
وازرع حبيباته بين المساكب
بجوار المستنقع - ذي - الكُرّاث!»
كم من قصة نسجت حول ذلك!
وكم من رواية كذلك ردّدت!
60 نفّذ الغراب أوامر سيّده
64 ففتّت (؟) ونعّم (؟)[١]
61 كِحْلَ التعويذ في أريدو
الموضوع في وعاء المرهم من اللازورد
والموجود في غرفة بيت [الأمير]
65 وزرع هذه الحبيبات بين المساكب
بجوار المستنقع - ذي الكُرّاث
[ونتج عن ذلك.. نخلة (؟)]
ومثل هذا النبات في البستان،
الشبيه بالكُرّاث
والذي يذكّر ايراقُه (؟) بورق الكراث
لم يَشْهَدْ ذلك قبلاً أحدٌ قط!
[...]
70 وطائر كهذا الغراب (؟)
الذي أنجز عمل رجل:
قذف في الهواء جرفاتٍ من التربة
لكي يكدّسها،
وقلّب جُرفاتٍ من التربة
لكي يكوّمها،

(١) تم تعديل تسلسل الأسطر بالاعتماد على التعليمات السابقة.

لم يشهد ذلك قبلاً أحد قط!
وبعد كل ذلك، انطلق الغراب (؟) من [. . .]
وتسلق [النخلة] المورقة (؟)
وملأ فمه [بالتمور ذات] الحلاوة
وأخذ ينقر [. . .]
هذه النخلة وليدة مجرى الماء
الشجرة الأبدية، لم يشهدها قبلاً أحد قط!
«لسانها»[1] [. . .] سوف يمنحنا لبّاً
ومن لحيتها ـ ذات ـ الألياف سوف تُنسج الحصر
والرِكْزات المحيطة بها سوف تستعمل كمساطر ـ قياس.
مبارك هو وجودها في الأرض الملكية:
سعفها سترافق التنسيقات الملكية
وأقراط تمورها بين سعفها الكثيفة
سوف توضع كتقدمات.
في معابد أعظم الآلهة!
وطائر مثل هذا الغراب (؟)
الذي أنجز عمل رجل:
قذف في الهواء جُرفاتٍ من التربة
لكي يكدّسها
وقلّب جُرفات من التربة
لكي يكوّمها،
لم يشهد ذلك قبلاً أحد قط!
وهكذا (؟) هذا الطائر، هذا الغراب (؟)
منفذاً لأوامر سيّده

---

(١) لا ندري إذا ما كانت تسمية لسان النخلة تعني قلب النخيل كما نسميه اليوم.

جعل [النخلة] (؟) تظهر إلى الوجود
كم من قصّةٍ نُسجت حول ذلك!
وكم من رواية كذلك رُدِّدت!

البستاني شوكاليتودا يحمي بستانه من أضرار الرياح

في أحد الأيام، [شوكاليتودا]
ـ وذلك كان اسم (البستاني؟) ـ
[ملأت] عيناه الدموع واصفرّ وجهه حزناً:
إذْ كان قد روى جيداً [المساكب]
[وبجوار المربّعات] أعدّ مجاري الماء:
ولكن شيئاً لم ينبت. لماذا؟
لأن [ريحاً عنيفة] انتزعت واقتلعت كل شيء!
وكم سبّبت من أضرار هذه الريح الغاضبة!
[وفي وجه] شوكاليتودا
قذفت الريح بغبار الأرض
حتى التهبت [عيناه]
مما حدا بشوكاليتودا أن يعمل دونما توقف
[رفع عند ذلك نظره (نحو السماء)
وتأمّل نجوم المشرق
ورفع نظره نحو السماء
واعتبر نجوم المغرب
وأخذ حذره من الأرواح التي تحوم منعزلةً
ودرس إشارات [الشياطين
الذين يشردون فُرادى]
وتعلّم كيف يستعمل القدرات (وذلك)،
بالتأمل في المصائر التي قررتها الآلهة،

ثم في خمسة وعشرة مواضع من البستان،
يصعب الوصول إليها
غرس صفّاً (؟) من الأشجار الظليلة:
أشجار صفصاف ذات إيراقٍ كثيف
ظلالها في الصباح
وعند الظهيرة وفي المساء، لا يختفي أبداً

إنانّا تصل إلى البستان الظليل

وفي أحد الأيام، بعد أن اجتازت السيدة السماء
بعد أن اجتازت الأرض
بعد أن عبرت بلاد عيلام والسوبير[١]
بعد أن جَانَبَتْ الممرات الجبلية (؟) المتعرِّجة
منهكة وَصَلت الغانية إلى البستان
وتمدّدت لكي ترتاح!
وفي الطرف الآخر من البستان كان
شوكاليتودا يراقبها!
أمام شقِّها ربطت إنانا على شكل مئزر
الصلاحيات السبع
رتّبت الصلاحيات السبع وكأنها
ستر لشقِّها
[. . .] آما. أو شومجالانّا[٢]، الراعي [. . .]
وقضيبه العظيم الذي [. . .]

(١) (Subir) أو سوبور أو سوبارتو تقع في الشمال من بلاد ما بين النهرين ضمن ما سيكون فيما بعد بلاد آشور.

(٢) (Ama. Ushumgalana) لقب دوموزي. وتفترض الأسطورة أن العلاقة بين إنانا والراعي دوموزي كانت قائمة.

[ثم نامت (؟)]!
ولكن شوكاليتودا حل رباط الستر الواقي
وولجها وجامعها
ثم عاد إلى الطرف الآخر من البستان!
طلع الفجر وأشرقت الشمس
وتفحصت المرأة نفسها عن قرب،
إنانّا تفحصت نفسها عن قرب
وفهمت أنها اغْتُصبت!
وعند ذلك أية كارثة لم تثرها
بسبب فرجها المهان! ـ
وأي (شر) لم ترتكبه إنّانا المقدسة
بسبب فرجها المهان!
ملأَتْ بالدم جميع آبار (البلاد)
جَرّت الدم
إلى أحواض البساتين كلها!
إنْ ذهب خادم لجمع الحطب:
لم يكن يشرب سوى الدم
وإن ذهبت خادمة لجلب الماء،
لم تكن تعود إلا بالدم!
ولم تشرب الرؤوس ـ السوداء كلّها سوى الدم!
وهي، (إنانّا) كانت تقول: «سأكتشف المعتدي عليّ
أينما كان!»
ومع ذلك، وأينما وجد
لم تُخرج قط من أهانها من مخبئه!
كم من قصة نسجت حول ذلك!
كم من رواية كذلك ردِّدت!

شوكاليتودا يطلب مساعدة أبيه (أنكي) لتحاشي عقاب إنّانا

لأن الفتى كان قد ذهب لمقابلة أبيه
ذهب شوكاليتودا وقال لأبيه:
«يا أبي، كنت قد رويت جيداً المساكب
وبجوار المربّعات، أعددت مجاري الماء:
ولكن أيّ شيءٍ لم ينبت. لماذا؟
لأنّ ريحاً عنيفة انتزعت واقتلعت كل شيء:
وكم من أضرار سببت هذه الريح الغاضبة!
ففي وجهي، قذفت الريح بغبار الأرض
حتى ألهبت عيني،
مما حدا بي أن أعمل دونما توقف!
رفعتُ عند ذلك نظري (نحو السماء)
وتأمّلت نجوم المشرق
رَفَعتُ نظري نحو السماء
واعتبرت نجوم المغرب
أَخذتُ حَذَري من الأرواح التي تحوم منعزلةً
ودرست إشارات الشياطين
الذين يشردون فرادى.
تعلمت كيف تستعمل القدرات (وذلك)
بالتأمل في المصائر التي قررتها الآلهة،
ثم في خمسة وعشرة مواضع من البستان
غرست صفاً من الأشجار الظليلة
أشجار صفصاف ذات إيراقٍ كثيف
ظلالُها في الصباح

وعند الظهيرة وفي المساء لا تختفي أبداً!
وفي أحد الأيام، بعد أن اجتازت السيدة السماء
بعد أن اجتازت الأرض
إنانا، بعد أن اجتازت السماء
بعد أن اجتازت الأرض
بعد أن عَبَرت بلاد عيلام والسوبير
وجانبتِ الممرات الجبلية المتعرّجة
منهكةً وصلت الغانية إلى البستان
وتمدّدت لكي ترتاح
وأنا، في الطرف الآخر من البستان، كنت أراقبها
ولجتها وجامعتها
ثم عدت إلى الطرف الآخر من البستان.
وهذه هي الكارثة التي أثارتها المرأة
بسبب فرجها المهان.
وبسبب فرجها المهان،
هذا هو ما ارتكبته إنانا:
ملأت بالدم جميع آبار البلاد
وجرّت الدم
إلى كافة أحواض [البساتين]!
إن ذهب خادم لجمع الحطب
لم يكن [يشرب] سوى الدم
وإن ذهبت خادمة لجلب الماء
لم تكن [تعود] إلا بالدم
الرؤوس ـ السوداء كلها ـ لم تشرب سوى الدم!
«سأكتشفُ من اعتدى عليّ، كانت تكرر،
أينما كان!»

ولكن أنا الذي أهنتها، أينما وُجدتُ
إنها لم تخرجني قط من مكمني!»

نصيحة الأب: الاختلاط بجماهير المدن

(أجابه) أبوه عندئذٍ، أجاب الفتى
وقال لشوكاليتودا:
«يا بني ابقَ بقرب إخوتك سكان المدن
180 اختلطْ دون تردد بالرؤوس ـ السوداء، أمثالك
ولن تجدك المرأة أبداً»!
وبطواعية (عمد شوكاليتودا) إلى البقاء
بقرب اخوته سكان المدن
واختلط تماماً بالرؤوس ـ السوداء، أمثاله
ولم تستطع [المرأة] أن تجده [أبداً]!

الكارثة الثانية

185 وهذه هي الكارثة
التي أوقعتها [المرأة] [للمرة الثانية]
بسبب فرجها المهان
186 بسبب فرجها المهان
هذا هو ما ارتكبته إنانا:
187 وهي راكبة على الغيوم [. . .]،
188 حلّت وثاق الرياح ـ السيئة
وأطلقت التفاف الزوابع:
189 ارتفعت وراءها الپيليپيلي[١]

---

(١) (Pilipili) الرياح المثيرة للعواصف الرملية.

ودوامات الغبار،

191 بينما وقف إلى جانبها في الصحراء

سبعة في سبعة

190 [. . .] من السَحَرة مستجلبي الأذى والشرّ [. . .]

192 وهي (إنانا) تقول: «سأكتشف المعتدي عليّ

أينما كان!»

ومع ذلك، وأينما كان، لم تُخرجْ قط

من أهانها من مخبئه!

لأن الفتى كان قد ذهب إلى أبيه.

195 ذهب شوكاليتودا وقال لأبيه:

196 «يا أبي، المرأة التي حدثتك عنها،

197 هذه هي الكارثة التي أوقعتها

للمرة الثانية

بسبب فرجها المهان ـ

198 وبسبب فرجها المهان، هذا ما أحدثته إنانا:

199 وهي راكبة على الغيوم [. . .]

حلّت وثاق الرياح السيئة

200 [وأطلقت التفاف الزوابع]:

201 ارتفعت وراءها الپيليپيلي[١]

ودَوّامات الغبار

203 بينما وقف إلى جانبها في الصحراء،

سبعة في سبعة

202 [. . .] من السحرة مستجلبي الأذى والشر [. . .]

---

(١) (Pilipili) وردت آنفاً في السطر (١٨٩).

204 وهي تقول: [«سأكتشف] المعتدي عليّ
[أينما كان»]
205 ولكن أنا الذي أهنتها، أينما وُجدتُ
فإنها لم تخرجني قط من مكمني!»

الأب يكرّر توصيته

206 أجابَه أبوه عند ذلك، أجاب الفتى: تكرار
النصيحة نفسها[(١)]

المصيبة الثالثة

207 وهذه هي الكارثة التي أوقعتها المرأة
للمرة الثالثة
بسبب فرجها المهان ـ
208 بسبب فرجها المهان
هذا ما ارتكبته إناثًا:
209 أخذت [. . .] الوحيد
210 وسدّت طرق (؟) (البلاد) كلها،
مسبّبة بذلك [. . .] للرؤوس ـ السوداء!
وأعلنت: سأكتشف المعتدي عليّ
[أينما كان!]
ولكن، أينما وجد، فإنها لم تخرجه قط من مخبئه

الزيارة الثالثة للأب

لأن الفتى كان قد ذهب للقاء أبيه
215 شوكاليتودا، كان قد ذهب وقال لأبيه

---

(١) تحاشى الناسخ من تكرار النص حرفياً مرة أخرى، فكتب بالسومرية: «كي ـ مين» بمعنى كما تقدم أو كما ذكر آنفاً.

«[يا أبي] [هذه المرأة التي حدثتك عنها
تلك هي الكارثة التي أحدثتها
للمرة الثالثة
[بسبب فرجها المهان]
[وبسبب فرجها المهان
هذا هو ما ارتكبته [إنانّا]
أخذت [. . .] الوحيد
وسدّت طرق (؟) (البلاد)
مسبّبةً بذلك [. . .] للرؤوس ـ السوداء:
وردّدت: سأكتشف المعتدي عليّ
أينما كان
ولكن، أنا الذي أهنتها، أينما وجدتُ
فإنها لم تخرجني من مكمني!»

النصيحة نفسها

أجاب الأب عند ذلك الفتى
وقال لشوكاليتودا:
«يا بنيّ، إبق بقرب إخوتك سكان المدن
اختلط جيداً بالرؤوس ـ السوداء، أمثالك
ولن تجدك المرأة أبداً»
وبطواعية عمد (شوكاليتودا) إلى البقاء
بقرب إخوته سكان المدن
اختلط تماماً بالرؤوس ـ السوداء، أمثاله
ولم تستطع المرأة أن تجده قط!

إنانا تحذِر أنّ المعتدي عليها التجأ إلى أنكي، فتذهب إليه طالبة تسليمه

طلع الفجر وأشرقت الشمس

والمرأة تفحّصت نفسها من جديد عن قرب
متذكّرة الإهانة التي تحمّلتها
««يا لشقائي» (قالت) من ذا الذي سوف يساعدني؟
إنه حتماً عند أبي
في قصر أنكي!»
وشدّت الرحال [. . .] نحو أبسو
أنكي في أريدو.
[وبمجرد وصولها] رفعت يدها نحوه[١]
«أي أنكي المبجّل، أنت دوماً تعينني وتساعدني:
أَخرِج إذن هذا الرجل من الأبسو مقرك:
وسلّمه إليّ!
لا أريد إلا أخذه دون أذى
إلى الإيانا معبدي»
وأجابها أنكي: «حسناً»
وأضاف: «ليكن الأمر كذلك»
وإنانا المقدّسة، اصطحبت معها شوكاليتودا
اعتباراً من أبسو أريدو

مصير شوكاليتودا

وأخذت مكانها في عرض السماء
كقوس ـ قزح
[. . .] تقدّمت [. . .] تقدمت أيضاً [. . .] (مبتعدةً)
وبدا شوكاليتودا أصغر فأصغر!

الأسطر (٢٤٨ ـ ٢٨٧) حالة النص سيئة إلا أنه يفهم أن إنانا تستجوب المعتدي عليها لتعرف كيف تمكّن من ذلك فيروي عليها شوكاليتودا ببساطة ما حدث ودون أي أسف من قبله، مما يغضب إنانا التي «تحكم» عليه بعقوبة لا نفهم محتواها. إلا أنها تغريه مع ذلك واعدة إياه بتخليد اسمه في القصائد والأناشيد على الأرض.

---

(١) علامة طلب العون.

288 وقالت إنانا المقدّسة إلى [شوكاليتودا]:
«أجل! وحتى بعد أن أكون قد جعلت منك [. . .][١]
لن يتمكن النسيان من اسمك قط:
290 سوف يستمر في الأناشيد ـ وستكون
عذبة تلك الأناشيد:
في قصور الملوك،
سوف ينغّم الشعراء الشبان (اسمك)
وسوف يدندنه الرعاة
وهم يمخضون قربة ـ الحليب».

الأسطر (٢٩٤ ـ ٣٠٤) مشوّهة ولا يمكن فهمها والسطر الأخير يمجد إنانا.

305 [من أجل . . .] المجد لك يا إنانا

(١) قد يكون عقاب شوكاليتودا، أن جَعَلتْ منه نجماً (؟).

الفصل الثاني
الزواج الإلهي وأناشيد الحبّ

(١) ـ إنانا ودوموزي

(٢) ـ ملوك سومر وأناشيد الحب

الزواج الإلهي
وأناشيد الحبّ

تحت هذا العنوان، نورد أهم ما وصلنا من النصوص السومرية المرتبطة بما سمّي بالزواج الإلّهي أو الزواج المقدس والذي قدّمت لنا عنه الفترة السومرية، أناشيد رائعة عن الحب المتبادل بين رجل وامرأة يرمزان إلى إلّهٍ وإلّهة، ثمّ بواسطة اتصالهما الجنسي اخصاب كافة البلاد، الطبيعة والحيوانات والبشر. وهذا التقليد هو سومري الأصل كما يعتقد. وعلى اعتبار أنه كان يحمل كل الخير والرخاء والكثرة للبلاد، فقد عبّرت عنه النصوص السومرية بصراحة جنسية طبيعية، لا مواربة فيها وأباحت لنفسها أجمل كلمات الحب لجسد المرأة والرجل وهما هنا إلهان تدفعهما شهوة عارمة لمثل هذا اللقاء الذي كانت قوته والرغبة التي تحرّكه، تطميناً للشعب وضماناً لمستقبل البلاد، كفايةً وتكاثراً ونمواً.

تلك كانت أزمنة البدء حين كان الآلهة يقومون بأنفسهم بعملية الإخصاب، وحين كانت إنانا تدعو عشيقها دوموزي لحرث فرجها[١] وحين كان الإله أنكي[٢] يملأ بمنيّه مجرى الفرات، ويُخضِع دجلة حين يسكب فيه «هدية ـ العرس»[٣] وحين كان اوتو[٤] يعدّ بنفسه غطاء الكتان[٥] لفراش العرس الذي سوف يتمّ عليه لقاء أخته إنانا مع دوموزي «مفضل آن» إلّه السماء.

---

(١) انظر النص رقم (١٦).
(٢) (Enki) إلّه المعرفة ومهارة الصنع وهو إيا الأكادي.
(٣) بمعنى منيّ أنكي، انظر النص رقم (٥).
(٤) (Utu) إلّه الشمس السومري وهو أخو إنانا.
(٥) انظر النص رقم (١١).

(١) ـ إنانّا ودوموزي

(١ ـ ١) من الأسطورة إلى الطقس الديني

١ ـ إذا ما أردنا تتبع إقامة طقس الزواج الإلّهي في سومر، يمكننا القول، بأنه بدأ بدور إلّهة الخصب إنانا التي كانت مسؤولة عن أرحام البشر والحيوانات وعن خصب الأرض، في علاقتها الجنسية مع عشيقها أو قرينها بالمعنى الحرّ واتحادها مع الراعي دوموزي وتكاثر الماشية والعشب بنتيجة هذا الاتحاد.

وجاءت الزراعة فيما بعد وكان على إنانّا أن تختار بين الراعي والفلاح، وكان لا بد من التنافس فيما بينهما، ولم تكن جائزة المنافسة سوى الزواج من إنانّا لكي تمتلىء الاهراءات ولكي تمتلىء بالحليب الدسم وببواكير الماشية معابد الآلهة. وإذا ما بقي دوموزي الراعي، الرمز المسيطر الذي حَفِظته ذاكرة إنسان ما بين النهرين في سومر، في عرسه مع إنانا إلّهة الخصب، فقد كان الراعي يحضر هذا العرس المخصب ويقدّم الهدايا للعريسين وهذا ما سوف نطّلع عليه في قصيدة المنافسة بينهما[1].

٢ ـ أما غياب خصب الماشية وخضرة الأرض في فصلي الخريف والشتاء، فقد كان يعني غياب دوموزي وموته المعِدّ للخصب[2]، كما كان الفلاح يفهم ذلك بدَوْره، في غياب الحَبّ المدفون في الأرض لينبت في الربيع مع بعث دوموزي بعد موته المُخصب في دَوْرةٍ تكررها الطبيعة كل عام. أما سجن إنانّا في العالم السفلي فقد كان من شأنه قلق الآلهة والبشر إذ يبطل عن وجه الأرض بنتيجة هذا الغياب كل نزوٍ وكل جماع وتقول النصوص إن الرجل والمرأة كانا يقضيان لياليهما في غرفتين مختلفتين للسبب نفسه.

(١) انظر النص رقم (١١).
(٢) انظر النص رقم (٢٥).

٣ ـ بعد نقل الحضارة من مدينة إلى أخرى وإقامة الملكية، وكان على الملك، السهر على رخاء الشعب، فقد أقيمت طقوس الزواج الإلّهي وفقاً لقاعدة «كما فعل الآلهة، يفعل البشر»، فأصبح الزواج الإلّهي المخصب من مهام الملك، من أجل تعميم الخير والكثرة على كافة البلاد. وكان إذن على الملك أن يقترن بالإلّهة إنانّا تمثلها في المعبد أو في القصر امرأة «مختارة» لتكون «الحبيبة».

وعلى لسان هذه الحبيبة، أوردت النصوص أجمل أناشيد الحب، في دعوتها للملك «الإلّه» المضاجع وفي التغنّي برجولته. ومن خلال عرض هذه الأناشيد، سوف نتطرّق إلى توازيها مع «نشيد الأنشاد» التوراتي وفق تلميحات موجزة وسوف نعود إليها بالتفصيل في فصل خاص من هذا الكتاب[١].

٤ ـ أما الملوك الذين وردت أسماؤهم في أناشيد الحب تلك، سوف نتعرّف عليهم لدى عرض النصوص التي وصلتنا بصددهم[٢]. وأقدم هؤلاء الملوك هو دوموزي الملك، إذا ما كان فعلاً ملكاً تاريخياً لمدينة أور، ومن ملوك ما قبل الطوفان وتمّ تأليهه فيما بعد. وهؤلاء الملوك، حكموا في كل من مملكتي أور[٣] وإيسين[٤] بين نهاية الألف الثالث لما قبل الميلاد وبداية الألف الثاني.

---

(١) انظر الفصل الثاني، الفقرة ٣.

(٢) الفصل الثاني، الفقرة الثانية.

(٣) (Ur) مدينة مهمة في سومر وهي مدينة الإلّه القمر نانا والد إنانّا حيث كان معبده.

(٤) (Isin) مدينة قديمة تقع في الجنوب من نفّر (Nippur) العاصمة الدينية القديمة ومدينة الإلّه إنليل.

(١ ــ ٢) ــ إنانا ودوموزي،
النصوص (١١ ــ ٢٥)

(١١) ــ إنانا تفضل الفلاح وإعداد فراش العرس

(١٢) ــ إنانا وموافقة والديها

(١٣) ــ اللقاء السرّي على ضوء القمر

(١٤) ــ المشاكسة الغرامية بين الحبيبين

(١٥) ــ نشيد آخر لإعداد فراش العرس

(١٦) ــ إنانا تقترن بدوموزي

(١٧) ــ سعادة النوم بقرب الحبيب

(١٨) ــ إذا ما دخلت إنانا الحظيرة

(١٩) ــ الإلّهة تطفىء القمر وتسحب
المزلاج لاستقبال الحبيب

(٢٠) ــ الرجل ــ العسل

(٢١) ــ حوارية ألتحق بحضن حبيبي

(٢٢) ــ إلى حديقته أدخلني دوموزي

(٢٣) ــ دوموزي يمازح شقيقته

(٢٤) ــ بعد أن أشبع الحبيب شهوته

(٢٥) ــ الحب الذي أضاع دوموزي

(١١) ـ إنانّا تفضل الفلاّح وإلّه الشمس أوتو يُعدّ فراش العرس لدوموزي

في هذه القصيدة الطويلة والغنية بمحتوياتها وتدرّجها، نشهد إلّه الشمس أوتو[١] شقيق الإلّهة إنانّا، يشيد بالكتّان الذي ينمو مزروعاً ويعِد بتقديمه لإنانا كغطاء لفراش العرس. وتتحاور إنانّا مع أوتو لمعرفة من سيحول الكتان إلى خيوط ثم إلى نسيج ومن سوف يصبغه وفي النهاية من الذي سوف يضاجعها على غطاء الكتان هذا؟

وإجابة أوتو، توجِّهها نحو دوموزي الراعي الذي سوف يقدم لها لبَنه الدسم وسمنه وأجْبَانه. . . ولكن إنانا تفضّل الفلاح وتسوّغ اختيارها.

وهنا تنطلق المنافسة بين الراعي والفلاح ويدافع كل واحد منهما عن منتجاته ويقارن دوموزي مدافعاً عن نفسه بين ما يقدمه كل منهما وكأنه بذلك يتوصل إلى استمالة قلب إنانا، مما يجعل دوموزي يذهب لرعاية قطيعه، وهو مبتهج القلب. وهنا يعود الفلاح للظهور ولكنه في هذه المرة، يظلّ مسالماً، ويعرض على دوموزي مصالحةً في نهايةٍ جميلة. فيدعوه دوموزي لحضور عرسه مع إنانا ويعد الفلاح بحضوره محمّلاً بالهدايا.

[. . .]

ـ «أي إينّين[٢] الكتّان ـ المزروع الذي ينمو،
أي إنانا، الكتان ـ المزروع الذي ينمو
وتملأ بذُوره الأثلام!
أي أختي، أنتِ التي جعلتِ الأشجار الكبيرة تنمو،
أي إنّين، أنت التي جعلتِ القَصَبَ المشوق يتكاثر بسرعة،
أريد أن أعزقَ للحصول من أجلك على هذه النبتة،
وسوف أجلب لك الكتان ـ المزروع، أي أختي!
أي إنانا، سوف أجلب لك الكتان ـ المزروع!

---

(١) (Utu) التسمية السومرية للإلّه الشمس.
(٢) (Innin): لقب إنانا أو اسم آخر لها.

ـ أي أخي، عندما ستقدم لي الكتان ـ المزروع
من الذي سيمشّطه لي، من سيمشّطه لي؟
هذا الكتان من سيمشّطه؟
ـ سوف أجلبه لك ممشَّطاً أي إنانا!
يا أخي، عندما ستقدمه لي ممشطاً،
من سيغزله لي؟ من سيغزله؟
ـ سوف أجلبه لك مغزولاً، أي أختاه
أي إنانا سوف أجلبه مغزولاً!
يا أخي، عندما ستقدمه لي مغزولاً
من سيجدلُه لي؟ من سيَجْدلُه لي؟
هذا الكتان من سيجدله؟
ـ سوف أجلبه لك مجدولاً يا أختاه!
أي إنانا، سوف أجلبه لك مجدولاً!
يا أخي، عندما ستقدمه لي مجدولاً
من سيسدّيه لي، من سيسدّيه لي؟
هذا الكتّان من سيسدّيه؟
ـ سوف أجلبه لك مسدّىً، أي أختاه!
أي إنانا سوف أجلبه لك مسدّى!
يا أخي عندما سوف تقدمه لي مسدّىً
من سينسجه لي؟ من سينسجه لي؟
هذا الكتان من سينسجه؟
ـ سوف أجلبه لك منسوجاً يا أختاه!
أي إنانا، سوف أقدمه لك منسوجاً.
ومن سيصبغه لي، من سيصبغه؟
هذا الكتان من سيصبغه؟
ـ سوف أجلبه لك مصبوغاً أي أختاه،

أي إنانا سوف أجلبه لك مصبوغاً!

وهنا تعبّر إنانا عما يشغلها في المرحلة التي تلي إعداد غطاء الكتّان المسدّى والمصبوغ فتسأل:

أي أخي، عندما ستقدّمه لي مصبوغاً
من هو الذي سيضاجعني؟ من سيضاجعني عليه؟

ويجيبها أوتو بشكل طبيعي وبدون تردّد بأن الذي سيضاجعها هو دوموزي الذي يشير إليه بلقبه «آما ـ أوشوم چالانّا»[١] وبصفته «صديق إنليل»

ـ «الذي سيضاجعك، إنه هو!
الذي سيضاجعك ويصبح «قرينك» إنه هو!
إنه آما ـ أوشوم چالانّا الذي سيضاجعك
إنه صديق إنليل، الذي سيضاجعك!
سيضاجعك من وَلَدَهُ حضن كريم،
من أنجبه ملك: إنه هو الذي سيضاجعك!»

ولكن إنانا تعلن بنفسها اختيارها:

«كلاّ! إنه الرجل القريب إلى قلبي
الرجل القريب إلى قلبي
الذي سلب مني روحي
والذي تطفح عنابره، دون أن يضطر للعزق،
والذي في صوامعه لا يتوقف سكب الحبوب
إنه الفلاح، الذي امتلأت عنابره حَبّاً!»

هنا تنتهي هذه اللوحة ولكن من حسن الحظ، عثر على لوحة أخرى أو نص آخر يكمل الأول وأمكن الربط بينهما ولو كانا مستقلين. وهنا نرى أوتو إله الشمس يرفض أخذ اختيار إنانا بشكل جدي ويصرّ عليها مفضلاً الراعي دوموزي:

---

(١) أحد ألقاب دوموزي Ama-Ushumgalanna.

66 ـ «إقترني بالراعي، يا أختاه!
إنانا أيتها الفتاة، لـمَ ترفضينه؟
لذيذة قِشْدتُه ومنعش لبنُه
كل ما يمسّه هذا الراعي يتألّق!
70 اقترني إذن بالراعي يا إنانا:
أنت التي تتزينين بالأحجار الكريمة «أونو» و «شوبا»[١]
لـمَ ترفضينه؟
أنت حامية الملوك، لـمَ ترفضينه؟»

إنانا تصرّ على رأيها:

74 كلاّ! لن أتزوج من الراعي:
أنا لا أريد ارتداء ألبسته الخشنة
أنا لا أريد لبس صوفه الصفيق
أنا الفتاة الصبيّة، أريد الاقتران بالفلاح:
الفلاح الذي ينتج بكثرة زروعاً كهذه،
الفلاح الذي ينتج بكثرة حبوباً كهذه!
[. . .]

ومثل هذا التصريح أثار دوموزي مما جعله يدافع عن نفسه ويشيد بما لديه:

94 «ما لدَى هذا الفلاح أكثر منّي،
هذا الفلاح ما لديه أكثر مِنّي. . .
96 ما لديه أكثر منّي هذا الفلاح؟
إن قدَّم لي طحينه «الأسود»
فأنا أعطيه نعجتي السوداء!
إن قدَّم لي طحينه «الأبيض»
100 أعطيه، أنا نعجتي البيضاء
إن سكب لي جعّته المختارة

(١) (Unu) و (Shuba): تسميتان لحجرين كريمين لم يمكن التعرّف عليهما.

فأنا أصبّ له لَبَني (الأكثر) دسماً!
إن سكب لي جعته الفاخرة
فأنا أصب له لبني القسيم!
105 إن صبّ لي جعته اللزجة،
فأنا أصب له لبنيَ المخضوض!
إن سكب لي جعته الممدّدة
فأنا أعطيه «لبن ـ النبات»[1]!
إن قدّم لي الهاهالا[2] ذي ـ الحلاوة
110 فأنا أقدم له لبني ـ إيتيرْدَا[3]!
إن قدّم لي أفضل خبزه
فأنا أعطيه ألذّ أجباني طعماً!
إن قدّم لي عَدَسه (؟)
فأنا أعطيه أجباني الفائقة النعومة!
115 وبعد أن أكون قد أكلت كفاية وشربت كفاية،
116 يمكنني أن أترك له ما بقي لي من القشدة
يمكنني ترك ما بقي لي من اللبن!
117 أكثر منّي، ما لديه إذن أكثر منّي، هذا الفلاح؟»

من المحتمل أن يكون هذا الدفاع قد أثّر على إنانا، مما أدخل البهجة إلى قلب دوموزي معتبراً أنه ربح المنافسة وعاد لأعماله وهو مبتهج:

118 «فليبتهج! وليبتهج
على الضفة، على شاطىء النهر، بينما كان يبتهج!
بينما كان الراعي مبتهجاً على الضفة،

(١) لا يزال تعبير «لبن ـ النبات» غير مفهوم لدى علماء السومريات ولعلّه النبيذ.
(٢) (Hahala) مادة سكّرية نباتية المصدر.
(٣) (Itirda) نوع من منتوج لبني المصدر.

على شاطىء النهر!

121 كان الراعي إذن يقود أغنامه على الضفة
وبينما كان الراعي يسهر على أغنامه على الضفة،
اقترب منه الفلاح، أنكيمدو[١] الفلاّح اقترب!
اقترب من دوموزي، سيد الخنادق والسدود
125 وفي سهبه، في بريته أطلق دوموزي النزاع،
أطلق الراعي دوموزي النزاع (من جديد)، وهو في سهبه».

إلا أن الفلاح لم يكن مستعداً للعودة إلى النزاع والمنافسة بل بالعكس فإنه يهدىء من غضب دوموزي ويعرض عليه مصالحة وأخوّة.

128 «أنا وأنت، أيّها الراعي، أنا وأنت،
ما الذي يدفعني للتنازع معك؟
130 دعْ أغنامك تقضم عشب الضفة،
دعْ أغنامك ترعى في حقولي المزروعة،
دعها تأكل شعيري وهو على ساقه
دعها تقضم نباتي الحَبّي عبر ريف
أوروك المنوّر!
ولترتوِ جديانك وحملانك من قناتي
السوروچال!»[٢]

تلك كانت النهاية السعيدة بين الراعي والفلاح[٣]، بل يذهب النص إلى ما هو أبعد من ذلك، حين يدعو دوموزي «صديقه» الفلاح لحضور عرسه:

135 «إلى زواجي أنا، الراعي
ستحْضُر كصديق، أيها الفلاح:

---

(١) (Enkimdu) اسم الفلاح المشتقّ من اسم أنكي.
(٢) (Surugal) قناة مجاورة لمدينة أوروك.
(٣) ونحن نعلم أن قصة قايين وهابيل التوراتية لم تنتهِ على هذا الشكل.

كصديق، أيها الفلاح أنكيمدو
كصديق، أيها الفلاح، وسوف تُعدّ
كصديقٍ لي!»

وأجمل من هذه الدعوة هو جواب الفلاح معدّداً هدايا العرس:

سوف أحمل إليك الطحين وأجلب لك البَيْقة
سوف أجلب لك العدس!
أيتها المرأة الصبيّة، كل ما ترغبين به
سوف أقدمه لك أيتها الفتاة إنانا، . . . الحبّ والبَيْقة

وهكذا تمكّن دوموزي من كسب قلب إنانا وجعلها تقبل به كعريسٍ لها.

(١٢) ـ إنانا تحصل على موافقة والديها على اختيارها

إنانّا هي ابنة نانّا الإلّه القمر السومري وأمها هي نينچال «السيدة العظيمة». وبينما كان دوموزي ينتظر بصبر في جيپار[1] معبد الايانا في أوروك تعددُ بداية القصيدة ما كانت تتزين به إنانا في تلك المناسبة. إذ إنها اختارت اللازورد لتزيين صدرها واللؤلؤ البيضوي لتزيين رأسها وردفيها وأحجار اللازورد ـ الدورو لعَقيصة شعرها ورقائق ذهبية لتصفيفة شعرها وأقراط ذهبية لأذنيها وجواهر متدلية لشحمة أذنيها وزينات أخرى متعدّدة لوجهها ولأنفها ولقطنها، وحجر من المرمر اللماع لسرّتها و. . . لفرجها؛ وقد انتعلت صندلاً. وعندما رآها دوموزي وهي في زينتها هذه التهب قلبه شوقاً لها. ولكن إنانا تبقى مهتمةً بتوجيه رسالة لأبيها تعلمه بموجبها وبتعابير جذِلة عن مشروعها للاقتران بحبيبها:

«سوف يوسع لي بيتي، يوسع لي بيتي
بيتي أنا الملكة، بيتي سوف يوسعه:
سوف يوسع لي الجيپار!
حيث سيُنْصب فراشي المخصب
وسوف يُغطى بالقماش الأزرق ـ دورو[2]
عند ذلك سوف أقود إليه رجل أخياري
سوف أقود إليه آما ـ أوشومچالانّا[3]
وسوف يضع يده في يدي
وقلبه على قلبي،
كم هو عذب ومريح، النوم ويدي في يده
كم هي طلية اللذة، حين يلتصق قلبه بقلبي!»

---

(١) (gipar): القسم المخصص للكهنة أو للآلهة في معبد الإيانا (Eanna) وهو المعبد المخصص للإلّهة إنانا في أوروك ومعناه بيت السماء، بيت الإله آن.

(٢) (duru) صفة قد تعني الشفافية أو بريق اللازورد.

(٣) (Ama-Ushumgalanna) أحد ألقاب دوموزي.

وحين يأتي دوموزي لزيارة إنانّا وهي تسكن في بيت أمها محملاً بهدايا اللبن والقشدة والجعة، تتردد إنانّا في استقباله ولكن أمها نينجال تشجّعها لإدخال الزائر العريس وتقول لابنتها كما ورد ذلك في قصيدة مختلفة:

العمود الثاني

«هيّا! أيتها الصبية، إنه من أجلك مثل أب!
هيّا! أيتها الصبية، إنه من أجلك مثل أم!
أمه تعزّك كما تعزّك والدتك!
وأبوه يعزّك كما يعزّك والدك!
إفتحي له إذن بيتك يا ملكتي، افتحي له بيتك!»

عندئذٍ تستعدّ إنانّا كما يليق ذلك بملكة لاستقبال حبيبها:

وإنانّا، بناء على أوامر أمّها،
استحمّت ودلّكت جسدها بدهون ناعمة؛
لبَست الرداء الملكي الكريم،
أخذت الـ . . . من بائنتها؛
ووضعت حول عنقها (عقداً) من اللازورد،
كما أطبقت بيدها على ختمها.
وبعد ذلك، انتظرت إنّين بلهفة.
عند ذلك فتح دوموزي الباب
ودخل إلى البيت مثل شعاع قمر.
فتأمّل (إنانا) وهو يشعر بفرحٍ عظيم،
شدها إلى صدره، وقبلها. . .

لا ينتهي النص عند هذا الحد، إلا أن بقية اللوحة هي في حالة سيئة ويفهم منها أن دوموزي[1] يدعو أولاً إنانا لتتبعه إلى معبد إلّهه الشخصي لكي تتلقى فيه التكريم اللازم. . . وبقية النص غير مفهومة بسبب التشويه.

---

(١) قد يكون الراعي هنا هو الملك الذي يمثل دور دوموزي في هذا اللقاء بين العروسين.

(١٣) ـ اللقاء السري على ضوء القمر بين الحبيبين

منذ الفترة السومرية وحتى اليوم، لم يتغيّر شيء بالنسبة للعشاق، فمنذ ذلك الزمن كان يتم اللقاء السري بين الحبيبين، تُغطّيه أمام الأم كذبة الفتاة، ولا يسوّغ ذلك سوى صِباها وشوقها للقاء حبيبها. تبدأ هذه القصيدة بمناجاة فردية على لسان إينانا:

وجه اللوحة

1 «البارحة، بينما كنت أنا، الملكة، أمضّي الوقت،
البارحة، بينما كنت أنا إنانا، أمضّي الوقت،
أمضّي الوقت في الرقص،
وفي الغناء طول النهار حتى حلول الليل،
5 إنه التحق بي، التحق بي:
الملك، صديق آن التحق بي!
الملك أمسَك بيده يدي:
أوشوم چالانّا[1] قبلني. . .»

وبما أنها لم تكن تعلم ماذا تقول لأمّها، لذا حاولت التهرّب من قبلاته:

9 «هيا، أيها الراعي، دعني: يجب أن أعود إلى بيتنا!
دعني إذن يا صديق إنليل: يجب أن أعود إلى بيتنا!
أيّة كذبة سوف أرويها لأمي؟
أيّة كذبة سوف أرويها لأمي نينچال؟»[2]

لكن دوموزي يجيبها بما كانت تنتظر منه:

(١) لقب دوموزي (Ushumgalanna).
(٢) (Ningal) بمعنى السيدة العظيمة أو الفائقة السمو.

«سوف ألقنك (ما سوف تقولين) سوف ألقنك،
سوف ألقنك كيف تكذب النساء!
(قولي لها) «صديقتي كانت تمرح معي في الساحة
رَقَصَتْ حولي على وقع الطبلة
وغنّت لي الأناشيد الأكثر عذوبة!
وهكذا أمْضيتُ الوقت أتذوق حلاوة اللذة!»
وهكذا وبهذه الحيلة تقفين أمام أمك
بينما نحن سوف نستسلم لشهوتنا على
ضوء القمر!
على الفراش المقدس، الفراش الفخم سوف
أحلّ لك شعرك
وأمضي معك أجمل اللحظات بفرح عظيم!»

وعلى ظهر اللوحة يختتم الشاعر قصيدته وكأن إنانا تلقت وعداً بالزواج فتنطلق بفرحٍ لتتحدث عن الجارة التي سوف تقدم شهادة طيّبة بدوموزي أمام أمها نينچال:

ظهر اللوحة

«جارتنا» أتت حتى بوابة أمي
وسوف أركض إليها بلهفة!
إنها أتت حتى بوابة أمي
وسوف أركض إليها بلهفة!
سوف تتحدث إلى أمي لمصلحتك
جارتنا، وسوف ترش الأرضية (لاستقبالك؟)
سوف تتحدث لمصلحتك إلى أمي نينچال
جارتنا، وسوف ترش الأرضية (لاستقبالك؟)
بيتها يفوح طيباً
وكلماتها تقطّر الفرح!

«سيدي» (قالت) هو جدير بالحضن المقدس:
آما ـ أوشوم ـ ڇالانا[1] سوف يصبح صهر نانّا!
السيد دوموزي هو جدير بالحضن المقدس
آما ـ أوشوم ـ ڇالانا سوف يصبح صهر نانا[2]! . . .»

---

(١) لقب دوموزي. ورد آنفاً مختصراً (Ama-Ushumgalanna).
(٢) نانا (Nanna) الإله القمر والد إنانا كان يعبد في مدينة أور مدينة ابراهيم.

(١٤) ـ المشاكسة الغرامية
بين الحبيبين

. . . .

«لا تباشري النزاع، أيتها المرأة الفتية
لنتحدث عن ذلك فقط، أي إنانا!
أي إنانا، لا تباشري النزاع
فلنتفكّر معاً في الأمر، يا ملكة القصر!
أبي جدير بالاحترام كمثل أبيكِ:
لنتحدث عن ذلك، أي إنانا!
أمي جديرة بالاحترام كمثل أمكِ:
يا ملكة القصر، فلنتفكّر في الأمر!
جيشتينانّا[١] أختي، هي أيضاً جديرة
بالاحترام [مثل أختك][٢]:
فلنتحدث عن ذلك، أي إنانا!
وسيرتور[٣] (أمي) لا تقل احتراماً عن نينچال[٤]:
يا ملكة القصر، فلنتفكّر في ذلك!»

وبحسّ عميق لنفسية العاشقين يضيف الشاعر:

«الكلمات التي تلفّظ بها هكذا
لم تكن سوى كلمات رغبة:

---

(١) (Geshtinanna) هو اسم أخت دوموزي وكانت مشهورة بمعرفتها بتفسير الأحلام.
(٢) ينقص هنا اسم أخت إنانا الذي نجهله.
(٣) (Sirtur) أم دوموزي.
(٤) (Nin-gal): بمعنى السيدة الفائقة السمو.

ومثل هذه المشاكسة
تدفع إلى تجاذب القلوب!»

ويتبع هذا التعليق خلوة غرامية مملوءة بالتلميحات والتشابية التي إذا ما بقيت غامضة بالنسبة لإنسان اليوم، فإنها كانت حتماً تدخل في لغة الأدب الغزلية أو الجنسية لذلك الوقت: فقد كان من المفروض على دوموزي أن «يملأ بالماء» «السطح ـ الشرفة» و «صهريج» إنانّا وأن «يحرث» حزام الأحجار الكريمة الذي كانت تتزين به إنانا مربوطاً حول جسدها. بينما كان يسحرها، لدى حبيبها، هي لحيته الفاتنة، حرفياً «لحيته اللازوردية»:

43 «من غيره (إن لم يكن هو) صُنع من أجلي؟
من غيره إذن صنع من أجلي؟
كم هي فاتنة لحيته
45 هو، الراعي، الذي خلقه آن من أجلي،
كم هي فاتنة لحيته!
إنه الملك (؟) كم هي فاتنة لحيته!
كم هي فاتنة لحيته!»

(١٥) ـ نشيد آخر يعدّ لفراش العرس
«الفراش المخصب»

يشير هذا النشيد إلى إعداد «الفراش المخصب» وإقامته في معبد الإيانا من قبل الكهنة أو الكاهنات «لابسي ـ الكتان» ثم إلى إعلان قدوم إنانا متوجهة نحو دوموزي، وقد رتبت بقربه المآكل والمشروبات ثم يدعونه للتقدم نحو «قرينته» في الكي ـ أور حيث كان يجلس فيه على عرشه الإلّه إنليل سيد الآلهة السومرية.

«في الإيانا[١]، أعد «لابسو الكتان» من أجله هيكلاً
ووُضعَ عليه الماء من أجل الملك. وكلّموه.
كما وُضع أيضاً خبز. وكلّموه:
خذ راحتك في القصر، قالوا له!
أي دوموزي، أنت الذي تتألّق في القصر وفي البلاد
إنانا الجليلة التي هي زينتك، زينتك
إنانا الجليلة، إنانا الجليلة، لباسك، لباسك
ثوبك الأسود، ثوبك الأبيض
إقتربْ منها، سيدي، بعد أن قَدمَتْ إلى هنا!
تقدم منها مردِّداً نشيداً يَسْلب الروح!
تقدم نحو عرشها (؟)، العرش الذي يحتلاّنه
(هي وإنليل)
تقدم نحو مكانهما، المكان حيث يوجدان:
لأنه هنا تمت إقامة، تمت إقامة،
تمت إقامة إنليل (مع إنانا) في الكيؤر!»[٢]

تلا ذلك مباركة من قبل إنانا موجّهة إلى دوموزي لدى اقترابه منها:

---

(١) (Eanna) بمعنى بيت آنو (هي وإنليل) وهو معبد إنّانا.
(٢) (كي ـ أور): جزء من المعبد وخاصة معبد إنليل في نقر، الإيكور (Ekur).

65 «أيها الثور الوحشي! حياة البلاد، سوف أمنح
الحياة لشعبك،
سوف أحقق كل رغباتهم!
سوف أجعلهم يحكمون بالعدل في المقر الأميري
وسوف أجعل كي تُلفظ بصددهم،
في القصر، القرارات المُنصِفة»!

وينتهي النص بطلب من دوموزي موجّه إلى إنانا:

69 «صدرَك يا اينّين هو حقل
أي إنانا، صدرك هو حقل:
حقل متسع ينتج الزروع
حقل فسيح يسكب الحبوب!
75 انشري من أجل الملك [. . .][1]
73 الشراب بوفرة، (انشري) من أجل الملك،
فيضاً من الأطعمة
74 الشراب بوفرة، من أجل الملك والأطعمة (انشري)
فيضاً من الأطعمة:
76 تقبّلي أن أحصل عليها من قبلك!»

---

(١) تم تعديل تسلسل الأسطر تسهيلاً للفهم.

(١٦) ـ إنانا تقترن بدوموزي وتجعل منه إلّهاً للبلاد

في هذا النشيد، وبدون تردد، يقع اختيار إنانا على دوموزي ليصبح قريناً لها. فيحققان بنتيجة اقترانهما أعجوبة إخصَاب الطبيعة ونموّها بالإضافة إلى ألبان دوموزي الدسمة وأجبانه. ودوره هنا يفوق دور الراعي لأنه أيضاً، إله خصب البلاد. وعندما يتّضح النص، نستمع إلى إنانّا:

العمود الأول

22 «بعد أن استعرضْتُهم جميعهم
فإن دوموزي هو الذي دعوتُه ليصبح «إله البلاد»:
دوموزي المفضل لدى إنليل
25 والذي كانت تميل إليه أمي
وكان أبي يشيد به!»

وبعد هذا الاختيار يتابع النص مشيراً إلى أن إنانا تستحم وترتدي ملابس السلطة الخاصة بها وحدها وتطلب بأن يؤتى بدوموزي إلى معبدها الذي كانت تملؤه الأناشيد والتضرعات، وذلك لكي تتذوق السعادة برفقته. وبمجرد وجوده إلى جانبها يثير فيها شهوة ورغبة عارمتين تجعلانها ترتجل بصدد فرجها، مقطعاً تشبّه فيه عضو عشيقها «بمقدمة سفينة السماء» في انتصابه أمام حقلٍ، أمام تلةٍ تحتاج إلى حراثة:

العمود الثاني

25 «أما بالنسبة لي أنا، بالنسبة لفرجي، أنا،
التّلّة المنتفخة،
فرجي، أنا الصبيّة، من سيحرثه لي؟
فرجي أنا، هذه الأرض الرطبة التي هي أنا

أنا، الملكة، من الذي سيضع فيّ
ثيرانه (للحراثة)؟»

ويأتي الجواب سواء من دوموزي متحدثاً عن نفسه بصفة الغائب أم من قِبل الكورس:

29 «أي إينّين، إنه الملك، الذي سوف يحرثك
إنه الملك دوموزي الذي سوف يحرثك!»

وتجيب إنانا وهي في قمة الشهوة:

31 «احرث إذن فرجي، يا رجل قلبي!»

ثم تغسل جسدها الجميل ويضطجعان معاً.

العمود الثالث

9 «وبمجرد أن تدفّق من حضن الملك «ماء ـ القلب»[١]
فعلى جوانبه انبثقت الزروع، وعلى جوانبه نبت الحَبّ:
وبقربه زخرت بنموّ نباتها السهوبُ والمروج!
بينما في بيت ـ الحياة، في القصر الملكي،
رَكنت قرينتُه إلى جانبه تملأ قلبها البهجة؛
في بيت ـ الحياة، في القصر الملكي
15 بقيت إنانا إلى جانبه مكتملة البهجة!»

وأثناء وجود إنانا بقرب دوموزي، تقدمت منه بطلب وأرفقته بعد ذلك بوعدٍ منها:

18 قدِّمْ ليَ اللبنَ الدسم، أي «قريني»، قدم لي اللبن الدسم:
أريد شرب اللبن الطازج من يدك أي «قريني»!
20 أيها الثور الوحشي، دوموزي، قدّم لي اللبن الدسم:
أريد شرب اللبن طازجاً من يدك، أي «قريني»!
في وسط الحظيرة دفّق من أجلي لبن ماعزك:

---

(١) تعبير «ماء ـ القلب» هو تسمية شعرية سومرية لمنيّ دوموزي الذي يتدفق من «حضنه».

املأ مخضّتي المقدسة بـ [. . .] الجبن!
أريد أن أشرب معك اللبن الطازج، أيها
السيد دوموزي!». . .

وتتعهد إنانا بالمقابل «بحراسة مستودعه»:

أي «قريني»، المستودع الجميل والحظيرة المقدسة
سوف أحفظهما لَكَ، أنا إنانا!
سوف أسهر على بيت ـ الحياة
المكان الأكثر سطوعاً والأكثر روعة على الأرض،
القصر حيث تقرر مصائر كافة الناس،
ومنه تتم إدارة كافة البشر والكائنات الحيّة:
أنا إنانا سوف أحفظهما لك.
سوف أسهر على بيت ـ الحياة خاصتك
بيت ـ الحياة هذا ومستودع ـ الحياة ـ المديدة.

العمود الرابع

أنا إنانا سَوف أحفظهما لك!. . .
[. . .]

(١٧) ـ سعادة النوم بقرب الحبيب

في هذا النشيد القصير من نغم «بالْبال»[١]، نسمع الكورس أو مرافقات إنانا أثناء الإشادة بدوموزي الصهر، صهر نانا الإله القمر وصهر الأم نينچال، السيدة العظيمة:

[. . .]
3 أنت أخ لنا! أنت أخ لنا!
أنت الـ [. . .] أخ القصر
(أنت) قائد السفينة ـ ماچور[٢]
أنت سائق عربة [. . .][٣]
أنت الأب وأنت قاضي المدينة
[. . .]
10 أيها الأخ لنا: أنت صهر لأبينا،
الصهر الأكثر امتيازاً
الذي يزوّد أمّنا بكل الخيرات

وهنا تجيب إنانا مكلّمة الحبيب:

13 قدومُك يبعث الحياة!
قدومَك إلى «البيت» يحمل الكثرة
النوم بقربك، منتهى سعادتي! . . .

---

(١) (Balbal) تسمية لنغم أو لنوع من القصائد والأناشيد.
(٢) (Magur): سفينة ذات قياسات كبيرة تستعمل لنقل المواكب الدينية في النهر.
(٣) يمكن محاولة الاستكمال بعربة «الشعب» بالمقارنة مع نشيد الأنشاد (٦: ١٢).

(١٨) ـ إذا ما دخلت إنانا الحظيرة. . .

يدور هذا النشيد المؤلف من أربعة أزمنة، حول موسيقى مخضّة الحليب وتصوُّر دوموزي كعشيق، بهجَة الحظيرة لدى زيارة إنانا لها ودوره هو في نقل البهجة إلى قلب إنانا. وأخيراً ما يأتي به اتصاله بإنانا من خصب ووفرة في الحظيرة.

المقطع الأول

«يا لَلنغم العَذب، ـ مثل (صوت) بقرة!
يا للصدى العذب مثل (صوت) عجل!
أي إنانا، أنت التي تطوفين في الحظيرة،
ما أن تصلي إليها أيتها الصبيّة
حتى تُسْمِع المخضةُ نغمها أي إنانا!
مخضّة حبيبك سوف تُسمع نغمها!
مخضّة دوموزي سوف تُسمع نغمها
المخضة سوف تسمع نغمها أي إنانا!
مخضّة دوموزي سوف تُسمع نغمها

المقطع الثاني

سوف أجعل نَغَم المخضّة المهزوزة يتردّد من أجلك!
علّني أنقل الفرح (إلى قلب) إنانا
المخضّة النبيلة، سوف يتردّد نغمها من أجلكِ!
علّني أستطيع جعلك تفرحين يا سيدة القصر
والراعي ذو الصوت المتناغم
سوف يردّد لك لحناً ممتعاً!
هذا النشيد الأكثر عذوبة، أي إنانا،
سوف يجعل قلبك فرِحاً!

المقطع الثالث

أي إينّين، عندما ستدخلين الحظيرة،
سوف تكون الحظيرة يا إينّين مبتهجة أمامك!
أيتها الغانية، عندما ستدخلين الحظيرة،
الحظيرة يا إنانا، سوف تتهلل أمامك!
وعندما ستقتربين من المعالف (؟)
فالنعجات الوفيّات سوف تنشر
صوفها أمامك!

المقطع الرابع

لكي يتمكن آما ـ أوشوم چالانّا[١] «قرينك»
من التأوه (لذةً) على حضنك!
وعندما تنثر الحظيرة النبيلة القشدة على الأرض من أجلك!
سوف أنضحُ القشدة، سوف أنضح اللبن،
وسوف أبهجُ روحَك أي إنانا.
ولئن تنثر الحظيرة النبيلة على الأرض القشدة من أجلك
فسوف أبهج روحَك يا سيدة القصر!
من أجل الملك الذي دعوت إلى قلبك
من أجل دوموزي «ابن إنليل»،
فلتنتج الحظيرة القشدة واللبن (بكثرة)!
ولتكن الحظيرة خصبة!
وليتمكن الراعي الأمين من تمديد حياته
وليمدد دوموزي الراعي الأمين أيام الكثرة!»

---

(١) لقب دوموزي أو اسم آخر له (Ama-Ushumgalanna).

(١٩) ـ الإلّهة تطلب من الحبيب الالتحاق بها ليلاً بعد أن تطفىء القمر وتسحب المزلاج من أجله

[. . .]

«. . . والده، مثل رسول. . .
. . . رسولي. . . !
أي صهرنا، عندما يغيب النهار
أي صهرنا، عندما يأتي الليل
عندما سيدخل القمر بيتنا
سوف أطفىء النجوم على مساراتها!
أي صهرنا، عندما يأتي الليل
أي صهرنا، عندما يكون قد انتهى النهار
وعندما سيدخل بيتنا القمر،
وعندما أطفىء القمر في الأعالي
عند ذلك، سوف أسحب المزلاج من أجلك. . . !»

يلي تشويه في حوالي ١٦ سطراً وحين يتّضح النص نشهد الإلّهة، تظهر إعجاباً شهوانياً بُهلبته الكثيفة الشعر وترجوه أن يشدّها على صدرها أو حضنها؟:

«ياذا الشَعْر الكثيف، يا ذا الشعر الكثيف، أنت لي!
يا حبيبي، يا ذا الشعر الكثيف، أنت لي!
يا ذا الشعر الكثيف مثل نخلة، أنت لي،
يا ذا الشعر الكثيف مثل (أغصان) طَرْفاء ملتفة!
يا صاحبي، يا ذا الشعر الكثيف، ستّةَ أضعافٍ
شُدّه على حضننا، يا حبيبي!
يا أسَدي ذا اللبدة الكثيفة، أربعة أضعاف

شدّها على حضننا، يا أخي، يا ذا الوجه الجميل!
يا ذا الشعرِ البراق! يا ذا الجزّة الكثيفة!
يا ذا الشعر الكثيف، الخلاّب، مثل بلاط مصقول!
يا . . . المتين، ذا الشعر الكثيف:
أنت في نظري تمثال ذهب حقيقي:
تحفة فنّان في معالجة الخشب
تحفة فنّان في معالجة المعدن[١]
بودي أن أضعك أمام تحدٍّ، يا حبيبي!»

نحن نجهل مضمون هذا التحدّي بسبب فقدان سبعة أسطر وينتهي النص بمباركة تطلقها العشيقة الإلّهة لمصلحة الملك:

«كنْ . . . سعادة!
كنْ ملكيةً مولّدةً لأيامٍ سعيدة!
كن عِيداً يجعل الوجوه مشرقةً
كنْ مَعدَنَ الشَبَه يزيّن اليد (التي تحمله)!
يا مفضّل إنليل، أنت لي!
فليجد فيك قلب إلّهك تغاضيه!
تعال (قربي) في الليل! ابق (مَعي) الليلَ (بكامله)!
تعالى (قربي) في النهار! إبقَ (معي) النهار (كله)!
فليمهد لك إلّهك[٢] الطريق
وليقم بتسويته لك حَمَلة المعازق والقففـ»[٣]

---

(١) التماثيل القديمة كانت تصنع من الخشب المنحوت الملبس برقائق معدنية من ذهب أو فضة . . .
(٢) المقصود هو الإلّه الشخصي لدوموزي.
(٣) حملة القفف لنقل المواد، هم العاملون في مجالات البناء وهنا في تمهيد الطريق تسهيلاً لمرور الحبيب.

(٢٠) ـ الرجل ـ العسل

ورد تعبير الرجل ـ العسل بالسومرية في وصف الحبيب بمعنى الحبيب الفاتن والساحر والجذّاب وتعبير عسل يعني هنا حلاوة الحبيب ولو أن سومر لم تكن تعرف في ذلك الوقت عسل النحل ولكنها عرفت عسل التمور والثمار.

[. . .]

«أيها الرجل ـ العسل! الفاتن الذي يغمرني
بالحلاوة إلى الأبد!
أيها الإلّه الأكثر سحراً بين الآلهة.
يا حبيب ـ أمه، أنت لي!
أنت ذو اليدين الناعمتين والرجلين الجميلتي الشكل:
اغمرني بحنوّك إلى الأبد! . . .
أنت الذي بحيوية وإقدام، سحرت لي
سُرّتي، [يا حبيب ـ أمه، أنت لي]
أي. . . ذو حلقات الشعر الجميلة: الخسّة[١]
التي تنمو قرب الماء!»

(١) وفي مناسبات أخرى يُشبّه شعر الحبيبة المعقوص نحو الأعلى بالخسّة.

(٢١) ـ حوارية ألتحقُ بحضن حبيبي

في هذه الحوارية بين الحبيبين وبين الحبيبة ومرافقاتها أو تابعاتها[١] متحدثة أمامهن عن الحبيب وعن شوقها للقائه، نشهد إنانا «الأخت» تعدّد لنا تفاصيل استعداداتها وتبرّجها قبل قدوم الحبيب، «الأخ»، ولا تخفي عن مرافقاتها فرح جسدها بهذا اللقاء. وتسهيلاً لمتابعة النص في انتقاله بين المتحاورين أضفنا في هوامشه اسم المتحدث وتوجّه الحديث:

الحبيب: ماذا عملتِ في دارك يا أختاه؟
ماذا عملت في دارك يا جميلتي؟
الحبيبة: استحممت واغتسلت
استحممت في البركة المتلألئة
واغتسلت في الحوض الأبيض!
وفي الحوض دلّكت جَسدي بالدهون؛
ثم اكتسيت بردائي الملكي، رداء ملكة السماء والأرض!
ولهذا السبب، إحتبست في داري!
ثم زيّنت بالكحل عينيّ؛
أما شَعري الأشعث فقد لمّعته على نقرتي
مشّطت خصلَ شعري غير المرتّبة:
أنا أعرف المِشبك (؟) ودبوس الشعر اللذيْن يعجبانه!
على رأسي، رطّبت شعريَ المجعَّد
وجمّلت جَدائلي المشتّتة
لكي تغطّي نقرتي!
ولبست في معصميّ أساور من فضّة
كما ربطت حول عنقي عقداً من اللآلىء الصغيرة

---

(١) ما يوازي بنات أورشليم في نشيد الأنشاد.

واصلحت في مقدمة رقبتي موضع الجوهرة المتدلية

وبعد كل هذه الاستعدادات، تفتح الباب للحبيب الذي يدخل محملاً بالهدايا.

الحبيب: «يا أختاه، (انظري) ما جلبته مما يلائم «عين ـ قلبك»[١]

(وفقاً) لقلبك، لقلبك الحبيب (انظري) ما جلبت:
أتيت بالأطايب بكميات من أجلك
يا أختاه، يا نور الكواكب ويا بهجة أمها التي ولدتها:
أختي التي من أجلها أتيت بخمسة أرغفة
أختي التي من أجلها أتيت بعشرة أرغفة
وضعتها بترتيب جميل حول صورتك!...»

الحبيبة: (متوجهة نحو تابعاتها):

«عندما سيعود أخي من القصر
فليعزف الموسيقيون من أجله
وأنا سوف أسكب له الخمر
وبذلك سوف يبتهج قلبه
وسوف تملأ قلبه السعادة!
أحضرن، أحضرن، أحضرن القشدة كثيفة
والجعة مثمِلة!»

الحبيب: «يا أختاه (انظري) ما أتيت به لعندك:
جِملان تضاهي جمالاً، تضاهي جمالاً النعجات!
(انظري) أختاه، ما أتيت به لعندكِ:
جِديان تضاهي جمالاً، تضاهي جمالاً العَنزات!
(انظري) يا أختاه، ما أتيت به لعندكِ:
نعم، حملان تضاهي النعجات بظرافتها!

---

(١) التعبير السومري وفق «عين ـ قلبكِ» يعني وفقاً لما تحبين أو ما تفضلين.

(انظري) يا أختاه، ما أتيت به لعندكِ:
نعم، جديان تضاهي العَنزات بظَرافتها
انظري، يا أختاه ما أتيت به لعندك!»

وفي تلك الأثناء كانت الحبيبة على أتمّ الاستعداد للاتصال بعشيقها وأخذت تتحرق شوقاً ورغبة لهذا اللقاء فتنشد متوجهة لمرافقاتها:

الحبيبة: (39) «آه، كم هو منتفخ صدري!
وأية فروة كست فرجي!
لنكن سعيدات: أنا ألتحق بحضن حبيبي
سيّد الكرم والجود!
ارقصن، ارقصن (جميعكن)!
قسماً بباؤ[١] لنكن مبتهجات من أجل فرجي!
ارقصن، ارقصن (جميعكن)!
سوف تكون خاتمة (هذا اللقاء) جيدة،
بل ممتازة من أجله!»

وتعرّف الفقرة الأخيرة للنص بأنه نشيد «بالبال لإنانا» ويكرّر الشاعر كلازمة، السطر رقم ٣٢:

«أحْضِرنَ، أحضرن، أحضرن القشدة كثيفة
والجعّة مُثمِلة!»

---

(١) (Ba'u) المقصودة هي الإلّهة «باوا» (Bawa) إلّهة مدينة لغش ومن الصعب تفسير ذكرها في هذه المناسبة.

(٢٢) ـ إلى حديقته أدخلني ، أدخلني دوموزي

«أدخلني إليها! أدخلني إليها!
أدخلني أخي ، إلى حديقته!
دوموزي أدخلني إلى حديقته!
أخذني معه حتى المظلّة
وجعلني أركن معه على زهراء مرتفعة!
على الفور اتخذت وضعي تحت شجرة تفاح ،
بينما وصل أخي وهو يغنّي
وبينما كان دوموزي يتّجه نحوي :
يتّجه نحوي اعتباراً من الظُلّة السمراء لشجر السنديان
يتّجه نحوي تحت حرّ الظهيرة!
سكبتُ من حضني أمامه الخُضار
أنتجتُ له خُضاراً وسكبتها أمامه
أنتجت له حَبّاً وسكبت حبّاً أمامه!»

وفي نشيد آخر وصلنا في حالةٍ سيّئة ، أمكن التعرّف على مقاطع من نَفَسٍ مماثل لما سبق ، حيث تذكر إنانا بأن الحبيب «وضع يده على يدها» و «رجله فوق رجلها» و «ضغط بشفتيه على فمها» وبعد أن «أخذ معها لذّته»، قادها إلى حديقته حيث كانت توجد «أشجار ذات جذوع عمودية» وأخرى «منحنية».

(٢٣) ـ دوموزي يمازح شقيقته جيشتينانّا[١] أمام مشهد التسافد في قطيعه

1 «كانت تلك أيام كَثرة وليالي وفْرة،
أشْهُر رخاءٍ وسنوات سعادة!
عند ذلك، ومن أجل إدخال الفرح إلى قلوب الناس
7 قرر الراعي دوموزي في قلبه النبيل
5 التوجه نحو الحظيرة لجعل البهجة تنوِّرها،
6 وتضيء كالشمس الحظيرة المباركة»

يبدأ أولاً بإعلام إنانا «قرينته» عن قراره وعن المشروع الذي أزمع تنفيذه:

10 أريد الذهاب إلى السهوب أي «قرينتي»
لزيارة حظيرتي الجميلة
والتعرّف على حالة قطعاني النبيلة
ولكي أقدم لنعجاتي ما تأكله
وإيجاد ماء بليل لتشربه

جواب إنانا غامض وغير مفهوم. . . ونرى دوموزي فيما بعد، يصل إلى الحظيرة، ترافقه أخته جيشتينانّا. وبعد تناولهما الطعام، يعمد دوموزي إلى ممازحة شقيقته لتسليتها:

30 «ملأ الحظيرة بكل ما يلزم
وعمّت الحظيرة حركة (تأمين) الكثرة!
ودوموزي وجيشتينانّا تناولا عند ذلك:
وقعة شهية،
سكبا لأنفسهما العسل والسمن

---

(١) (Geshtinanna) اسم شقيقة دوموزي.

وشربا الجعة والخمرة.
ثم (قرر) دوموزي، الراعي دوموزي
قرر في نفسه، تسلية شقيقته».

يلي بعد ذلك مقطع مشوّه، تنقصُ فيه كلمات أساسية لتفهم كامل معناه إلا أن مَا أمكن متابعته من محتواه، هو أفضل ما يمكن تقديمه حتى اليوم:

«جعل (دوموزي، النعجات) تدخل الحظيرة في رتل أحادي
عند ذلك، ركب حملٌ أُمَّه،
سَفَدها ونزا عليها.
فقال الراعي لشقيقته:
انظري يا شقيقتي، ماذا عمل الحمل بأمّه!
وببراءة أجابته شقيقته:
صعد عليها وها هي تثغو لذةً!
إذا ما ثغت لذة (قال دوموزي) بعد أن صعد عليها،
فذلك لأنّه أغرقها بمنيّه.
ثم بعد ذلك، عندما ركِبَ جدي أختَهُ سفدها ونزا عليها،
قال الراعي لشقيقته:
أنظري يا شقيقتي، ماذا عمل الجدي بأخته
وأجابت شقيقته ببراءة:
صعد عليها وها هي تثغو لذةً
إذا ما ثغت لذة (قال دوموزي) بعد أن صَعد عليها
فذلك لأنه أغرقها بمنيّه المخصب!»
[. . .]

تلي بعدَ ذلك عدة أسطر مشوّهة ومبهمة المعنى وتنتهي اللوحة بتعبير «قالت له شقيقته» . . . وهذا يعني أن النص لا يتوقف هنا وأن هناك لوحة أو لوحات مكمِّلة لم تُكتشف بعد.

(٢٤) ـ بعد أن أَشْبَعَ الحبيب شهوته
عاد إلى القصر!

وصلنا القسم الأخير فقط من هذا «النشيد البالبال» ونَسمعُ من خلاله إنانا تشكو وتأسف لعودة الحبيب إلى القصر هاجراً الفراش الناعم المضمّخ بالعطر بعد أن أشبع شهوته.

[. . .]
24 «كان حبيبي قد قدم للقائي:
فبلغ معي لذته وكنا سعيدين معاً!
كان أخي قد قادني إلى داره
وجعلني أتمدّد على فراشه الناعم المضمّخ بالعطر!
وعند ذلك تمدّد حبيبي العذب فوق «قلبي»
وبضربة لسان بعد أخرى، وبـ [. . .] بعد آخر
ولكنه بعد ذلك، ويداه على خصْريه[١]
31 بعد أن أشبع شهوته، حبيبي العَذب (قال لي):
دعيني أذهب يا أختاه، دعيني أذهب!
بلى! أي أختي الحبيبة، أنا عائد إلى القصر. . .»
[. . .]

---

(١) يعني ذلك بعد الانتهاء من عمله الجنسي واستعداده للمغادرة.

(٢٥) ـ الحب الذي أضاع دوموزي
وهل موته كان نتيجةً لحبّه؟

أحبّ دوموزي إنانّا الخصب فأنتجت له وللبلاد الماشية والحبوب والخضار وهو في هذه القصيدة التي تُعدّ لمصير دوموزي المؤسف، نراه بكل محبّةٍ يتغنّى بجمال حبيبته وبجسدها، بتعابير رقيقة لا يمكن إلا أن تذكرنا بروح «نشيد الانشاد». . .

ولكن إنانا في إجابتها لدوموزي تستشعر الموت الذي ينتظره، وتعدّ نفسها مسؤولة عن ذلك، فهل الموت الذي عرفه دوموزي هو ثمن قبوله، بعلاقته مع إنانا، لحمْل الخصب إلى البلاد وتحقيق تكاثر الماشية والبشر؟ فكان بذلك أول «فادي» بالمعنى المسيحي للفداء، الذي اكتسب بعد أكثر من ألفي عام الروحانية والرمز الذي يحمله؟

والأساطير التي ترد في الكتاب الرابع من هذه المجموعة، عن مصير دوموزي وموته وعن بعثِهِ خلال نصف السنة بسبب قبول شقيقته جيشتينانّا الحلول مكانه للنصف الآخر وعن مسؤولية إنانّا لتعيينه بديلاً منها؛ هذه الأساطير تبقى هنا سؤالاً مطروحاً لا مجال لبحثه من خلال هذا العرض للنصوص القديمة ولمحتواها.

دوموزي يتغزّل بجسد حبيبته

«آه يا نزوتي، يا نزوتي، يا نزوتي المسيطرة!
آه يا آسرتي، يا آسرتي يا مَالِكتي!
أنتِ خمري المبهج، يا أحلى عسلي، يا «فمَ ـ
أمّها» الطلّ، يا طليتي!
نظرة عينيكِ تسحرني: تعالي يا أختي الحبيبة!
كلمات الاستقبال على شفتيكِ تحرّك مشاعري،
يا «فم ـ أمّها» الطلّ، يا طليتي!
قبلات فمكِ تهزّني: تعالي يا أختي الحبيبة!
و «جِعَتُكِ» المصنوعة من الحَبّ ممتع شربها،
يا «فم ـ أمّها» الطلّ، يا طليتي!

ومُنتِشَتُكِ الـ . . . ، لذيذة الطعم: تعالي
يا أختي الحبيبة!
رشاقتك في دارك [تحرك عواطفي]،
يا «فم ـ أمّها» الطلّ، يا طليتي!
أي أختاه، رشاقتك [تحرك عواطفي]
تعالي يا أختي الحبيبة!
مسكنك ثابت لا يتزعزع . . . يا «فم ـ أمّها»
الطلّ، يا طليتي!»

ويعود إلى دوموزي صدى إعلانه لحبّه في اجابة إنانّا التي تحبّه هي أيضاً ولكنها تُعِدُّهُ لمصيره الحتمي القاسي. فهل كان ذلك، لأنّه أحب إلهة حبّاً أرضياً أو بشرياً (؟):

«يا ابن الملوك، أي [أخي، يا ذا الوجه الجميل]:
لقد أنقذتُ حياتك، لقد أنقذتُ حياتك،
ولكن ها أنت أصبحت هدفاً لمصيرٍ في منتهى القساوة!
أنقذت لك حياتك خارج أسوار المدينة، أي أخي
ولكن، ها أنت أصبحت هدفاً لمصيرٍ في منتهى القساوة!
أنت الذي لم يستطع العدوُّ بذاته رفع يده ضدّه؛
ها أنت أصبحت هدفاً لمصيرٍ في منتهى القساوة!
أي [. . .]
آه يا حبيب [قلبي]
أنا التي بدون شك سبّبت لك هذا المصير القاسي
يا أخي، يا ذا الوجه الجميل!
يا أخي، أنا بدون شك سببت لك مثل هذا المصير
القاسي، يا أخي، يا ذا الوجه الجميل
لقد وضعتُ يدك اليمنى على فرجي
وكانت يدك اليسرى تداعب شَعْري
وفمك كان ينضغط على فمي

وعلى فمك كانت شفتاي منضغطتين:
ولهذا السبب[1]، أصبحت هدفاً لمصير في منتهى القساوة!
هذا ما سيكون يا «ملتهم» (؟) النساء، يا أخي
يا ذا الوجه الجميل!
كم كان إغراؤك عذباً، يا حامل ـ أزهاري،
يا حامل ـ أزهاري!
إغراؤك كان عذباً، في الحديقة، يا حامل
ـ أزهاري!
إغراؤك كان عذباً في حديقة شجر الميس[2]
يا حامل ـ ثماري!
يا دوموزي ـ أبزو[3] . . .، كم كان إغراؤك عذباً؟
يا صورة ذهبيةً لي، يا صورة ذهبية لي
كم كان إغراؤك عذباً!
يا تمثالاً من المرمر متوّجاً باللازورد، كم كان
إغراؤك عذباً!»

التصنيف:

ـ هذا نشيد بالَبّال لإنانّا.

(١) نحن هنا أمام فكرة تتعدى الموت المؤقت من أجل الخصب وبعث الطبيعة من موتها أو نومها مع عودة الربيع وبعث دوموزي. . . نحن هنا أمام فكرة ورثتها بشكل أوسع الميثولوجية اليونانية حين فرّقت في رمزيتها بين الغذاء أو الطعام الأرضي والغذاء الروحي. والعلاقة مع الآلهة يجب أن تبقى في المستوى الروحي. والموت أو أي عقاب آخر كان مصيراً لهذا التجاوز.
(٢) (Mes) شجر عرف فيما بين النهرين وما أمكن التعرّف على نوعه.
(٣) (Dumuzi-Abzu) لقب عرف به دوموزي.

(٢) ـ ملوك سومر وأناشيد الحب

(٢ ـ ١) ـ التوسع نحو المتوسط

(٢ ـ ٢) ـ الملوك الذين اشتركوا في
طقوس الزواج الإلهي

(٢ ـ ٣) ـ النصوص (٢٦ ـ ٣٤)

(٢ ـ ١) الملوك السومريون
والتوسع نحو المتوسط

١ ـ «العُبَيْدِيُون»، نسبة إلى مكتشفات «تل العُبَيْد» الواقع في القسم الجنوبي من بلاد ما بين النهرين، هم الذين تواجدوا في البلاد قبل السومريين والأكاديين، وهم الذين نشروا ثقافة ما قبل التاريخ التي عثر على آثارها في عدد كبير من الطبقات السفلية للتلال الأثرية الموزعة على كافة البلاد في ما بين النهرين. وقد تميّزت هذه الثقافة التي بدأ انتشارها منذ منتصف الألف الخامس لما قبل الميلاد، باكتشاف أدوات حجرية: معازق، و «رحى» وشفرات، وآنية فخارية، و «مناجل حصاد» وأثقال للنسيج وأوعية وتماثيل صغيرة، وبشكل خاص اكتشاف أوعية خزفية مطلية في حفريات متعددة وميّزت ما سُمّي بفترة «تل العُبَيْد». كل تلك المكتشفات لفترة ما قبل التاريخ دلّت على أن «العبيديين» استقرّوا كمزارعين وأسّسوا في مختلف أنحاء ما بين النهرين تجمّعات سكنية ونجحوا منذ تلك الفترة الموغلة في القدم في إقامة أسس اقتصادٍ ريفي وفير وثابت.

٢ ـ ويمكننا القول بأن تلك الفترة، كانت ما قبل سومرية ولم يظهر من سمّوا بالسومريين، ليس عرقياً، بل بسبب تكلمهم وكتابتهم اللغة السومرية، لم يظهر هؤلاء إلا في النصف الأخير من الألف الرابع ق. م. وفي الوقت نفسه، كانت تتسرّب إلى البلاد عبر الصحراء العربية وبادية الشام، القبائل التي اصطُلح على تعريفها «بالسامية» والتي عرفت فيما بعد بالمارتو والعموريين والأكاديين وإذ نحن نجهل أصل السومريين وبلد نشأتهم، إلا أننا نعلم من النصوص القديمة أنه كانت لهم علاقات وثيقة تعاونية أو تنافسية مع سكان إحدى المناطق الجبلية في إيران وهي مملكة آراتّا[١]. وهناك اتجاه آخر، مُقتبس عن بيروز البابلي[٢] يعتبر أن

(١) (Aratta) لا يزال موقعها الأكيد مجهولاً ويعتقد أنها كانت تقع إلى الشمال الشرقي من سوز (Suze).

(٢) (Bérose) كتب في القرن الرابع لما قبل الميلاد.

السومريين قاموا من الجنوب الشرقي لمنطقة الخليج. ومهما يكن من أمر فإن السومريين حين تمّ اختلاطهم بمن سبقهم من سكان ما بين النهرين نشأت عن هذا الامتزاج نهضة حضارية مذهلة في تقدمها وسرعة ازدهارها: سياسياً واقتصادياً وفي مختلف الصناعات والفنون والعمارة والحياة الفكرية والفكر الديني، وبخاصة انتشار لغتهم السومرية وابتداعهم منذ حوالي الألف الثالث لما قبل الميلاد نظاماً للكتابة وتنظيماً لأسس تعليمه.

٣ ـ ومنذ بداية الألف الثالث لما قبل الميلاد، بدأت الملكية في مدينة كيش[١]. واعتبرت «لائحة ملوك سومر» أن ملك كيش في تلك الفترة كان إيتانا[٢] وهو الذي «عمّم في البلاد الاستقرار» وفرض سلطته على المناطق المجاورة. وخلفه فيما بعد الملك ميسكي آچشر[٣]، وهو الذي بلغت سلطته المتوسط غرباً وجبال زغروس شرقاً.

٤ ـ وتولّى ابنه إينمركار[٤] من بعده ملكية أوروك القديمة وهو الذي شنّ حملة على مملكة آراتّا التي كانت تتعبّد إلى آلهة سومر نفسها وخاصة الإلّهة إنانا[٥]، بغية الحصول على المعادن الثمينة والأحجار الكريمة. وكانت منطقة آراتّا على ما يظهر معروفة بتفوقها في معالجة النحاس والفضة وصياغة وتشكيل القطع الفنية الرائعة واستعمال الأحجار الكريمة...

٥ ـ وخلف إينمركار على ملكية أوروك قائده ورفيق سلاحه لوچال بندا[٦] وحقّق انتصارات ألهبت قرائح شعراء ذلك الوقت. إلاّ أن مدينة (كيش) في الشمال عادت إلى احتلال الأولوية، مقلّلة من أهمية أوروك وقد أسس ملك كيش في تلك الفترة «الإيكور»[٧] وهو أهم المعابد السومرية المخصص لسيد مجمع الآلهة إنليل، في مدينة «نفّر»[٨] التي أصبحت المركز الديني والثقافي لكافة البلاد.

وانتقلت السيطرة بعد ذلك إلى مدينة أور حيث عثر على المقبرة الملكية الغنية بمحتوياتها الشهيرة ومنها القيثارة وشعار أور وزينة الأميرة شوباد[٩] ثم عادت الأولوية بعد ذلك إلى مدينة أوروك، تحت حكم چلچامش، أشهر ملوكها وهو أيضاً بموجب الملحمة المخصصة لبطولته

---

(١) (Kish) مدينة قديمة تقع إلى الشمال الشرقي من بابل وعلى مقربة منها.
(٢) (Etana) سوف يرد اسم إيتانا فيما بعد في إحدى الأساطير الهامة، من ضمن الكتاب الثاني.
(٣) (Meski-agsher) وهو الذي أسس ملكية مدينة أوروك (Uruk).
(٤) (Enmerkar) وهو الملك الثاني لملكية أوروك القديمة في الثلث الأول من الألف الثالث ق. م.
(٥) انظر في هذا الكتاب النص رقم (٢٦).
(٦) (Lugalbanda).
(٧) الإيكور (Ekur) بمعنى بيت [illegible] الجبل.
(٨) (Nippur).
(٩) القراءة المقترحة اليوم هي [illegible] (Puabi) (٢٥٥٠ و ٢٥٠٠).

ولسعيه في مطلب الحياة الأبدية بلغ البحر المتوسط على ما يظهر.

وبعد چلچامش فإن أول «مؤسس امبراطورية» نعرف عنه أكثر من غيره هو ملك مدينة (آداب)[١]، وهو الذي سيطر وأشرف على المنطقة بكاملها من ايران إلى المتوسط ومن الخليج حتى طوروس وقد حكم بعده مباشرة الملك ميساليم[٢] اعتباراً من مدينة كيش وهو الذي ترك لنا نقوشاً تشير إلى تشييده كلاً من معبدَيْ (آداب) ولغش[٣] البعيدين عن كيش. وبدأت بعد ذلك السلطة السومرية تضعف بسبب النزاعات الداخلية بين المدن على السيطرة. وآخر مدينة سومرية لعبت دوراً سياسياً في تلك الفترة كانت مدينة لغش حيث استطاع أحد ملوكها إياناتوم[٤] وضع يده على كافة البلاد إلا أن حكمه لم يدمْ طويلاً، إذ تقلّصت بعد ذلك مملكة لغش إلى حدودها لما قبل التوسع ولكنها تركت لنا بالمقابل أقدم مجموعة من النصوص التأريخية المعروفة. وآخر ملوك لغش كان أوروكاجينا[٥] وهو أول من أدخل إصلاحات اجتماعية في مملكته، إذ وضع حدّاً للظلم واستثمار الضعفاء وخفض الضرائب ولكن تلك الإصلاحات أتت متأخرة إذْ غُلبَ على أمره من قبل مدينته أومّا[٦] الواقعة على حوالي ٤٠ كم إلى الشمال من لغش، وذلك بعد حوالي عشر سنوات من الحكم من قبل لوغال زاچيزي[٧] الذي فاخر في النقوش التي تركها لنا بأنه حقق انتصارات نحو الشرق ونحو الغرب وأخضع له خمسين ملكاً.

٦ ــ وفي تلك الفترة بالذات تمكّن قائد كبير هو سرجون الأكادي (٢٣٤٠ ـ ٢٢٨٤) من فرض سيطرته العسكرية والسياسية والادارية على سومر وآكاد ودام حكمه حوالى خمسين عاماً تمكّن خلالها من تأسيس امبراطوريته الممتدة على كامل منطقة الشرق الأدنى مع احتمال إخضاعه لكل من قبرص ومصر. كما بنى عاصمة جديدة لامبراطوريته هي مدينة «أكّادي» التي لم يكتشف موقعها حتى اليوم والتي يعتقد أنها تقع إلى الشمال الغربي من بابل على بعد حوالى ٤٠ كيلومتراً. وسرجون الكبير هو أيضاً تعامل مع ساحل المتوسط. وبعد موته تولى الحكم ولداه الواحد تلو الآخر وحافظا على امبراطوريته إلا أن حفيده نرم ـ سين[٨] حاول إخماد ثورة في سومر، مما اضطره إلى التعرّض لمعبد الإلّه إنليل في نفّر وهدمه. ولكنه بعد ذلك بفترة وجيزة، غُلِبَ على أمره من قبل قبائل شبه بربرية هبطت من جبال ايران الغربية وهم

---

(١) (Adab) مدينة سومرية تقع على بعد حوالى ٤٥ كم من نفّر.

(٢) (Misalim) حكم خلال منتصف الألف الثالث.

(٣) (Lagash) تبعد حوالى ٢٠٠ كم عن كيش إلى الجنوب الشرقي.

(٤) (Eannatum) حوالى ٢٤٧٠ ق. م.

(٥) (Urukagina) حكم حوالى ٢٣٥٠ ق. م.

(٦) (Umma).

(٧) (Lugalzagesi) حكم حوالى ٢٣٤٠ ق. م.

(٨) (Naram-Sin) حكم خلال (٢٢٥٩ ـ ٢٢٢٣) ق. م.

القوتو[١] الذين اجتاحوا سومر وعزلوها ثم هدموا ومسحوا العاصمة «أكّادي» وانهارت بذلك امبراطورية سرجون التي لم تدم أكثر من مائة عامة.

٧ ـ وتطلّب الأمر بعد ذلك عدة أجيال لكي يتمكن السومريون من العودة إلى مسرح الأحداث بعد التخلص من سيطرة القوتو. وعادت مدينة لغش[٢] لاحتلال مركز الصدارة بفضل أميرها وحاكمها چوديا[٣] وقد أشارت النقوش المكتوبة التي تركها لنا إلى علاقاته التجارية مع مختلف أنحاء العالم القديم في الشرق الأدنى. إذ كان يستورد الذهب من الأناضول ومصر، والفضّة من طوروس والأرز من الأمانوس والنحاس من زغروس والأحجار القاسية من منطقة الملوخّة[٤] وخشب البناء من بلاد دلمون[٥]. ومن ضمن تلك العلاقات التجارية الواسعة للحاكم چوديا عرفت قوافله هي أيضاً شواطىء المتوسط في جزءيه الكنعاني الجنوبي والدلتاوي على أقل تعديل.

٨ ـ ثم تعود بعد ذلك المنافسات فيما بين المدن السومرية على التحكم في البلاد وتتمكن أور من السيطرة من جديد على يد ملكها أور ـ نامّو[٦] مؤسس ما سُمّي بملكية أور الثالثة وكان أور ـ نامّو في الوقت نفسه قائداً ومصلحاً ومشرعاً واحتلت قوانينه أهمية كبرى في مجال العدالة الأخلاقية حين نصت على معاقبة التضرر الجسدي المسبّب للغير بدفع غرامة من قبل المتسبّب عوضاً عن تطبيق شريعة «العين بالعين» الموسوية وهكذا وقبلها بألف عام تم اعتماد مبدأ أكثر انسانية يقضي بالتعويض المادي عن الضرر الحاصل.

٩ ـ وخلف أور ـ نامو ابنه الملك شولجي[٧] وكان هو أيضاً قائداً متفوقاً ودبلوماسياً بارعاً واحتفظت سومر خلال حكمه بازدهارها وتفوقها. وشولجي هو أحد الملوك الذين وصلتنا عنهم أناشيد حب تحتفل بالزواج الإلّهي[٨].

ولكن في تلك الفترة بدأت القبائل شبه البدوية الملقبة بالمارتو باللغة السومرية، وهم

---

(١) (Qutû) وهم الذين حسب القراءة القديمة لتسميتهم بالغوتي (Guti) أو الغوتيون.

(٢) ورد التعريف بموقعها أعلاه.

(٣) (Gudéa) حكم خلال فترة (٢١٤١ ـ ٢١٢٢) ق. م.

(٤) (Meluhha) المنطقة الواقعة على الشاطىء الشرقي للخليج العربي ـ الفارسي في الجنوب من إيران.

(٥) (Dilmun) المنطقة الواقعة على الشاطىء الغربي من الخليج العربي ـ الفارسي بجوار البحرين. راجع بصددها النص الأول من هذا الكتاب.

(٦) (Ur-Nammu) حكم خلال فترة (٢٠٩٤ ـ ٢٠١١) ق. م.

(٧) (Shulgi) حكم بين (٢٠٩٣ ـ ٢٠٤٦) ق. م.

(٨) انظر النصين الرقمين (٢٨) و (٢٩).

العموريون الأكاديون الذين تمكّنت موجاتهم الآتية من الشمالي الغربي لما بين النهرين من أن تصبح سيدة في مدن مهمة مثل إيسين[١] ولارسا[٢] وبابل[٣] وازداد تأثيرهم وقوتهم السياسية، بحيث حمل اثنان من خلفاء الملك شولجي اسمين أكاديين على الرغم من كونهما من نسل شولجي المباشر.

أما عيلاميو الشرق فقد استفادوا من الفوضى ومن ضعف مملكة أور فحاصروها وأسروا آخر ملوكها وهو ايبّي ـ سين[٤].

وخلال قرنين ونصف القرن بعد سقوط أور قامت في البلاد صراعات جديدة بين ممالك ـ المدن بغية السيطرة، انتهت بتفوّق حمورابي (١٧٩٢ ـ ١٧٥٠) ملك بابل وأصبح الملك الوحيد لسومر وآكاد معاً وانتهى بذلك حكم ملوك سومر الذين امتد حكمهم منذ النصف الأخير من الألف الرابع ق. م. حتى حمورابي وقد تخللت تلك الحقبة الطويلة من الزمن فترة قصيرة ذكرنا آنفاً أنها لم تدم أكثر من مائة عام (الفقرة ٦). ويمكننا القول بأن التطور الأكادي المشار إليه جعل اللغة السومرية يتراجع تَدَاولُها في الحياة اليومية إذ حلت محلها اللهجة الأكادية كلغةٍ للكلام.

١٠ ـ ولكن اللغة السومرية، بقيت من حسن الحظّ ولفترة طويلة فيما بعد، لغة الثقافة والمعرفة والممارسة الدينية واستمرت سومرية الثقافة في شكلها ومحتواها: فحافظ المتعلمون على اللغة السومرية وحافظت المدارس على تعليمها كأساس للمعرفة، وكتراثٍ له قدسيته. وعلى هذا الأساس قام المتعلمون الأكاديون[٥] خلال القرون الأربعة الأولى من الألف الثاني بنسخ وتسجيل الأعمال الأدبية والأساطير السومرية والدينية بلغتها الأصلية السومرية وعلى هذا الأساس وصلتنا كل تلك الأعمال التي كشفت عنها الحفريات في مختلف أنحاء ما بين النهرين التي تعود لتلك الفترة. كما استمرت ازدواجية اللغة بين المثقفين مدةً طويلة، ولمدة طويلة أيضاً، وفيما بعد، حافظت المدائح الإلّهية والابتهالات الدينية والطقوس على اللغة السومرية إلى جانب اللغة الأكادية على اللوحة نفسها[٦] وسوف نورد أمثالاً على ذلك في كتاب مستقل فيما بعد.

---

(١) (Isin) إلى الجنوب من نفّر على بعد حوالى ٢٥ كم.
(٢) (Larsa) تقع إلى الجنوب الشرقي من أوروك على بعد حوالى ٣٠ كم.
(٣) بابل تقع على حوالى ٧٠ كم من بغداد.
(٤) (Ibbi-Sin) حكم خلال فترة (٢٠٢٧ ـ ٢٠٠٣) ق. م.
(٥) أو السومريون الذين تبنّوا اللغة الأكادية بالإضافة إلى لغتهم الأصلية.
(٦) مثال اللوحات التي احتوت نصوصها على سطر سومري يليه سطر أكادي وهكذا حتى نهاية النص.

١١ ـ عرضنا هذه اللمحة التاريخية السريعة حول ملوك الفترة السومرية للدلالة على أن سومر أو سومر وآكاد لم يشكّلا منطقة معزولة عن عالمها، بل كان انفتاح ما بين النهرين إلى الشرق وإلى الغرب قائماً منذ العصور القديمة سواء أكان ذلك عن طريق التوسع وبسط النفوذ، أم عن طريق التجارة. وما يهمّنا هنا هو جاذبية البحر المتوسط وشواطئه الغربية[١] بالنسبة للملوك الذين استعرضنا فترات حكمهم. وما يهمنا أيضاً هو استمرار اللغة السومرية كما أشرنا إلى ذلك أعلاه كلغة للثقافة والمعرفة في المنطقة، لمدة طويلة إلى جانب اللغة الأكادية التي احتلت فيما بعد دور اللغة الدبلوماسية[٢]. ولذلك فإن الانتاج الأدبي السومري حين عُمد إلى نسخه وتثبيته على الآجر خلال الثلث الأول من الألف الثاني، وحين عُمد إلى ترجمة محتواه فيما بعد، نظراً لأهميته وشهرته، باللغة الأكادية أو الأوغاريتية أو الحثية، هذا الانتاج الأدبي تمّ التعرّف عليه على الأرجح على شواطئنا الكنعانية، في أوغاريت وجبيل، وصيدون وعلى الأخص في ما هو مشترك منه في المعتقدات التي تداولتها وآمنت بها المنطقة. وقد قلنا في مناسبات عديدة أن الإلّهة التي كانت تسهر على خصب الأرحام والحيوانات والأرض هي إنانا.

وإنانا[٣] هي أيضاً عشتار الأكادية[٤]، وعشتروت الكنعانية[٥] وأناشيد الزواج الإلّهي المرتبطة بها في اقترانها مع دوموزي وأناشيد الزواج الإلهي في اقتران بديلتها مع ملك سومر، هي بدون شك أعمال يمكن إرجاعها إلى الأدب المقدس. ولكنها في الوقت نفسه أناشيد حُبّ من أرقّ وأجمل ما أنتجه الأدب العالمي في تلك الفترة الموغِلة في القدم. وهي تحتوي على المادة البكر «لنشيد أنشادِ سومري» وفي ظننا أن «نشيد الأنشاد» التوراتي، لا يفقد شيئاً من قيمته الأدبية وعذوبته، فيما لو كنا تعرّفنا عليه خارج صفحات العهد القديم وفي حال عدم اضطرار مفسري العهد القديم والمفسرين من آباء الكنيسة، لابتداع تفسيرات أقل ما يقال عنها أنها اصطناعية ولا علاقة لها إلا بما افترضه مفسروها، ولا ترتبط بما يحتوي عليه النصّ، وهذا ما سوف نعود إليه فيما بعد.

ونكتفي بالقول بأن الزواج الإلّهي وأناشيده أو على أقل تعديل أناشيد الحب المرتبطة به كانت على الأرجح معروفة على الساحل الكنعاني. ومع أنه لم يعثر حتى اليوم على نص يُنشد ويحتفل بالزواج الإلّهي بشكل مباشر في كل من أوغاريت أو جبيل (جوبلا) أو صيدون. . .

---

(١) الغربية نسبةً لما بين النهرين.
(٢) مراسلات تل العمارنة مثلاً العائدة للقرن الرابع عشر ق. م.
(٣) انظر النص رقم (٢٦) للتعرّف على أن إنانا كانت أيضاً إلّهة «البلاد المرتفعة» في إيران.
(٤) نحن نعلم أن الفترة الأكادية ـ البابلية التي تلت حكم حمورابي، ولمدة طويلة، عرفت الزواج الإلّهي في عيد رأس السنة «الأكيتو» وذلك احتفالاً بالربيع وتيمّناً بانتشار الخصب في البلاد.
(٥) في تسميتها «بعلة» أو «عشترة» أي عشتروت، في كافة الممالك الكنعانية بما في ذلك قبرص.

ومدينة أوغاريت هي المركز الكنعاني الوحيد الذي قدم لنا نصوصاً ميثولوجية تعود إلى القرن الرابع عشر ق. م. ولوحات أخرى تتعلق بالطقوس الدينية وبدور الملك في مرافقتها، فإن النصوص المشار إليها أكّدت لنا أهمية اهتمام الأوغاريتيين الواضح بالخصب والإخصاب. والإلّه بعل الأوغاريتي «ممتطي الغيوم»، لم يكن مسؤولاً فقط عن الأمطار التي تخصب الأرض، بل كان أيضاً يهتم بإخصاب القطيع، قطيع البقرات والعجلات، إذ نراه في أحد النصوص الأوغاريتية[١] يضاجع قرينته الملقبة «بالعجلة»، ومما يرد في النص:

«تهيّج (بعل) فأخذها من فرجها

تهيجت هي، فأخذته من قضيبه

وسيطرت على بعل الشهوة

نحو قطيع البتولة عناة»[٢]

كما نقرأ في النص نفسه أن:

«بعل، سوف يتقدم و [قضيبه] ممتلىء

سوف يتقدم هدّو[٣] واصبعه ممتلىء».

ويبتهج بعل عندما تعلمه عناة، بأن عجلاً سيولد له وهنا على ما يظهر يحتل بعل مكانة الإلّه إيل رأس آلهة أوغاريت فيما يتعلق بدور الإخصاب لأن الإله إيل الملقب «بالثور»[٤] يفقد مع تقدم السن من قدرته الجنسية وهذا ما يظهر في النص الأوغاريتي لميلاد الإلّهين سحر وشالم[٥]. ويشتمل هذا النص على تعليمات بصدد استعمال العود وتكرار أحد المقاطع سبع مراتٍ، وهو يرتبط بالإخصاب ويُعتبر طقساً للاحتفال بزواج إلّهي نشاهد فيه إيل ينجح بعد محاولة فاشلة في إخصاب امرأتين تقومان بدور إلّهتين كانتا تسحبان الماء وتصبّانه في خزان مرتفع وذلك بقصد استحثاث الخصب بواسطة مادته الأساسية أي ماء الينابيع. وبعد أن ينجح إيل في تحقيق انتصاب قضيبه[٦] يقول عنه النص:

---

(١) النص المصنف (IV-AB).
(٢) الإلّهة عناة هي أخت الإلّه بعل وهي التي على ما يظهر ترعى قطيع البقر لإخصابه.
(٣) هدّو: من هدّ الرعد لقب الإلّه بعل حين يطلق الرعد.
(٤) وبعل في دوره السابق لقب «بالثور الفتي» أو الجَدَع.
(٥) النص المصنّف تحت رمز (S.S.).
(٦) حرفياً، يستعمل النص تعبير: «يد إيل تتمدد...».

«يميل (إيل) ويقبل شفتيهما،

ها هما شفتاهما عذبتان

عذبتان كالرمان[١]

وبعد القبلة، الحمل

وبعد الاحتضان المتقد،

أتى أجل ولادتهما،

فولدتا سَحَر وشالم».

وهناك نص أوغاريتي ثالث يرتبط بالخصب والولادة وهو نشيد زواج الإلّه القمر يارخ مع الإلّهة القمرية نيكّال[٢] كان على الأرجح يردّد أثناء الولادة بغية تسهيلها أو خلال احتفال بعرسٍ يُعِدّ لولادةٍ قريبة.

وأخيراً فإن البكاء على تموز من قبل النساء كما يرى ذلك حزقيال (٨: ١٤) وهو في السبي الأول، أي بعد عام ٥٩٧ ق. م.، حين يتصور «باب بيت الرب من جهة الشمال، وإذا هناك نسوة جالسات يبكين على تموز»، فالبكاء على تموز هو بكاء عشتروت في بلاد كنعان لموت حبيبها تموز كما فعلت عشتار البابلية وإنانا السومرية، ونعود هنا للترجيح أن أناشيد الزواج الإلّهي كانت معروفة على الساحل الكنعاني، ولا نعلم إذا ما كانت طقوس الزواج الإلّهي بين الملك وبديلةٍ عن الإلّهة كانت تمارس في ممالك بلاد كنعان أو في بعضها كما كانت تمارس في سومر، وهل نشيد الأنشاد هو المادة التي تسمح بمثل هذا الطرح؟

وفي كل الأحوال، فإن وجود نشيد الأنشاد التوراتي، تجدر دراسته وتحليله، في ضوء ما وصلنا من نصوص سومرية، أقل ما يقال عنها، أنها متوازية معه.

وسوف نعرض هذه النصوص في الفقرة (٢ ـ ٣) من هذا الفصل، كما سبق أن عرضنا في الفقرة الأولى منه النصوص المرتبطة باقتران دوموزي وإنانا.

١٢ ـ نعود هنا إلى موضوع الملوك السومريين، مضيفين كلمة أخيرة حول شخصية الملك السومري ودوره: فهو «الحاكم»[٣] في المملكة، ولكن القرارات الهامة، كإعلان الحرب مثلاً

---

(١) تذكر هذه التعابير بنشيد الأنشاد في (٤: ٣ و١١) و (٥: ١٣) و (٧: ٩).

(٢) وهو النص المصنف تحت رمز (NK) والإلّهة نيكال هي تسمية حورية (Hurritc) للإلّهة السومرية نينجال (Ningal) أي «السيدة العظيمة».

(٣) (Ensi) آنسي باللغة السومرية.

أو خوضها، كانت تتخذ، من قبل مجلس «القدماء» الذي كان يقوم بدور مجلس أعيان، ومن قبل مجلس شعبي آخر كان يضم كافة الرجال الراشدين القادرين على العمل أو حمل السلاح، وهم بمثابة هيئة عامة في المملكة.

ولئن كان الملك السومري وهو «الرجل ـ المهم»[١]، يتلقّى سلطته من الإلّه ويقوم بدور الكاهن الأول في المعبد خلال إقامة الطقوس، إلا أن القصر، أخذ يحتل أهمية أكثر فأكثر فيما يتعلق بالأحكام المدنية، إلى أن أصبح الملك في نهاية الألف الثالث لما قبل الميلاد، الحاكم الوحيد والمطلق لبلاده. ولم يكن من شأن ذلك إساءة التصرف بالسلطة، أو الاستبداد وتعميم الظلم. بل على العكس، فإن ملكاً مثال الملك شولجي[٢] كان يعتبر ممثلاً للآلهة على الأرض وذلك من أجل السهر على رخاء الشعب.

وكان الشعراء وكهان المعبد يُذكِّرونه دوماً بذلك في أناشيد التمجيد والمدائح، مشيرين إلى أنه اختير من قبل الآلهة لكي:

«يجعل سومر تسير على الطريق الصحيح»

و «لكي ينعم الشعب بالتمتع بظلّه»

و «لكي يقدّم للشعب بكثرة، الطعام والشراب»

والملك هو:

«الموجَّه من قبل الآلهة»

و «مُلكيته يجب أن تحقّق سعادة البشر»

وهو «الراعي الذي يتكاثر ويتضاعف السكان تحت أنظاره»

و «تعيش بسلام، البلاد بكاملها»

والملك الذي يتغنّى بمآثره الشعراء طواعية بسبب مآثره وما حقّقه من أعمال مجيدة تجلب الكثرة والرخاء لشعبه، هو ملك يحبّه شعبه وتحبّه الإلّهة إنانا ويستحق بذلك أن يكون قريناً لها في طقس زواج إلّهي مع بديلتها فيحقّق بذلك تأكيد الخصب للبلاد وترسيخ ملكيته. وكان الشعب والملك يؤمنان حتماً بقدرة إنانا على تحقيق ذلك.

---

(١) (Lugal) لوجال بالسومرية.

(٢) (Shulgi) ملك أور (٢٠٩٣ ـ ٢٠٤٦) ق. م.

(٢ ـ ٢) ـ الملوك الذين وصلتنا عنهم نصوص تشير إلى اشتراكهم في طقوس الزواج الإلهي

من المرجح أن طقوس الزواج الإلهي عرفتها بلاد سومر منذ فترات ملكياتها القديمة، أي منذ الثلث الأول من الألف الثالث لماقبل الميلاد، يدلّ على ذلك النص الذي وصلنا عن اينمِرْكار(١) الملك الثاني لتلك الفترة في أوروك، وكان ذلك قبل أن تعرف المنطقة حكم دوموزي الملك وحكم لوچال بندا وچلچامش(٢) إلا أن اسم دوموزي هو الذي بقي على مر القرون بعد تأليهه، بطلاً للزواج الإلهي ورمزاً يجسّده الملوك للاقتران بالإلهة إنانا أي ببديلتها على الأرض.

أما الملوك الذين قاموا بدور الحبيب في لقاء إنانا والذين وصلتنا عنهم نصوص سومرية تشير إلى ذلك أو بالأحرى تنشد ذلك بتعابير لا تنقصها الشاعرية وتذكّر برقة «نشيد الأنشاد» التوراتي، هؤلاء الملوك، بالإضافة إلى الملك اينمرْكار المذكور أعلاه هم مع فترات حكمهم كما يلي:

- الملك شولجي(٣) وهو الملك الثاني للملكية الثالثة في أور حكم لفترة (٢٠٩٣ ـ ٢٠٤٦) ق.م.
- الملك شو ـ سين(٤) وهو الملك الرابع للملكية الثالثة في أور، حكم خلال الفترة: (٢٠٣٦ ـ ٢٠٢٨) ق. م.

---

(١) (Enmerkar): الملك الثاني للملكية القديمة في أوروك وقد عاصرتها ملكيات أخرى في كل من مدن كيش (Kish) وأور (Ur) ولغش (Lagash).

(٢) (Lugalbanda) و (Gilgamesh).

(٣) (Shulgi).

(٤) (Shû-Sîn).

- إيدّين ـ داچان[1] ملك مدينة إيسين[2]: (١٩٧٤ ـ ١٩٥٤) ق. م.
وهو الملك الثالث لملكية إيسين.

- إيشمي ـ داچان[3] وهو الملك الرابع لملكية إيسين حكم خلال
(١٩٥٣ ـ ١٩٣٥) ق. م.

هؤلاء الملوك سوف نتعرّف عليهم عبر أناشيد الزواج الإلّهي التي تحتفل بلقاء كل منهم مع الإلّهة إنانا لكي يعمّ الخصب والرخاء في البلاد.

ويمكن إضافة اسم الملك إيانا توم[4] ملك لغش وكيش[5] وفقاً لاحتمال تضمنه نقش تركه لنا هذا الأخير بعد انتصاره على أعدائه.

---

(١) (Iddin-Dagam).
(٢) (Isin) مدينة قديمة تقع إلى الجنوب من نفّر مدينة الإلّه إنليل.
(٣) (Ishmé-Dagan).
(٤) (Eannatum) حكم خلال النصف الأول من الألف الثالث ق. م.
(٥) (Lagash) تقع شرقي أوروك و (Kish) شرقي بابل.

(٢ ـ ٣) الملوك والزواج الإلهي
النصوص (٢٦ ـ ٣٤)

(٢٦) ـ سيد أراتّا وإنانا

(٢٧) ـ الرخاء لسومر وآكاد منحة الزواج الإلّهي

(٢٨) ـ الملك شولجي وبركة إنانا

(٢٩) ـ حوارية بين شولجي وإنانا لإخصاب الحقول

(٣٠) ـ إلى شوسين الحبيب

(٣١) ـ عذب يا إلّهي هو شراب الساقية

(٣٢) ـ تصفيفة شعر الحبيبة

(٣٣) ـ مدينة إيسين تحتفل بعيد رأس السنة

(٣٤) ـ الملك إيشمي ـ داجان يقترن بإنانا

(٢٦) ـ سيد أراتّا يطلب من إينمركار الإعتراف بملكيته لكي «تنتقل إنانا إلى أراتّا» لتحقيق الزواج الإلّهي

مملكة أراتّا التي عاصرت ملكية إينمرْكار في أوروك خلال الثلث الأول من الألف الثالث لما قبل الميلاد، كانت تقع في مرتفعات بلاد إيران وكان سيّدها هو أيضاً يعرف أهمية الإلّهة إنانا ويسعى لاكتساب رضاها والاقتران بها لمصلحة «البلاد المرتفعة»، هذا ما يشير إليه النص القصير الذي نثبته فيما يلي، مشيرين إلى أن إينمرْكار ملك أوروك كان يَسْعى من ناحية أخرى إلى فرض سلطته على بلاد أراتّا وإخضاع سيدها بغية الحصول على الصخور والأحجار الكريمة والذهب والفضة، لبناء وتزيين معابد مدينته وتكريم إلّهته إنانا. وعن حرب الأعصاب التي وقعت في ذلك الزمان بين أراتّا وأوروك سوف ننشر في جزء آخر من هذه المجموعة[١] نصاً ضافياً نقتطف منه هنا ما يشير إلى احترام سيد أراتّا لإنانا ورغبته الدائمة في إرضائها وتخوّفه من أن تحوّل عنه نظرها:

«الملك إينمركار [. . .]
إلى إنانا المقدسة وجّه ابتهالاً:
«أي أختي إنانا، من أجل أوروك
اجعلي سُكّان أراتّا يصيغون بشكل فنّي
الذهب والفضة،
وليجلبوا اللازورد الرائع الجمال مستخرجاً من الصخر،
وليحملوا الأحجار الكريمة واللازورد الرائع الجمال».

وبناء على توجيهات إنانا يكلف إينمركار من يحمل رسالته إلى سيد أراتّا مهدّداً:

«أيها الرسول، توجّه نحو سيد أراتّا وقلْ له:
سوف أجعلُ سكانَ هذه المدينة يفرّون
كعصفورٍ يهجر شجرته.

---

(١) انظر الكتاب الرابع: إينمركار ملك أوروك وإخضاع سيد أراتّا.

[. . .]
نعم سوف أهدم هذا المكان [. . .]
إنانا حملت السلاح في وجه أراتّا
وفي الماضي أعطتها كلمتها
ولكنها الآن تنبذها [. . .]»

ولكن سيد أراتّا معتمداً على وفائه لإنانا يرفض الخضوع ويعلن:

«(بأن إنانا) ملكة السماء، هي التي قادتني إلى أراتّا
بلد القوانين الطاهرة. . .
كيف يمكن إذن لآراتّا أن تخضع لأوروك
كلا! أراتّا لن تخضع لأوروك!
إذهب وقل له ذلك!»

ولكن الرسول يجيب بذكائه، متكلماً عن ملكة السماء إنانا:

. . . إن مولاي ومليكي وهو خادمها
جعل منها «ملكة الإيانا»[١]
وسيد أراتّا سوف يخضع!
هذا ما قالته له في قصر الآجر في كلاّب[٢]
. . . . .

و «بهلع واكتئاب» يتأثر سيد أراتّا بهذا التصريح، ويقبل أخيراً بالخضوع على أن يتلقى كميّة من الحبوب مقابل ذهبه وفضته وأحجاره الكريمة. . .

كل هذا يدلّ على أهمية إنانا بالنسبة للمملكتين، وأكثر من ذلك فإن الزواج من إنانا، الزواج الإلٓهي الذي نحن بصدده، كان هو أيضاً مجال تنافس بين الملكين وهذا ما يعلنه النص التالي بهذا الخصوص: وسيد أراتّا هو المعلن:

---

(١) (Eanna) المعبد الرئيسي في أوروك المخصص لآن إلٓه السماء.
(٢) (Kullab) أو كلاّبا هي الحيّ القديم من مدينة أوروك أو إحدى ضواحيها.

«فليحنِ (إينمزكار) رأسه أمامي وليُذِلَّ نفسَه أمامي!
وعندما يحني رأسه ويحني رأسه فعلاً أمامي
(عند ذلك هذا ما سيكون من أجله ومن أجلي:)
هو، يبقى مع إنانا قرب التحصين (؟)[١]
بينما أنا أضاجعها في قصري البرّاق
في أراتّا!
هو، سوف يتمدّد بقربها على فراش عاديّ
بينما أنا سوف أضاجعها في الراحة الناعمة
لفراش ثمين!
هو، لن يشاهد إنانا إلا في الحلم
بينما أنا «أتحدّث» معها، مع الناصعة
البياض، عند قدميها!».

وتجدر الإشارة هنا إلى أن تصريح ملك أراتّا يعني أنه هو أيضاً يبجّل إنانا، التي لم تكن إلّهة خاصة لقبيلة أو لشعب واحد بل كانت إلّهة مشتركة لخصمين. وهي هي إنانا التي استمرت عبادتها عبر قرون عديدة في تسميتها الأكادية عشتار وفي تسميتها الكنعانية عشتروت أو الإغريقية أفروديت ومن بعدها ڤينوس الرومانية.

---

(١) المقصود هو التحصن أو سور «وجه البلد المرتفع» الذي حقّقه سيد أراتّا عندما كانت أنانا راضية عنه.

(٢٧) ـ الرخاء لسومر وآكاد منحة الزواج الإلّهي

قبل التغني بأدوار الملوك في تحقيق الزواج الإلّهي وبخاصة الملكين شولجي وشو ـ سين، ندرج هنا نشيداً، يشتمل على بعض التفاصيل المفيدة: حول طقس الإعداد للزواج الإلهي وقيام الإلّه جيبيل[١] إلّه النار بتطهير «الفراش المخصب»، وكذلك حول دور نينشوبور[٢] مساعدة إنانا في مرافقة الملك لمقابلة إنانا وتوسطها بين الاثنين لكي يُحقِّقَ الاقتران هدفه من أجل سومر وآكاد.

العمود الأول

ـ إعداد الفراش المخصب (الشاعر يتوجّه هنا إلى الإلّهة):

«معبد أريدو[٣]، مقرّ حكمها
معبد نانا[٤]، مقرّ تألّقها
الإيانا، مسكنها
هذه المعابد، إليكِ أُهديَتْ!
وفي معبدي الأبدي المعلّق في السماء مثل غمام
والذي حظيت تسميته بفألٍ ميمون، في الحقيقة،
من أجلكِ، وفي الحَرم الكبير، طَهّر جيبيل
فراشاً مخصباً، غطاؤه من اللازورد[٥]!
من أجلك أنتِ، المعدّة لأن تصبحي ملكة،
أقام الإلّهُ هيكلاً
وفي معبده المزدان بالقصب، والذي طهّره

(١) (Gibil) إلّه النار ـ السومري.
(٢) (Nishubur) مساعدة إنانا ورسولتها في أسطورة سفينة السماء.
(٣) (Eridu) مقر الإله أنكي (Enki) إلّه الأبسو أي محيط المياه الحلوة الذي يحمل قرص الأرض.
(٤) (Nanna) الاسم السومري للإلّه القمر والدة إنانا.
(٥) بمعنى: نسيج ذو لون أزرق...

من أجلك،
يقوم بتنفيذ طقوسك!»

بعد ذلك يتغنّى الشاعر مشيداً بالحماس والرغبة اللذين استوليا على الملك وهو متوجه نحو فراش العرس وقد أعدّ له غطاء آخر لكي يزيد في «ليونته» سعياً لراحة «الحبيبة».

إنه يتوق إليه، يتوق إليه، يتوق إلى الفراش!
إنه يتوق إلى الفراش الطوباوي، يتوق إلى الفراش!
يتوق إلى الفراش الذي يجعله يتذوّق حلاوة الحِجْر،
يتوق إلى الفراش!
يتوق لفراش الملك، يتوق إلى الفراش.
ولجعله أكثر طراوة، لجعل هذا الفراش أكثر طراوة
لجعله أكثر طراوة!
ولجعل، هذا الفراش الطوباوي، أكثر طراوة
لجعله أكثر طراوةً!
ولجعل هذا الفراش حيث يتذوّق الحجر الطلّي، أكثر
طراوة، لجعله أكثر طراوةً!
ولجعل فراش الملك هذا أكثر طراوة، لجعله
أكثر طراوةً!
ولجعل فراش الملكة هذا أكثر طراوة، لجعله
أكثر طراوة!
أعدّ له الإلّه غطاءً من أجلها، أعدّ
له غطاءً من أجلها،
أعدّ له الملك غطاءً من أجلها، أعدّ
له غطاءً من أجلها...»

وبعد أن تمّ إعداد فراش العرس على هذا الشكل وحين كانت الإلّهة مستعدة للقاء عشيقها يلجأ الشاعر إلى نينشوبور مساعدة إنانا الأمينة، التي تقود دوموزي إلى أحضان الحبيبة طالبة

منها منح الملك كل ما يمكّن من جعل حكمه راسخاً وخيِّراً.

العمود الثاني

7 «الإلّه الذي دعوته إلى قلبك
الملك «قرينك» الحبيب، فليركن طويلاً
على صدرك الجذّاب!
امنحيه حكماً سعيداً ومليئاً بالأمجاد!
10 امنحيه حكماً ثابتاً إلى الأبد، لا يتزعزع!
امنحيه عصا قيادة الشعوب، والصولجان
وعصا الرعاية...
[...]
13 من الشمال إلى الجنوب
ومن البحر العلوي إلى البحر السفلي
15 ومن منطقة السنديان (؟) إلى منطقة الأرز:
على سومر وآكاد بكاملهما، امنحيه
الصولجان وعصا الرعاية!
وليكن راعي الرؤوس ـ السوداء[1] أينما وجدوا!
وكفلاحٍ، فليخصب الأرض
20 وكراعٍ حقيقي، فليضاعف القطعان!
ولتكثر خلال حكمه، الزروع والحبوب؛
وليحصل على فيض الأسماك في الأنهار،
و (فيض) الأسماك في الأهوار، تغرّد
فيها العصافير بتنافس
25 (إمنحيه) «قصباً قديماً» في مزرعة القصب

(١) تسمية شعرية سومرية للبشر وبخاصة سكان ما بين النهرين.

و «قصباً جديداً» بكثافة!
وليرتفع المشچور[١] في السهول!
ولتكثر الأيايل والعَنز البري في الغابات!
ولتنتج البساتين حلاوة وخمراً
وليملأ الجرجار (؟) والخسّ مزارع الخضار!
30 ولتكن له في القصر حياة مديدة،

ظهر اللوحة/ العمود الثالث

1 ولتكن في دجلة والفرات المياه وفيرة!:
ولتنبت على ضفافهما أعشاب غزيرة،
تغطي الحقول
ولتكدس فيها سيدة ـ الزروع النبيلة[٢]، الحبوب
في أكوامٍ وأتلال!...

ـ ثم تتوجه إلى الملك:

5 أما مليكتي، ملكة السماء والأرض، سيدة
السماء والأرض،
فَلْتُطِلْ بقاءها خلال أيام عديدة، على
حضنك، (أي دوموزي)!»

وبنهاية هذا الرجاء من قبل نينشوبور، يضيف الشاعر:

7 «باعتزاز توجّه الملك نحو الحِجْر المقدس،
وبفخرٍ، اقترب من حِجر إنانا المقدس
وحين وصل إليه معتزاً،

---

(١) (Mashgur) اسم شجرة قد تكون الأثل أو الطَرفاء.
(٢) المقصود هنا هي إلَهة الحبوب أشنان (Ashnan).

ويكل فخرٍ، حين وصل إليه،
أخذها بين ذراعيه، (أخذ بين ذراعيه)
غانية آن!»
[.....]

بقية النص مشوّهة.

(٢٨) ـ الملك شولجي ينتقل من أور إلى أوروك للزواج من إنانا التي تباركه

عُرف هذا النشيد تحت عنوان «مباركة شولجي الملك» وهو يبدأ بوصف انتقال الملك من عاصمته في أور إلى مقر الإلّهة إنانّا في أوروك، على سفينته الملكية، وهو محمل بالقرابين. وعندما ترسو السفينة على رصيف كُلاّبا وهو أقدم وأشهر حيّ في أوروك، يتوجّه مع تقدماته إلى الإيانا حرم الإلّهة إنانّا.

«شولجي، الراعي الأمين، ركب سفينته
(وباشر انتقاله)،
يرافقه تألّق «أسرار»[١] الملكية
و «أسرار» السلطة (؟) على سومر وآكاد.
على رصيف كلاّبا المنير، أرسى سفينته،
وهو إذْ يقود بساعده ثيران ـ الجبل الوحشية الضخمة
ويجرّ بيده الخراف والماعز
وإذْ كان يحمل جدياناً مرقّطة لها عثانين
مجمّعةً على صدره،
توجّه للقاء إنانّا في معبد الإيانا[٢]».

وبمجرد وصوله إلى المكان يرتدي ألبسته الطقسية ويتزيّن برموز وطلاسم الصلاحيات و «الأسرار» التي يمتلكها، وكأنه كائن إلّهي. ثم يضع على رأسه عمرةً متوّجة؛ وعندما

---

(١) الكلمة السومرية هنا هي (مو) (Me) ويعتبرها علماء السومريات غير قابلة للترجمة إلى اللغات الأوروبية وهي تحتوي على معانٍ متعددة ترتبط بسمو وتنزيه الآلهة عن المخلوقات ومفارقتهم لهم. وتحتوي أيضاً معنى جوهر الأشياء وكنهها وهي ذات طابع خفي وسرّي وهي التي تخوّل السلطة والصلاحية للآلهة وهي التي تُلخص أو ترمز إلى القوانين والأنماط التي تحقق سير المنظومة الكونية المتناغمة. واصطلح بعض العلماء على نقلها وفق تعبير: «أسرار غيبية» أو «أسرار».

(٢) الإيانا (Eanna) بمعنى بيت السماء وهو المعبد الرئيسي في أوروك المخصص لآن إلّه السماء وتشغله إنانا غانية آن.

تشاهد الإلّهة مظهره المتألق ألوهيةً، فإنها ترتجل، لشدة إعجابها به ولشوقها للقائه هذا النشيد الإباحي. المنقاد لشهوة عارمة:

«عندما سأستحمّ من أجل الملك، من أجل الإلّه
وعندما من أجل الراعي دوموزي، سوف أستحم
وبعد أن أزيّن ردفيّ بـ [. . .]
وعندما أدهن شفتيّ بالمرهم ـ العنبري (؟)
وأضع الكحل حول عيني
وعندما ستضغط يداه الساحرتان على قَطَني
وبعد أن يعمد الإلّه، الراعي دوموزي،
المضطجع بقربي، (أنا) إنانا المقدسة
(بعد أن يعمد) إلى دغك ثَدْييَ اللبنيّ والطليّ،
وعندما سينقل يده إلى فرجي المقدّس
ومثل سفينته الداكنة (؟) عندما سي [. . .]
[. . . . . .]
وعندما سينقل إليه[١] الحياة مثل سفينته
المشوقة
وبعد أن يلامسني على الفراش متحبباً:
عند ذلك سوف أداعبه (بدوري) وسوف
أقرر له مصيراً سعيداً!
نعم، سوف ألاطف، شولجي، الراعي الصالح
وأقرر له مصيراً سعيداً!
وفي الوقت الذي أشيد بقَطَنِه، سوف
أقرر له مصيراً، الرعاية الشاملة!»

تتابع إنانا بعد ذلك موضّحة ومفصّلة المصير المجيد الذي تخصصه لحبيبها «الملكي»:

---

(١) المقصود هو فرج إنانا.

«سوف أكون دَليلك في المعارك، وحاملة ـ
سلاحك في القتال
وبطلك في مجمع الآلهة،
وسوف أكون على الطرق حاميتك!
أنت، أيها الراعي المختار من أجل المسكن المقدس،
والمواظب على تموين الإيانا،
أنت، الزينة الأكبر في معبد آن[١]
أنت أهلٌ لجميع (الاحتفاءات):
أنت خُلقتَ لكي تستقرَّ باعتزاز على
المنصّة المجيدة؛
أنت خُلقت لتجلس على العرش اللازوردي
أنت خُلقت لكي تثبت التاج على رأسك؛
أنت خُلقت لتزين جسمك باللباس الفضفاض؛
أنت خُلقتَ لكي تدّثر بالرداء الملكي؛
أنت خلقت لتحمل الهراوة والسلاح [. . .]
أنت خلقت لكي ترمي الهدف بسهم قوسك؛
أنت خلقت لكي تعلّق إلى جنْبك عصا ـ الرماية
والمقلاع؛
أنت خلقت لتمسك بيديك الصولجان الجليل
أنت خلقت لتنتَعِل في رجليك الصندل المقدس
أنت خُلقت لتتسابق وتجعل مطيتك تعدو؛
أنت خُلقت لكي تلتصق بقوة على حضني
الجميل، مثل عجلٍ فائق الثمن:
فليعشْ طويلاً قلبُك الرحيم!

---

(١) آن (An) إلّه السماء. . .

هذا هو المصير الذي قرّره آن من أجلك:
المصير الذي لا مردّ له!
وبواسطة إنليل[١] مرسّخ الأقدار: مصيرك،
لا بديل له!
إنانّا تحبك! وأنت مفضّل (أمها) نينليل»[٢]
[. . . .]

وفي بقية النص المشوّهة، يُفهم مما أمكن التعرف عليه، أن الشاعر يتابع وصف سفر الملك شولجي إلى معبدين سومريين آخرين، ثم عودته المجيدة إلى مدينة أور حيث يباركه فيها الإلّه نانا[٣]، الإلّه الذي كانت أور مدينته.

(١) إنليل (Enlil) الإلّه الذي ترأس مجمع الآلهة السومرية القديم ومعنى اسمه «سيد ـ الهواء» ومعبده في نفّر (Nippur).
(٢) نينليل (Ninlil) قرينة إنليل الإلّهية.
(٣) نانّا (Nanna) التسمية السومرية للإلّه القمر وهو والد إنانا، ملكة السماء التي يرمز إليها كوكب الزهرة.

(٢٩) ـ حوارية بين الملك شولجي والأخت الجميلة إنانا بقصد إخصاب الحقول والبساتين

وصلتنا هذه الحوارية بين الملك شولجي، والإلّهة إنانا في حالة سيئة وهي تبدأ بأسف إنانا وشكواها لعدم توافر النباتات: إذ لا أحد يقدم لها أقراط التمور المخصّصة لها ولأن صوامعها فرغت من الحبوب ولذلك فالملك شولجي يدعوها لزيارة حقوله:

«أي أختي، أريد الذهاب معك لتفقّد حقولي!
يا أختي الجميلة، أريد الذهاب معك لتفقد حقولي!
أريد الذهاب معك لتفقد حقلي الأعرض؛
أريد الذهاب معك لتفقد حقلي الأضيق:

لكي أرى حَبّي المبكّر النموّ (عندما) يُروى مبكراً
ولكي أرى حَبّي الآخريّ النمو (عندما) يتأخّر إرواؤه
أريد الحصول (؟) على (كافة) هذه الحبوب
أريد الحصول (؟) على (كافة) هذه الحُزْمات!...»

وبعد ورود عدة أسطر مشوّهة، يفهم من خلالها ان الإلّهة تصدر أمراً إلى فلاحٍ لكي يحرث أراضي شولجي البائرة. وعند ذلك يدعوها الملك شولجي لزيارة بستانه:

ظهر اللوحة

....

«أي أختي، أريد الذهاب معك لتفقد بستاني!
يا أختي الجميلة، أريد الذهاب معك لتفقد بستاني!
أي أختي، أريد الذهاب معك لرؤية بستاني
أي أختاه، أخْصبي لي بستاني

أخصبي لي مزرعةَ شجر الإيلداج[١]!
أريد الذهاب معك لرؤية بستان الفواكه!
أي أختي أريد الذهاب معك لتفقد (بستان) التفاح
لكي أتناول بيدي [. . .] ثمار تفاحي!
أي أختي، أريد الذهاب معكِ لتفقد شجر الرمّان
وأقطف منه (؟) الحلو والمعسّل [. . .]
أي أختي، أريد الذهاب معك لرؤية بستاني!
يا أختي الجميلة، أريد الذهاب معك لرؤية بستاني
وكذلك زروع الحديقة [. . .]»

يتابع النص بعد ذلك على حواليَ ثمانية أسطر مشوهة ومبهمة يفهم من خلالها ما يشير إلى مزروعات وأقراط تمر.

(١) (Ildag) نوع من الشجر يعتقد أنه الصفصاف.

(٣٠) ـ إلى شو ـ سين الحبيب:
اللذة التي تمنَحني هي حلوة كالعسل
يا ذا الحلاوة، يا حبيبي

الملك شو ـ سين، في دور الحبيب، كانت له شهرة بين النساء المكرّسات للإلّهة إنانا. كما أن «حبيب أولئك النساء»، لم يكن يتأخر عن تقديم الهدايا إلى اللواتي يتقنّ دورهن. ولم يحلْ ذلك دون وجود عاطفة حبّ حقيقية بين العشيقين، إذْ لا تخلو الأناشيد المخصّصة للملك شو ـ سين و «أعراسه» من عنف الشهوة ورقة التعابير ومن شاعريّة تذكّر حتماً برقّة «نشيد الأنشاد»، وهذا ما سنعود إليه في نهاية هذا الاستعراض.

وبالنسبة للملك شو ـ سين، نحن نعلم أيضاً أن إحدى مكرّساته واسمها كوباتوم كانت لها حظوة كبيرة لديه.

وفي النشيد التالي المصنّف بموجب النص «كنشيد بالبال[١] لإنانا» تتوجّه الحبيبة إلى عريسها لتغنّي لذتها معه وهي واثقة على ما يظهر من حبّه لها ومن مكانتها في قلبه وخاصة من حذاقتها وقدرتها على إيقاظ «قلبه»:

«يا حبيبي، أيها الغالي على قلبي
اللذة التي تمنحها، حلوة كالعسل
يا أسدي، أيها الغالي على قلبي.
اللذة التي تمنحها حلوة كالعسل

أنت فتنتني: ها أنذا أرتجف كليةً أمامك!
رغبتي، يا حبيبي، أن تحملني إلى غرفتك!
أنت فتنتني: ها أنذا أرتجف كلية أمامك!
رغبتي، يا أسدي، أن تحملني إلى غرفتك!
دعني يا عشيقي أمنحك ملاطفاتي!

---

(١) (balbale) تعبير يشير إلى نوع من القصائد أو الأناشيد.

يا ذا الحلاوة يا حبيبي، أريد أن أُغمَر (؟) بعسلك!
في الحجيرة التي تطفح طلاوةً،
دعنا نتمتع بجمالك الرائع!
أي أسدي دعني أمنحك ملامساتي!
يا ذا الحلاوة، يا حبيبي، أريد أن أنغمر (؟) بعسلك!

أنت حققت معي متعتك يا حبيبي
أخبر إذن بذلك أمك، لتقدم لك الأطايب
وقل ذلك لأبيك: يقدّم لك الهدايا.

روحَك! أنا أعرف كيف أبهج لك روحك:
بتْ عندنا يا حبيبي حتّى مطلع الفجر!
قلبك! أنا أعرف كيف أمدد لك قلبك[١]:
بت عندنا، يا أسدي، حتى مطلع الفجر!

أما أنت، وبما أنك تحبّني
امنحني ملامساتك، أرجوك يا أسدي!
يا سيدي الإلّهي، ومليكي وحمايتي،
أي شو ـ سين، الذي يبهج قلبَ إنليل[٢]، أنت لي،
إمنحني ملامساتك، أرجوك!

(١) نذكر هنا أن التعبير السومري الذي يشير إلى المنيّ هو: ماء ـ القلب. وقد يكون هنا العسل في السطرين ١٠ و١٤.

(٢) إنليل (Enlil) زعيم مجمع الآلهة السومري القديم ودوموزي لقب بـ «حبيب إنليل» و «مفضل إنليل».

هذه الركنَة الكنينة الحلوة كالعسل، ضع
يدك عليها، أتوسل إليك!
ضع يدك عليها كما تضعُها على قماش جيشبان[1]
ثم اغلق يدك عليها مثل كأس، وكأنها
على قماش جيشبان ـ شيكين[1].

(1) (Gishban) و (Gishban-Shikin) نوع من الأقمشة.

(٣١) ـ عذبٌ يا إلَهي، هو شراب الساقية
وهديّة الملك شو ـ سين

الحبيبة تشبه نفسها في هذا النشيد البالبال بساقية تقدم الشراب العذب وما شرابها وعذوبته سوى فرجها وشفاهها. إلا أن هذا النشيد يقدم لنا في الوقت نفسه اسم الحبيبة الحقيقي التي قامت أمام الملك شو ـ سين بدور إنانا وهي «كوباتوم»[(١)]. ويشير النشيد أيضاً إلى أن الملك «الحبيب» كافأها بإهدائه لها عقداً من الذهب وخاتماً من الفضة. كما أن هذه الهدية الملكية أكّدتها الحفريات الأثرية في مدينة أوروك القديمة، مدينة إنانا، إذ عُثر على عقد من الأحجار الكريمة وقد حمل أحد أحجاره النقش التالي: «كوباتّوم لوكور[(٢)] شو ـ سين» وكانت على الأرجح حظوة كوباتوم كبيرة لدى الملك بحيث لقّبت في النشيد «بكوباتوم الملكة» حين أصبحت من مكرسات الملك والمقرّبات إليه أو أشهرهنّ على أقل تعديل.

وكوباتوم هي التي تبدأ النشيد بالإشادة بنبل ولادة الملك شو ـ سين حين ولدته أمه آبي ـ سيمتي[(٣)]:

«وَلَدَتْ كائناً ساطعاً، انها ولدت
كائناً متألقاً:
الملكة ولدت كائناً ساطعاً:
آبي ـ سيمتي، ولدت كائناً متألقاً!»

يلي ذلك مقطع من أربعة أبيات فيه بعض التشويه ليس من السهل فهمه، ولكنه يحتوي على اسم كوباتوم كما ذكرنا آنفاً. وهذا المقطع يردّده الكورس عن الحبيبة قبل أن تستأنف هي إشادتها بسيدها وحبيبها:

«أي مليكتي ذات الأعضاء الساحرة!
يا آبي ـ سيمتي، مليكتي!
يا مليكتي ذات الرأس [. . .]: يا مليكتي

---

(١) (Kubatum).
(٢) التعبير السومري لوكور (Lukur) يعني المنذورة أو المكرّسة لشو ـ سين الملك.
(٣) (Abi-Simti) اسم الملكة والدة شو ـ سين.

كوباتوم!
يا صاحب السيادة ذا الشعر [. . .]! يا مليكي
شو ـ سين!
يا صاحب السيادة ذا الكلمات [. . .]!
يا ابن ـ شولجي!»

تعود كوباتوم بعد ذلك للإنشاد:

9 «لأنني أنشدت، لأنني أنشدت،
كافأني سيدي!
لأنني أنشدت الآلاّري[١] كافأني سيدي:
كافأني سيدي بمنحي عقداً من الذهب
وخاتماً من الفضّة
أي سيدي هديتك تفيض [. . .]: أدِرْ
وجهك نحوي!
أي شو ـ سين، هديتك تفيض [. . .]: أدرْ
وجهك نحوي!»

ثم يلي مقطع كثير التشويه تمجّد فيه الحبيبة شو ـ سين كملكٍ عظيم:

15 «[. . .] أيها السيد [. . .]، أيها السيد
[. . .] مثل كتلة ـ سلاح [. . .]
فلتُدرِ المدينة نحوك رأسها، مثل
«متسولٍ»، أي سيدي شو ـ سين!
ولترقد عند رجليك مثل شبلٍ، يا ابن
شولجي، الذي هو لي!»

---

(١) آلآري (Allari) كلمة سومرية تشير على الأرجح إلى التعبير عن الفرح والبهجة.

وتعود الحبيبة بعد ذلك إلى إثارة شهوة الملك «الإله» بقصد تحقيق القران الجسدي المقدّس مختبرة نفسها كساقية تقدم له الشراب:

19 «عذب يا «إلهي» هو شراب الساقية!
فرجها هو كالشراب، (فرجها) عذب كشراب!
فرجها وشفتاها هي عذبة كشراب!
وشرابها فائق الحلاوة، (فائق الحلاوة)
شرابها!»

وفي المقطع الأخير من هذا النشيد، تعود كوباتوم إلى تمجيد شو ـ سين «مفضل إنليل» و «إلّه بلاده» وهذا ما يثبت قصد الشاعر وهدف النشيد من أن الملك شو ـ سين قام فعلاً بتجسيد دور دوموزي بالاقتران بإنانا.

23 «أي شو ـ سين أنت الذي منحتني نِعَمَك!
أي شو ـ سين، أنت الذي منحتني نِعَم جسدك، أنت
لي، أنت دلّلتني!
25 شو ـ سين، أنت الذي منحتني نعمك! أنت لي،
شو ـ سين، أنت مفضل إنليل
أنت مليكي، وإلّه البلاد أنت!»

(٣٢) ـ تصفيفة شعر الحبيبة
استعداداً للقاء شو ـ سين

في هذا النشيد الأخير الذي وصلنا عن الملك شو ـ سين تستعدّ «الحبيبة» وهي إحدى النساء التي اختيرت للاقتران بشو ـ سين الملك «الراعي». ولهذه المناسبة تطلب من والدتها أو مرضعتها تصفيفة شعر مرفوعة نحو الأعلى مثل الخسّة، تزيد من مفاتنها كما تعتقد وبهذه المناسبة أيضاً فإن مرضعتها أحسنت ترتيب مظاهر فتنتها[١] مما جعل نظرة «الحبيب» الملهبة تلفّها:

«شَعْري هو خسّة تنبت بجوار الماء:
خسّة چاكول[٢] تنبت قرب الماء!
مُشِّطت تجعيداته ولُمعت (؟)
(شعري) جمعته مرضعتي عالياً
كما كثفته بواسطة الماء (؟)
ضاعفت فيه التقصيبات وجعلتها متقاربة
إنها أحسنت ترتيب مفاتني
فِتْنتي، هي (تصفيفة) شعري الشبيهة بالخسّة،
أجمل النباتات!
لفّني «أخي» بنظرته الملهبة
لقد اختارني شو ـ سين أنا، الـ [. . .]،
الـ [. . .] الفاتنة! . . .»

بعد نقص حوالى سبعة أسطر يستأنف النص على لسان الكورس أو مرافقات «الحبيبة».

«إلّهنا هو أنت، أنت إلّهنا!

---

(١) كلمة فتنة ومفاتن باللغة السومرية تعبّر عنها جملة «اليأتِ» والمقصود هو الرجل وهو نفس التعبير الذي استعمل للدلالة على حمالة صدر إنانا وطلاء وجهها قبل نزولها إلى العالم السفلي.

(٢) (Gakkul) نوع من الخسّ.

أنت سيدنا: فضّة [نا] ولازورد [نا]
20 أنت إلّهنا: فلاحنا الذي يجعل
الحبّ ينبت من أجلنا!»
وتختتم «الحبيبة» هذا النشيد بالْبَال:
21 «إنه حلاوة عيوني، وخسّة قلبي،
فليشرق من أجله يوم ـ حياة، من
أجل شو ـ سين الذي هو لي!»

(٣٣) ـ عيد رأس السنة في مدينة إيسين والاحتفال بالزواج الإلٓهي

الملك في هذا النشيد الذي يمتاز بالتفاصيل التي يقدّمها لنا عن مراحل الزواج الإلٓهي وطقوسه، هو الملك إيّدين ـ داجان (١٩٧٤ ـ ١٩٥٤) ق. م. وهو الملك الثالث لملكية إيسين التي تلت مملكة أور.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن القران بين العروسين، يتمّ في القصر حيث يُنصب «الفراش» من أجل الملكة تحيط به أغصان ونجارات خشب الأرز وباقات من الأسَل. يتم بعد ذلك حمّام الإلٓهة والملك جنباً إلى جنب وتنثر الطيوب على أرضية القاعة حيث تنتظر «الإلٓهة». ويلتحق الملك بعد ذلك بالفراش المقدس ويتم اقترانهما بشهوة عارمة. وهذا النشيد الذي يتألّف من ٢١٣ سطراً، لم يصلنا منه مع الأسف سوى القسم الأخير الذي لا يتعدى ٤٤ سطراً:

في القصر، مقر الحكم ومركز مراقبة البلاد
في قاعة ـ المحكمة، حيث يجتمع ذوو الرؤوس ـ السوداء،
أمر الملك بإقامة منصّة لسيدة القصر،
حيث اضطجع معها العاهل الإلٓهي
من أجل ضمان حياة كامل البلاد.
وللاحتفال بمناسبة اليوم الأول (من العام)،
ولكي ينفذ بحرصٍ الطقوس المقدسة
ل «يوم ـ المضاجعة».
في رأس السنة، حلول (تنفيذ) تلك الطقوس،
نُصب عند ذلك فراش من أجل ملكتي.
طُهّر (الفراش) بواسطة الأسَل والأرز العاطر؛
هذا الفراش من أجل مليكتي، عندما تم إعداده،
مُدّ عليه غطاء ـ فراش،
غطاء ـ فراش مبهج كان يزيّن المضْجَع
عند ذلك، تمّ تحميم مليكتي جنباً إلى جنب

بجوار الملك،
تمّ تحميمها جنباً إلى جنب بجوار إيّدين - داچان!
وبعد أن غُسّلت إنانا المقدسة «بالصابون»
نُثِر على أرضيّة (القاعة) زيتُ الأرز ذو الأريج.
185 ثمّ تقدم الملك باعتزاز من الحِجْر المقدس:
إلتحق مظفّراً بحضن إنانا
وآما - أوشومچالانّا[1] ضاجعها
متلمّساً برقّة صدرها الجميل!
189 وبعد أن استقرت الملكة طويلاً على
حضن الملك
[.......]
192 تمتمت: «إيّدين داچان، نعم، سوف أمدد حياتك»

بعد ذلك، وعلى ما يظهر، يتمّ في اليوم نفسه إقامة وليمة في قاعة استقبال القصر:

193 «عندما تمّ تكديس التقدمات، وبمجرد إنجاز
تطهير المكان،
وحَرْق البخور ونثر زيت السَّرْو،
195 عندما كُدّست التقدمات الغذائية
وملئت الآنية حتى الطفح،
دخل برفقتها إلى قصره الجليل
ثم قبّل «قرينته» الحبيبة
قبّل إنانا المقدّسة.
ومثل ضوء النهار، قادها إلى العرش
على المنصّة السامية

(١) (Ama-Ushumgalanna): لقب الإلّه دوموزي.

وجلس بقربها وكأنه الملك ـ الشمس
ثم جعل الكثرة والوفر وفيض (المآكل)
تُستعرض أمامها
وأقام من أجلها عيداً رائعاً!
وأمام إنانا ردّد ذوو الرؤوس
السوداء (قائلين):
«على وقع الطبل الذي يفوق الرعد هديره،
والقيثارة ذات الموسيقى العذبة، التي
تسحر القصر
(وعلى نغم) الرباب المهدىء لقلب البشر
أيها المنشدون، اسمعونا أنغام البَهجة!»
ثم مدّ الملك يده إلى المآكل والمشروبات
«آما ـ أوشو . . . مچالانّا» مدّ يده إلى المآكل والمشروبات!
وبحضور الشعب المشبع وفراً وكثرة
كان «آما ـ أوشو . . . مچالانّا» مستمر السعادة
فلتطل أيامه على عرشه البديع!»

(٣٤) ـ الملك إيشمي ـ داچان «الراعي الأمين» يقترن بإنانا التي تزور الحظيرة

يتوازى هذا النشيد مع نشيد آخر عن دوموزي وإنانا نُشر آنفاً في نفس هذه المجموعة تحت عنوان «إذا ما دخلت إنانا الحظيرة»[١] وهو أيضاً يتألف من أربعة أزمنة ويدور في بدايته كالنشيد السابق، حول موسيقى مخضة الحليب. وبالإضافة إلى ذلك يشير الشاعر إلى أن الملك إيشمي ـ داچان صاحب «الصوت المتناغم» يغني هو أيضاً احتفالاً بإنانا عندما تزور الحظيرة، مرافقاً بذلك نغم المخضة «العذب».

«يا للنغم العذب ـ مثل (صوت) بقرة!
يا للصدى العذب ـ مثل (صوت) عجل!
أي إنانّا عندما تصلين إلى الحظيرة
وما أن تدخليها، أيتها الصبيّة
حتّى تُسمع المخضّة نغمها أي إنانا،
مخضة حبيبك سوف تُسمع نغمها
مخضة [إيشمي ـ داچان سوف تُسمع نغمها]
أي إنانا مخضة [إيشمي داچان سوف
تُسمع نغمها]!»

وهنا يشير الشاعر إلى أن الملك إيشمي ـ داچان، في دور دوموزي «الراعي الأمين» سوف يغني لها ويسمعها أيضاً صوت المخضة:

«سوف أجعل نغم المخضّة يتردد من أجلك
علّك تبتهجين، أي إنانا
والراعي الأمين ذو الصوت المتناغم
سوف يردد لك لحناً مدوياً!

---

(١) النص رقم ١٨.

أي إينّين، أنت التي تنشرين العذوبة
هذا ما سيفرح روحك أي إنانا!»

يلي بعد ذلك، وصف البهجة التي تنقلها إلى الحظيرة زيارة إنانا لها.

«أي إينّين، عندما ستدخلين الحظيرة
الحظيرة يا إنانا، سوف تتهلل أمامك
أيتها الغانية عندما ستدخلين الحظيرة
الحظيرة يا إنانا سوف تتهلل أمامك
وعندما ستقتربين من المعالف (؟)
فالنعجات الوفيّات سوف تنشر
صوفها أمامك!»

وينتهي النشيد بهذا الرجاء الموجّه إلى إنانّا:

«فلتطفح الحظيرة النبيلة بالقشدة من أجلك
ولتطفح الزريبة بالقشدة والحليب!
ولتستقر فيها الكثرة إلى الأبد!
وليتمكّن إيشمي ـ داچان في حياته المديدة
أن يعلن بحرارة: أنتِ هي «قرينتي»!
النعجة التي تعتني حَنونة بحملانها (هي أنتِ)!»

الفصـل الثالـث

حول الأصول السومرية لنشيد الأنشاد

(٣ ـ ١) ـ سليمان الملك ونشيد الأنشاد

(٣ ـ ٢) ـ التفسير والتأويل والتوازي

(٣) ـ حول الأصول السومرية لنشيد الأنشاد

(٣ ـ ١) سليمان الملك ونشيد الأنشاد

١ ـ إذا كانت هناك ضرورة لأن يُنسَبَ «نشيد الأنشاد» التوراتي إلى أحد ملوك «العهد القديم»، فإن سليمان الملك، هو أحق الملوك بذلك. وباعتقادنا، أنه من الأفضل القول إن لنشيد الأنشاد صلةً بحياة سليمان الملك ولو لم يكن هو الشاعر والمؤلف. وهناك قرائن عديدة تمكن من القول، إنه ليس من المستبعد أن يكون سليمان هو «الحبيب» الذي يتغنّى به الشاعر وتتغنّى به «الحبيبة»: فهو الملك في كل من (١ : ٤ و١٢). وقد ورد اسم سليمان في (٣: ٧ و١٠) من نشيد الأنشاد.

٢ ـ وقبل أن ندخل في مجال المقارنة والتوازي والتفسير بصدد نشيد الأنشاد، نرى ضرورة التعرّف على شخصية سليمان كما ورد ذكره، والحكم عليه وفقاً لنصوص العهد القديم:

ورث سليمان (٩٧٠ ـ ٩٣٣) ق. م.، عن أبيه داود مُلكاً مستقراً نوعاً ما، بعد أن انتصر على جميع خصومه الداخليين ولم يبق أمام سليمان إلا مهمة التخلّص من أخيه البكر أدونيا، إذْ أمر بقتله (ملوك أول، ٢ : ٢٥)[١] ثم أبعد أبياثار عن الكهنوت، كما أمر بقتل يؤاب الذي دعم حق أدونيا بالملك، وتخلّص أخيراً من مِشمعْيا لأنه خالف أوامره، وهكذا «تَثَبَّتَ الملكُ بيد سليمان»[٢]. تسلّم سليمان الحكم فتىً وبعد تقديمه

---

(١) المراجع التوراتية، وحتى إشعار آخر، تعتمد على تبويب توراة القدس لعام ١٩٦١ (Editions du Cerf) باللغة الفرنسية وتوراة جمعية الكتاب المقدس ـ بيروت ١٩٥٠.

(٢) ملوك أول (٢: ٤٥).

ألفَ محرقةٍ عن مرتفعات جبعون[1]، تراءى له الرب في الحلم فطلب منه سليمان أن يمنحه قلباً فهيماً ليحكم على الشعب مميزاً بين الخير والشر، وكان له ما ابتغى لأن كلامه حَسُنَ في عيني الربّ، فأعطاه «قلباً حكيماً ومُميّزاً»[2] ومن هنا اكتسب سليمان لقب الحكيم وأثبت ذلك في حكمه الشهير بين «الزانيتين» حول لمن هو منهما الرضيع الميت والرضيع الحيّ. وفي موضع آخر من سفر الملوك ترتسم شخصية سليمان الملك كما يلي:

«فاقت حكمة سليمان حكمة جميع بني المشرق وكل حكمة مصر. وكان أحكم من جميع الناس... وكان صيته في جميع الأمم حواليه. وتكلم ثلاثة آلاف مَثَل. وكانت نشائده ألفاً وخمساً. وتكلّم عن الأشجار... وتكلم عن البهائم، وعن الطير وعن الدبيب وعن السمك. وكانوا يأتون من جمع الشعوب ليسمعوا حكمة سليمان، من جميع ملوك الأرض الذين سمعوا بحكمته»[3].

وهذا يعني أن سليمان كان بالإضافة إلى حكمته شاعراً وعالِماً وحافظاً لأمثال عصره.

وهو الذي أمر ببناء المعبد، بيت يهوه في أورشليم بعد أن كان يعيش منذ الخروج تحت خيمة وذلك بالاعتماد على عمال وفنّاني حَيْرام ملك صور بعد عقد اتفاق تبادل تجاري معه، يقدم بموجبه حيرام، خشب الأرز والسرو والبنائين والسبّاكين وشاغلي المعادن الثمينة والخشب وغيرهم من العمال المهرة. كما بنى لنفسه قصراً.

٣ ـ برع سليمان أيضاً كتاجر وكوسيط تجاري، فكانت له علاقات مع مصر وأمراء الحثيين والآراميين وخاصة في ما يتعلق بتجارة الخيول التي كان يستوردها من بلاد الكاپادوس وكيليكيا.

واستعان أيضاً ببنائي سفن وبحارة حيرام ملك صور لإعداد أسطول تجاري من الطراز الكنعاني صدّر بواسطته معدني النحاس والحديد، وكانت سفنه تعود محمّلة بالذهب والفضّة والعاج والخشب الثمين والعطور مما جعل سليمان الملك يعيش حياة

---

(١) حارب أنبياء يهوه التقدمات على المرتفعات لأنها كانت عادة سكان البلاد الأصليين في التوجه إلى آلهتهم مما كان يثير غضب يهوه وغيرته وغالباً انتقامه من شعبه.

(٢) ملوك أول (٣: ٥ ـ ١٣).

(٣) ملوك أول (٤: ٣٠ ـ ٣٤).

بذخ تفوق قدرته. ولم تمنع مكاسبه التجارية من إرهاق الشعب بالضرائب وبأعمال السخرة، كما عجز عن الوفاء بديونه إلى حيرام ملك صور بنهاية أعمال بناء المعبد والقصر، التي دامت عشرين سنة، فأعطاه بالمقابل عشرين مدينة في الجليل[١] ولم يكن حيرام راضياً بذلك.

٤ ـ نصلُ هنا إلى ناحية هامة من حياة سليمان الملك، تهمّ بحثنا بالدرجة الأولى وهي علاقته بالنساء. وتبرز نصوص التوراة دون إخفاء غضبها (غضب يهوه) بأن سليمان أحبّ نساء غريبات وتعدّد التوراة بالإضافة إلى زواجه من ابنة فرعون التي بنى لها قصراً مستقلاً وكانت لها امتيازات خاصة[٢]، فإنه تزوج أيضاً من العمونية «نعمة» وهي أم ابنه رحُبْعَام، وخَلَفه على مملكة يهوذا بعد الانقسام[٣]. ويرد في الإصحاح الحادي عشر من سفر الملوك الأول عن نساء سليمان ما يلي (١ ـ ٣):

> «وأحب سليمان نساءً غريبات كثيرات مع بنت فرعون، مؤابيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحثيات، من الأمم المجاورة الذين قال عنهم الرب لبني إسرائيل، لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم لأنهم يُميلون قلوبكم وراء آلهتهم. فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبّة وكانت له سبع مئة من النساء السيدات وثلاث مئة من السراري، فأمالت نساؤه قلبه».

نضع يدنا هنا على ناحية هامة من حياة سليمان وأساسية بالنسبة لهذا البحث وعلينا أن نتحقّق الآن لنعرف إلى أية درجة مال قلب سليمان إلى آلهة الغرباء ويأتي الجواب مباشرة من متابعة النص السابق (٤ ـ ٨):

> «وكان في زمن شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب كقلب داود أبيه. فذهب سليمان وراء عشتروت إلَهة الصيدونيين[٤] وميلكوم[٥] رجس العمونيين. وعمل سليمان الشر في عيني الرب ولم يتبع الرب تماماً كداود أبيه. حينئذٍ بنى سليمان هيكلاً لكيموش إلَه المؤابيين على الجبل الذي تجاه أورشليم

(١) ملوك أول (٩: ١٠ ـ ١٢).
(٢) ملوك أول (٣: ١).
(٣) ملوك أول (١٤: ٢١) وأخبار ٢ (١٢: ١٣).
(٤) وكان لعشتروت أيضاً معبد هام في عسقلان: قضاة أول (٢: ١٣ و١٠: ٦).
(٥) إلَه العمونيين الذي استولى داود على تاجه الذهبي حين غلب العمونيين.

ولميلكوم إله العمونيين. وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتي كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن».

٥ ـ هكذا يمكننا القول بأن سليمان الشاعر والعالم وهاوي النساء كان منفتحاً نحو آلهة نسائه ونحو عشتروت إلّهة الصيدونيين بشكل خاص وهذا ما يهمّ بحثنا. وسليمان الحكيم الذي وصلت شهرته إلى كافة أنحاء العالم القديم، كان منفتحاً أيضاً على التبادل الثقافي الذي رافق التبادل التجاري، وليس من المستبعد أن يكون ملماً «بثقافة عصره». ومن وصلت شهرته إلى مملكة سبأ ومن كان يستقبل الضيوف والهدايا من كافة الممالك المجاورة، كان بشكل طبيعي على اطلاع على ما أنتجه الأدب المقدس في كل من وادي النيل ووادي الرافدين والساحل الكنعاني. ومن كان مَحوطاً بهذا العدد من النساء «الغريبات» لا بد من أن يكون على معرفةٍ بطقوسهن الدينية وبمعتقداتهن وكما أوضح النص السابق فإن سليمان «التصق بهن بالمحبة وأَمَلْنَ قلبه».

والعهد القديم مليء بأمثلة عن ميل قلوب بني إسرائيل إلى آلهةٍ غير يهوه، آلهة غريبة وخاصة آلهة «البعل والعشتروت» بصيغة الجمع.

ومن المفيد الإشارة إلى أن الهياكل التي أقامها سليمان كما ورد في المقطع السابق بقيت قائمة مدة ٤٠٠ سنة بعد سليمان ولم تهدم إلا على يد الملك يوشيا[١] الذي أمر بأن تُخرج من هيكل الرب في أورشليم جميع الآنية المصنوعة للبعل وللسارية[٢] ولكل أجناد السماء بغية إحراقها كما أقال كهنة الأصنام الذين جعلهم ملوك يهوذا... «والذين يوقدون للبعل، للشمس والقمر والمنازل وكل أجناد السماء»[٣].

ونتابع إصلاحات الملك يوشيا، لنرى أنه يأمر بهدم بيوت غانيات معبد يهوه حيث كانت النساء ينسجن أغطية للإلّهة عشتروت[٤] وهذا يعني أن البغاء المقدس استمر في معبد يهوه حتى تلك الفترة. وأخيراً، وإلى الجنوب من جبل الزيتون، مقابل أورشليم، يأمر بهدم الهياكل «التي بناها سليمان ملك إسرائيل لعشتروت رجاسة الصيدونيين

---

(١) (Josias) حكم خلال فترة ٦٤٠ ـ ٦٠٩ ق. م. وقام بإصلاحاته الدينية في عام ٦٢٢ ق. م.
(٢) السارية، ذكرت تحت اسم عشيرة في توراة القدس وهي عشيرة الأوغاريتية قرينة إيل وكانت أيضاً تلقب «بعشيرة يم» ودُمجت فيما بعد بعشتار ابنة الإلّه القمر سين البابلي وهي إلّهة الحب والخصب أي إنانا السومرية وهي أيضاً عشتروت الكنعانية.
(٣) ملوك ٢ (٢٣: ٤ ـ ٦).
(٤) الإلّهة عشيرة في توراة القدس ملوك ٢ (٢٣: ٧).

ولكيموش رجاسة المؤابيين ولِملكوم كراهة بني عمّون»[١].

٦ ـ وقبل أن ننتقل إلى تحليل نصوص نشيد الأنشاد، لا بد من ذكر مصدر أخير يحكم على تصرفات الملك سليمان وهو نص متأخر كتبه خلال الفترة السلوقية في الاسكندرية في حوالى عام ١٩٠ ق. م.، أحد حكماء يهود تلك الفترة وهو يشوع بن سيرا[٢] ونقله إلى اليونانية حفيده فيما بعد. وهذا الكتاب أصبح جزءاً من التوراة اليونانية ولم تتبنه التوراة العبرية، كما لم يدخل في أسفار العهد القديم للنشرة البروتستانتية. إلا أن الكنيسة الكاثوليكية تبنته وأوردته بعد سفر الحكمة تحت عنوان سفر يشوع بن سيرا أو السفر الكنسي[٣] كما أسمته توراة القدس.

ومن ضمن ما ورد في هذا السفر، هو تأملات بن سيرا حول وجهاء العهد القديم: الآباء الأولين والقضاة والأنبياء والملوك... وهذا هو حكمه على الملك سليمان:

«مَلِكَ سليمان أيام سلام وأراحه الرب من كل جهة لكي يشيد بيتاً لاسمه ويهيّء قدْساً إلى الأبدَ. ما أعظم حكمتك في حَبائك وفطنتك التي طفحتَ بها مثل النهر. فإن قريحتك عمّت الأرض، فملأتَها من أمثال الأحاجي. بلغ اسمك إلى الجزائر البعيدة، وأُحْبِبت لأجل سلامك. أُعجبت الآفاق بما لك من الأغاني والأمثال والألغاز والتفاسير. باسم الإلّه الرب الموصوف كإلّه إسرائيل جمعت الذهب كالقصدير والفضّة كالرصاص.

أملت فخذيك إلى النساء فاستولين على جسدك. جعلت عيباً في مجدك ونجّست نسلك[٤] فجلبتَ الغضب على بيتك. لقد صدعتْ قلبي جهالتك»[٥].

٧ ـ وبالاعتماد على ما ورد أعلاه، حول الملك سليمان وشخصيته وانفتاحه على بقية الآلهة التي لم تكن يهوه وكأن هذا الأخير كان بالنسبة لسليمان إلّهاً شخصياً

---

(١) ملوك ٢ (٢٣: ١٣).

(٢) أو ابن سيراخ كما ورد اسمه في التوراة الكاثوليكية الصادرة في بيروت لعام ١٩٥١.

(٣) Eclesiastique.

(٤) لأنه تزوج من أجنبيات، خلّفن له أبناء مثال خلفه رحَبْعام ابن العمّونية نعمة، الذي ينعته ابن سيرا «بالسخيف الرأي».

(٥) انظر سفر ابن سيرا (٤٧: ١٥ ـ ٢٢) توراة المطبعة الكاثوليكية ـ بيروت ١٩٥١.

بالإضافة إلى بقية الآلهة كما عرفنا ذلك في بابل وآشور. ونحن نعلم أهمية الإلّهة إنانا/ عشتار/ عشتروت، وقد اجتازت عبادتها جميع الأجيال وعمّت بلدان المنطقة بكاملها[١]، ونعلم أيضاً أن الزواج الإلّهي و «البغاء المقدس» كانا من أهم طقوسها. ويمكننا هنا أن نتساءل إذا ما كان تَبَنّي سليمان إرضاء عشتروت[٢] قاده ولمصلحة تعميم الرخاء في البلاد، ودون أن ننسى حبّه للنساء، قاده إلى إقامة طقوس الزواج الإلّهي، فكان هو الملك والحبيب والعريس ولم تكن النساء ينقصن من حوله للقيام بدور إلهة الخصْب. وكما رأينا ذلك في أناشيد الحب والزواج الإلهي التي عرضناها آنفاً، فنحن نعلم أن إنانا كانت ترسخ الملوك على عروشهم بنتيجة الزواج الإلّهي وتمنحهم حياةً مديدة وقد لا يكون سليمان قد شذّ عن هذه القاعدة، مما يساعد على إلقاء ضوء آخر على «نشيد الأنشاد التوراتي» وسوف نستعرض في الفقرة التالية اتجاهات التفسير والتأويل لهذا النشيد ذي الطابع الخاص في التوراة، قبل أن ننتقل إلى توازيه مع أناشيد الحب السومرية.

---

(١) ومن قبرص إلى اليونان إلى روما استمرت عبادة عشتار.

(٢) انظر المقطع ٤ أعلاه.

(٣ ـ ٢) ـ التفسير والتأويل والتوازي بصدد نشيد الأنشاد

١ ـ يمكننا أن نبدأ بالقول بصدد هذا النشيد التوراتي، الذي لا يتعدّى ١١٧ بيتاً احتوتها ثمانية أسفار، بأن ليس هناك اتفاق بين الباحثين، في ما يتعلق بأصوله وفترة تأليفه وبنيته ومعناه الإجمالي وما يسعى إليه. وهو على الرغم من قصره، يبقى الكتاب الأكثر غموضاً والأكثر دعوة للحيرة من بين كتب العهد القديم.

كما يمكننا القول بأن لا علاقة مباشرة له بتاريخ إسرائيل ولو أنه أتى على ذكر تخت سليمان (٣: ٧) والتاج الذي توّجته به أمّه[١] في يوم عُرسه (٣: ١١)، كما أنه لا علاقة بنشيد الأنشاد في الإضافة الأخيرة التي تذكر اسم سليمان وجُباته ومن ثم الحبر يوحنا هيركان الذي حكم خلال فترة (١٣٤ ـ ١٠٤) ق. م. والذي لقّب بسليمان[٢].

ولكن نشيد الأنشاد في شكله التوراتي الذي وصلنا يبقى غنياً في إطاره الجغرافي الكنعاني فلسطين ولبنان ولكنه في الوقت نفسه ينظر إلى دمشق ويعرف مركبات فرعون، ولافت للنظر فيه إشادته بجمال لبنان وسيول لبنان والعروس من لبنان ورائحة لبنان وفردوس لبنان. . . وأقل ما يمكن قوله بهذا الصدد أن الشاعر أو الشعراء كانوا من المقدرين لما كان عليه لبنان. ومن الملاحظ أيضاً، أن «نشيد الأنشاد» يحتوي على ألفاظ وتعابير يعتريها التباس في المعنى وتتحمل عدة تأويلات ومعظمها لم يرد في مواضع أخرى من النصوص التوراتية.

٢ ـ كثير من المؤرخين، يرون في «نشيد الأنشاد» مجموعة من أناشيد الحب «الدنيوي» أي غير الديني، ترددها العروس بمناسبة احتفالات الزواج أو تُنشَدُ بحضور العروسين اللّذيْن كانا يُسميان «ملك» و «ملكة»، كما كان يتمّ ذلك في قرى سورية وفلسطين حتى نهاية القرن الماضي. ولا تزال حتى اليوم أعراس القرى في مصر تُجلسُ العروسين جنباً إلى جنب على «عرشين» ويتم أمامهما الغناء والرقص ابتهاجاً بالمناسبة.

---

(١) سوف نعود إلى تحليل هذه الجملة والتعليق عليها فيما بعد.

(٢) وردت عنه التفاصيل التاريخية المعاصرة للفترة السلوقية في سفري المكابيين اللذين لم تعترف بهما التوراة اليهودية وأوردتهما توراة القدس.

ورأى مفسرون آخرون أن نشيد الأنشاد هو مجموعة من أناشيد الحب المتبادل بين عشيقين عبر التنهّدات والشهوة ورقة العناق والمضاجعة. . .

كما ذهب بعضهم الآخر إلى نقيض ذلك، فرأى أن نشيد الأنشاد على الرغم من احتوائه على تعابير جسدية وجنسية، فإنه أُعدّ ليعلّم بشكل أخلاقي ورفيع السعادة في الزواج. . .

٣ ـ إلا أن «نشيد الأنشاد» لا يمكن اعتباره في جزءٍ منه، كمجموعةٍ من أناشيد الحب البسيطة والعفويّة، بسبب بعض التفاصيل التي تعمّد الشاعر ذكرها والتي ترتبط ببلاط ملكي وبقصرٍ لا ينقص فيه الذهب والعاج والرخام والأحجار الكريمة إلى جانب الصور والتشابيه المرتبطة بالحقول وبشجر الوعر وبالكروم و «الظبي»، «الراعي بين السوسن»، وبقطيع الماعز وقطيع الخراف المجزوزة. . .

ويمكننا القول منذ الآن بأن نشيد الأنشاد حافظ على علاقةٍ بملكٍ وبراعٍ دون إغفال الكروم والحقول وحدائق التفاح وأكداس القمح المسيّجة بالسوسن. . .

٤ ـ وعلى هذا الأساس يمكن استشعار علاقة لنشيد الأنشاد بزواجٍ إلّهي أو زواج مقدّس وهذا التفسير، ومنذ عام ١٩٢٢ تقدّم به الباحث «ميك»[١] معتبراً أن نشيد الأنشاد وهو ما بقي من طقوس إسرائيلية قديمة تحتفل بزواج الإلّه الشمس بالإلهة ـ الأم كما كان يتم ذلك منذ أزمنة قديمة في ما بين النهرين. وأن هذا الزواج الإلّهي كان يشكّل جزءاً من طقس يتعلق بالخصب ورثه الإسرائيليون عن الكنعانيين المزارعين[٢]، لدى تمركزهم في فلسطين. والكنعانيون هم بدورهم كانوا قد تبنّوه عن طقوس تموز وعشتار وقبلهما: دوموزي وإنانّا.

وهذا الاتجاه من قبل «ميك»، كان مصيباً في اعتماده على كل ما يشير إلى الخصب والسعي لتوافره من قبل الكنعانيين وسكان ما بين النهرين قبلهم. وكما قلنا آنفاً فإن نصوص العهد القديم مليئة بالدلائل على تلك الاهتمامات وكان الأنبياء قد حكموا بقساوة على مثل هذه الطقوس التي كان الإسرائيليون هم أيضاً يمارسونها مغضبين

---

(١) Th.J. Meek الباحث الأميركي في الآشوريات والنصوص التوراتية.

(٢) تسمية الكنعانيين هنا وفيما بعد وللتبسيط تشمل كافة سكان فلسطين دون بني إسرائيل من مؤابيين وعمونيين ويبوسيين وأدوميين والفلسطينيين وسكان الساحل اللبناني الحالي والساحل السوري (أوغاريت).

بذلك يهوه، ودون تمكّن أنبياء إسرائيل من اجتزازها بشكل كامل. وعندما أعلن الباحث «ميك» تفسيره حول نشيد الأنشاد في العشرينات لم يكن علماء الآثار في تلك الفترة، يعرفون غير قصة نزول عشتار إلى العالم السفلي، وموت تموز معتقدين أن الإلّهة عشتار نزلت إلى عالم الموت لإنقاذ عشيقها[1]، لذلك ارتكب «ميك» خطأً كبيراً حين اعتقد أن عليه أن يفتش في نشيد الأنشاد عن إلّه ميت وعن إلّهة تسعى لإنقاذه.

٥ ـ إلا أنه منذ عام ١٩٦٤ وخلال المؤتمر العالمي السادس والعشرين لعلماء اللغات الشرقية في نيودلهي، قدّم عالم السومريات «كرامر»[٢] الأناشيد السومرية الموازية لنشيد الأنشاد ونشر في عام ١٩٦٩ كتابه عن طقوس الزواج الإلّهي مشتملاً على تلك الأناشيد، مما سهّل تقديمها باللغة العربية، وبالتالي، تقديم هذه الدراسة عن توازيها مع النشيد التوراتي.

وقبل الانتقال إلى مقارنة النصوص لا بدّ لنا من التعرّض إلى كيفية بقاء نشيد الأنشاد في المجموعة التوراتية المعترف بها من قبل أحبار اليهودية، متسائلين عما إذا كانت أصول هذا النشيد كطقس لزواج مقدس مارسه بنو إسرائيل إلى جانب الكنعانيين قد ساعد على ذلك. وقد تسهل الإجابة عن هذا السؤال حين نذكّر بأن دوموزي ـ تموز لم يكن إلّهاً وكان بشرياً اختارته عشتار بقصد تحقيق الخصب وبذلك يبقى يهوه الإلّه الوحيد المعترف به من قبل بني إسرائيل بعيداً عن علاقة الزواج المقدس بعشتروت ويمكن لملك مثال سليمان القيام بهذا الدور.

ومما لا شك فيه أن طقس الزواج المقدس الكنعانيّ ـ الإسرائيلي زاد انتشاره خلال حكم سليمان. وقد أشرنا سابقاً إلى ميل قلب سليمان إلى الإلّهة عشتروت[٣] وبذلك يصبح نشيد الأنشاد نصاً بطله سليمان ونسبته لسليمان. وبعد تخليصه قدر الإمكان من مظاهر الاهتمام بالخصب، تمّ إدخاله في مجموعة الكتب المقبولة بعد أن عُقّم وأُبعدت عنه عشتروت الخصب وعلى الأخص التعابير الجسدية الصريحة أي «البذيئة بالنسبة للمنقحين»، وبقيت المعاني الجسدية الموحية بكل ما هو مرتبط بالاتصال الجنسي واضحة، تؤكدها اليوم الأناشيد السومرية الموازية. ولكن الأحبار مفسّري التوراة،

---

(١) ولكن اكتمال النصوص بعد تجميع أجزائها خلال سنين عديدة من مختلف المتاحف العالمية التي تملك هذه الأجزاء، دلّ على أن عشتار هي التي سلمت دوموزي إلى الموت كبديلٍ منها وأكدت ذلك النصوص السومرية فيما بعد.

(٢) Samuel Noah Kramer.

(٣) انظر المقطع ٤ من الفقرة (٣ ـ ١) أعلاه.

وآباء الكنيسة، وجدوا لأنفسهم منافذ عديدة فإذا بالإلّه يهوه يحل محل العريس بموجب التفسير التوراتي وحبيبته هي شعب إسرائيل. أما آباء الكنيسة فاعتبروا أن النشيد يحتفل بعرس المسيح مع عروسه وحبيبته الكنيسة. وبهذه الطريقة رأى الطرفان أن نشيد الأنشاد هو نص موحى به، نص مقدس وأخذت التفسيرات الغزيرة من قبل الطرفين تملأ هوامش الصفحات التي تحمل نص نشيد الأنشاد لكي تفرض على قرائه المعنى الرسمي مهما كان اصطناعياً. وشُرحت أبعاد كل كلمة وما يختبىء وراءها من حوادث شعب إسرائيل التي اعتبر التوراتيون أن الشاعر رمز إليها وعلى هذا المنوال أيضاً اتجه آباء الكنيسة الكاثوليكيون، للتفتيش عن رموز ترتبط بالمراحل الأولى لحياة الكنيسة وبتأويلها لما سمّته عهدها القديم.

٦ ـ ومما ساعد على ذلك في ما يتعلق، بتوراتيي العهد القديم هم بعض أنبياء التوراة وخاصة النبي هوشع والنبي حِزَقيال.

أما هوشع الذي عاصر أشعيا وعاموس ونشر رسالته خلال الفترة الأخيرة من حكم يَربْعام الثاني (٧٨٦ ـ ٧٤٦) ق. م.، هو أحد الأنبياء الصغار، وقد روى في بداية السفر المتعلق به قصة زواجه بناء على طلب الرب، بغانية زانية، أنجبت له أولاد زنى، ولكنه أحبها كما أحب الربّ شعبه الزاني إسرائيل. ومرة ثانية يقول له الربّ: «إذهب أيضاً، أَحْبِبْ امرأة حبيبةَ صاحبٍ وزانية، كمحبة الربّ لبني إسرائيل وهم ملتفتون إلى آلهة أخرى ومحبون لأقراص الزبيب»[١].

وحزقيال من جهته، رافق السّبْيَ الأول إلى بابل (٥٩٧ ق. م.) وهو يروي في إصحاحين قصة شعب إسرائيل وأورشليم الزانية التي وهبت جسدها للغرباء، وهو الذي اعتنى بها منذ ولادتها بعد أن كانت مُهمَلة[٢]. وفي إصحاح آخر، يروي قصة أختين هما السامرة وأورشليم اللتان زنتا في مصر في صباهما «وهناك دُغْدِغت ثديُهُما وهناك تزغزت ترائب عِذْريتهما»[٢]. ويطلق الرب على السامرة اسم (أُهُولة) وعلى أورشليم اسم (أُهوليبة). ويتابع الرب قائلاً: «كانَتَا لي، وولدتا بنين وبنات... وزنت أُهولة من تحتي وعشقت محبّيها آشّور الأبطال... كلّهم فرسان شهوة راكبون الخيل. فدفعت لهم عقْرَها... وتنجّسَت بكل من عشقتهم بكل أصنامهم»[٣].

(١) هوشع (٣: ١).
(٢) انظر حزقيال الإصحاح ١٦.
(٣) حزقيال (٢٣: ١ ـ ٨).

ولما رأت أختها أُهوليبة ذلك، أفسدت في عشقها أكثر منها وفي زناها أكثر من زنا أختها. . .

وبالطبع وفي كل مرة كانت تُرتكب خيانة تعبّديّة ضدّ يهوه بالاتجاه نحو آلهة الغرباء، كان ينذر بالعقاب والانتقام مرسلاً هو بنفسه الأعداء، وهنا يهدّد يهوه ويعد بصدد الأختين الزانيتين بأنه سيحرّض عشاقهما ضدهما. . . أي الآشوريين.

إن هذا النوع من العلاقة بين يهوه وشعبه أو بينه وبين أورشليم مثلاً وكأنها علاقة زوجية سهلت على مفسّري التوراة قراءة نشيد الأنشاد من ضمن هذه الخلفية. ومن ضمن كل ما كان يستحوذ على عقولهم وعواطفهم بسبب السبي والتشتيت والعودة. . . وهذا ما نقدم عنه أمثلة في المقاطع التالية بالاستفادة من الهوامش التفسيرية في توراة القدس، كما نقدّم بعد ذلك أمثلة أخرى عن تفسيرات الكنيسة الكاثوليكية.

٧ ـ عن هوامش توراة القدس نشرة عام ١٩٥٨ (الجزء الخاص بنشيد الانشاد)

المرجع	مضمون النص في نشيد الأنشاد	التفسير والتعليق
(١ : ٣)	لذلك أحبّتك **العذارى**	أي الأمم
(١ : ٤)	أدخلني **الملك** إلى **حجاله**	ادخلني يهوه إلى المعبد
(١ : ٦)	بنو **أمي** غضبوا علي	أي الكلدانيون لزمن نبوخذ نصّر
(١ : ٦)	جعلوني ناطورة الكروم	إشارة إلى عبودية السبي
(١ : ٨)	إن لم تعرفي **أيتها الأجمل** بين النساء. . .	بمعنى إسرائيل هي الأمة المختارة
(١ : ٨)	وارعي جداءك عند **مساكن الرعاة**	أي على جبل صهيون مقر ملوك إسرائيل
(١ : ١١)	**نصنعُ لك سلاسلَ من ذهبٍ مع جمان من فضة**	أي الزينة بعد العودة من السبي
(١ : ١٧)	جوائز بيتنا **أرز** وروافدنا **سرو**	الأرز والسرو من المواد اللبنانية المستعملة من قبل سليمان لبناء المعبد والقصر، ويعني الشاعر اقتران يهوه وإسرائيل على جبل صهيون (!)
(٢ : ٢)	كالسوسنة بين الشوك كذلك حبيبتي بين النبات	تأكيد يهوه بأن إسرائيل لا تزال تتمتع بمزية الاختيار
(٢ : ٤)	ادخلني **بيت خمره**	أي فلسطين: بيت خمر يهوه
(٢ : ١٥)	امسكوا لنا **الثعالب**، الثعالب الصغار المفسدة للكروم	هم جيران السوء السامريون والعمونيون والعرب والفلسطينيون. . .

المرجع	مضمون النص في نشيد الأنشاد	التفسير والتعليق
(٣: ٦)	من هذه **الطالعة من البرية** كأعمدة من دخان	طلع من البرية أي صعد إلى أورشليم وهنا رمز إلى العودة من السبي كخروج ثانٍ.
(٣: ٧)	هوذا تخت **سليمان** حوله ستون جباراً. . .	يقول المفسر: المقصود هنا ليس سليمان التاريخي وليس يهوه بالطبع بل اسم سليمان استعمل هنا كرمز لفترة سلامٍ وسعادة مرتبطين بنهاية العالم؟
(٣: ١١)	أخرجن يا بنات صهيون وانظرن **الملك سليمان** بالتاج الذي توجته به **أمه في يوم عرسه**	سليمان هو هنا الملك التاريخي والعرس هنا هو عرس صوفي بين الملك والأمّة أي أمّه التي تتوجه[١]
(٤: ٧)	كلك جميل يا حبيبي، ليس فيك **عيبة**	بمعنى أن إسرائيل قد طُهّرت نهائياً بسبب السبي
(٤: ١٢)	أختي العروس **جنة مغلقة** عين مقفلة وينبوع **مختوم**	الجنة المقفلة أو الحديقة المسورة تعني إسرائيل الجديدة بخصبها. . والإقْفال والخَتم هما الحق الحَصْري للزوج على زوجته.
(٥: ١)	دخلت جنتي يا أختي العروس . . . كلوا أيها **الأحباء**	الأحباء هم الإسرائيليون

(١) هنا يضطر المعلق لنسيان يهوه لوضوح تسمية سليمان الملك ولكنه يُدخل اجتهاد زواج الملك مع الأمة.

المرجع	مضمون النص في نشيد الأنشاد	التفسير والتعليق
(٥ : ١٠ ـ ١٦)	حبيبي أبيض وأحمر، معْلَمٌ بين ربوة. رأسه ذهب إبريز...	يعتقد المفسر أن وصف الحبيب المهم نوعاً ما يحتوي على إشارات مستمرة إلى معبد أورشليم وحوض شبه النحاس أي «بحر الشَّبَه»
(٦ : ٨)	هنّ ستون **ملكة**[1] وثمانون سرية وعذارى بلا عدد	يستوحي الشاعر هنا من (ملوك ١ : ١١) في وصف حريم سليمان. وبما أن الحبيبة هي إسرائيل فالحريم هو إذن الأمم الغريبة من عبدة الأصنام (؟)
(٦ : ٩)	... رأتها البنات فطوّبنها **الملكات**[1] والسراري فمدحنها	
(٧ : ١٢)	لنبكرَنّ إلى الكروم... هنالك **أعطيت حُبّي**	بهذا الاقتران يتحقق الوعد الجديد والنهائي بين يهوه وإسرائيل
(٧ : ١٣)	**اللفاح** يفوح رائحةً وعند أبوابنا كل النفائس	نقرأ هنا تعليقاً مفيداً لبحثنا حين يعتبر الشارح أن نبات اللفاح ذا الرائحة النفاذة كان يعتقد بأنه يثير الجنس ويمنح الخصب
(٨ : ٢)	وأقودك وأدخل بك بيت أمي وهي **تعلّمني**[2]	أنتَ تعلمني: في توراة القدس

(١) تسمية الملكة أو الملكات التي ترد هنا في (٦ : ٨) و (٦ : ٩) واطلاقها على حريم سليمان: المؤلّف من ملكات وسراري وعذارى يلفت النظر ولا يمكن إغفاله لأن الملكات هنّ هنا، على الأرجح اللواتي قمن بدور الإلّهة في الزواج المقدس وربحن لقبهن.

(٢) توراة جمعية الكتاب المقدس بيروت ١٩٥٠.

المرجع	مضمون النص في نشيد الأنشاد	التفسير والتعليق
(٨ : ٥)	تحت شجرة التفاح شوّقتك، هناك خطبَت[1] لك أمك، هناك خطبت لك والدتك	توراة القدس تضع هذا المقطع على لسان الحبيب وتستبدل شوقتك بـ أيقظتكِ وتفسر بأن يهوه يوقظ إسرائيل وشجرة التّفاح رمز لفلسطين

وبالإضافة إلى ما ورد في التعليق الأخير تضيف توراة القدس، أن أم إسرائيل هي كما ورد في حزقيال (١٦ : ٣ و٤٤ و٤٥) كانت حثّية. وبمثل هذه التسمية يشير حزقيال إلى كافة الشعوب القديمة في كنعان التي اختلط بها الإسرائيليون بعد الاستيلاء الأول. وبذلك يبرر المعلّق التوراتي خيانات إسرائيل اللاحقة ليهوه، مُعيداً إياها إلى ذلك العيب في أصل أم إسرائيل.

٨ ـ أما تفاسير توراة المطبعة الكاثوليكية في نشرة بيروت لعام ١٩٥١ بصدد نشيد الأنشاد، فقد وردت على شكل تعليقات قدمها الشارح لمحتوى كل فصل أو إصحاح من النشيد. ونلخص فيما يلي أهم ما يخص موضوعنا حول حب المسيح لكنيسته واقترانه بها:

«ما ذكر من هذا الحب بين يسوع المسيح والكنيسة هو الذي أراده سليمان وأشار إليه في هذا السفر ممثلاً إياه بالحب والقران الزوجيين ولذلك ينبغي لمن أراد أن يستبطن فحوى هذا النشيد ويدرك حقيقة مضمونه، أن يتمثل تحت ألفاظ سليمان معنى الحب المقدّس. . . وبناء على ذلك فبعيدٌ من هذا المقام كل ما كان مطبوعاً على حبّ الأرضيات منهمكاً في الأهواء الجسدية. . .».

ـ في (١ : ٣) بعد أن تغتنم النفس القبلة المقدسة من فم كلمة الله، تسأله أن يجذبها إليه بقوة النعمة، قائلة اجذبني وراءك يا أيها القائل وأنا إذا ارتفعت عن الأرض جذبت إليَّ الجميع (يوحنا ١٢ : ٣٣).

ـ في الفصل الثاني: الطافر على الجبال هو يسوع المسيح متخطياً الملائكة. والشتاء هو رمز إلى آلام المخلّص والربيع إشارة إلى ولادة الكنيسة. وأوان قضب الكرم إيماء إلى

(١) نفس المصدر السابق ولكن توراة القدس تستبدل: خطبت لك أمك بـ «وضعتك أمك».

الاضطهادات التي نمت بها الكنيسة بدماء الشهداء... أما الثعالب الصغار فهم أصحاب البدع الذين يفسدون في الكنيسة.

ـ في الفصل الثالث: تمثيل للكنيسة تنهض وتنطلق مفتشةً عمن تحبه... وعندما تجده تستقر معه في قدس الكنيسة التي هي أم المؤمنين بأسرهم ثم تظهر لنا شركة الأسرار المقدسة وإدراك أعمق لمعاني الوحي وسرائر الحكمة الإلّهية المُعلَنة للنفس البارة... وحيث يستمر سليمان حين يظهر بنفسه للنفس الطالبة كلّ مجده كأنه سليمان الحقيقي الذي هو الملك والمسيح والله نفسه. ويكشف لنا الكتاب هنا بشخص سليمان أسمى أسرار يسوع المسيح... وحول الرسل والمعلّمون ويمثّل لنا عظمته وهو صاعد إلى السماء...!

نكتفي بما أوردناه من الشروح التي تستمر على هذا الشكل حتى نهاية النشيد متعجّبين من قدرة المفسر على ابتداع المعاني الكنسية وإيجاد أسرارها والمسيح المحب وراء كل كلمة وكل ذلك في عرفنا صادر عن إيمانه وليس عن مضمون النص.

وكما اعتمد المفسرون اليهيويون على ما ورد في أماكن متعددة من العهد القديم لدعم وتبرير شروحهم وتأويلاتهم لمحتوى نشيد الأنشاد، كذلك اعتمد المفسرون الكاثوليكيون على بعض ما ورد في أقوال كل من يوحنا الإنجيلي وبولص الرسول واللاهوتي أوريجين[١] والقديس اومبرواز[٢] والقديس برنار[٣] والقديس توما الأكويني[٤].

٩ ـ ويتضح من المقطعين ٧ و٨ أعلاه أن الطرفين اتفقا على أن مضمون نشيد الأنشاد يحتفل بقران ويتغّنى بعلاقة حبيب وحبيبة: روحية الجوهر ـ جسدية المظهر والوصف، وبذلك يرتبط نشيد الأنشاد من جديد بأصوله السومرية/ البابلية/ الكنعانية، كرمز لعلاقة إلّهية ولزواج إلّهي أو زواج مقدس ولعملية خصبٍ وإخصَاب تصنعها إلّهة تنشر في البلاد الكثرة والرخاء وتُجلِسُ الملك على عرشٍ ثابت وهي ما بقي من صورة الإلّهة ـ الأم التي، اعتباراً من سومر، عبرت الأجيال حتى أفروديت وفينوس...، وإذا ما حارب يهوه عشتروت وطقوسها، فإنّ الإبقاء على هذا النشيد،

---

(١) (Origene) من لاهوتيي الاسكندرية (١٨٥ ـ ٢٥٣) ميلادية.
(٢) (Ambroise) رئيس أساقفة ميلانو (٣٤٠ ـ ٣٩٧) ميلادية.
(٣) (Saint. Bernard) (١٠٩٠ ـ ١١٥٣).
(٤) (Saint. Thomas D'aquin) (١٢٢٥ ـ ١٢٧٤).

أجبر المفسرين على جعل يهوه يحل محل عشتروت في دور منح النِعَم وكانت عروسه شعب إسرائيل الذي استمر على خياناته له. كما جعلت الكنيسة الكاثوليكية المسيح بطلاً للزواج الإلّهي مع الكنيسة وعاد لنشيد الأنشاد دوره في الخصب والإخصاب ومن الطبيعي بالنسبة للكنيسة أن يتعلق الأمر بإخصاب الأرواح والنفوس التائقة إلى الخلاص. والكثرة هنا هي انتشار الكنيسة وفاعلية رسالتها.

كل ذلك يعني قراءة خاصة للنصوص أي قراءة ما وراء النصوص، وعلى الأخص إذا ما كانت هذه الأخيرة قد نُقِّحت وأوّلت وخلّصت من التعابير ذات المعنى المباشر وبخاصة ما يتعلق بالجنس، وهذا ما حدث على ما نعتقد لنشيد الأنشاد قبل تثبيته وقبوله والإعداد لتفسيره وتقديمه لنا كما نعرفه اليوم. ومعرفتنا بأناشيد الحب السومرية اليوم، وبأناشيد الزواج الإلّهي التي قدّمناها في الفقرتين (١ ـ ٢) و (٢ ـ ٣) من الفصل الثاني، تسمح لنا بأن نتجاوز هذا التأويل وهذه الروحنة الاصطناعية وأن نفتش عن التوازي بين النصوص السومرية وما بقي أمامنا من نشيد الأنشاد.

١٠ ـ وقبل أن ندخل في عملية بحث مظاهر التوازي، نعتقد أنه من المفيد عرض بعض تعابير اللغة الغزلية أو الجنسية التي تداولها أدب ذلك العصر سومرياً وكنعانياً ولم تكن التعابير السومرية بهذا الصدد تسيطر عليها دوماً الإباحية وصراحة التعبير بل كانت في كثير من الأحيان تلجأ إلى رمزية شعرية جميلة وتوريات واصطلاحات عبّرت بواسطتها عن الغرام والجنس والمضاجعة، ولم تخلُ التوراة اليهودية طبعاً من مثل هذه الاتجاهات. ونستعرض فيما يلي بعض هذه التعابير السومرية:

التعبير السومري	المدلول
• نظر إليها بعين ـ قلبه	أي بشهوة
• ما يوافق عين ـ قلبك	أي ما يعجبك
• سكب ماء ـ القلب	أي سكب منيّه
• ملأ بالماء صهريج إنانا	ضاجعها وسكب فيها منيه
• إنه جدير بالحضن المقدس	جدير بمضاجعة إنانا
• حرث حزام الأحجار الكريمة لإنانا	ضاجعها
• التلة المنتفخة	وصف فرج إنانا

التعبير السومري	المدلول
• الأرض الرطبة	وصف فرج إنانا
• كمقدمة سفينة السماء	عضو دوموزي المنتصب
• وضع ثيرانه للحراثة في الأرض الرطبة	ولج حبيبته الجاهزة للمضاجعة
• تدفق ماء القلب من حضنه	سكب منيه
• إملأ مخضّتي المقدسة بـ	اسكب منيّك
• تأوّه لذة على حضن الحبيبة	ـ لا ضرورة للشرح ـ
• سوف أنضح القشدة	أي أسكب المني
• سوف أبهج روحَكِ	ـ لا ضرورة للشرح ـ
• سحرتَ سرتي	سحرت فرجي
• كم هو منتفخ صدري	للتعبير عن الرغبة
• أية فروة كست فرجي	بلوغ سن الجماع؟
• أدخلني إلى حديقته	جامعني
• تمدد فوق قلبي	جامعني
• تذوق طلاوة الحجر	ـ لا ضرورة للشرح ـ
• الإلّه الذي دعته إلى قلبها	لمضاجعتها
• ركن طويلاً على صدرها	طال زمن الجماع
• وأطالت بقاءها على حضن حبيبها	أطالت زمن الجماع
• سفينته المشوقة	انتصابه
• أريد أن أُغمر بعسلك	بمنيّك
• أنا أعرف كيف أمدّد لك قلبك	التوصل إلى انتصاب عضو الحبيب؟
• الرُكنة الكَنينة الحلوة كالعسل	فرج الحبيبة
• نغم مخضة الحليب	تورية لصوت «خفق» الجماع؟

التعبير السومري	المدلول
● فرجها عذب كشراب	ـ لا ضرورة للشرح ـ
● فرجها وشفتاها عذبة كشراب	ـ لا ضرورة للشرح ـ
● الساقية	لقب الحبيبة التي تسقي الشراب من فرجها وشفتيها
● منحها نِعَم جسده	ـ لا ضرورة للشرح ـ
● الرجل ـ العسل	أي الرجل الفاتن
● لبستُ حمّالة صدري: «ليأتِ ليأتِ»	أي المغرية التي تدعو الرجل وتجذبه
● تزيّنت بحليتي «ليأتِ»	أي التي تجذب الرجل
● لفّني بنظرته المُلهبة	ـ لا ضرورة للشرح ـ
● افتحي له بيتك يا ملكتي	اقبلي مضاجعته

١١ ـ بعد تقديم هذه اللائحة الصغيرة من التعابير المتعلقة بلغة الحب واللقاء الجسدي بين الحبيبين نسعى في المقاطع التالية للتفتيش عن أمثلة للتوازي بين أناشيد الحب السومرية وبخاصة أناشيد الحب الإلّهي ونشيد الأنشاد قد تساعدنا اللائحة السابقة على تفهم أكثر جسدية وأكثر جنسيةً بالنسبة لنشيد الأنشاد الذي يحافظ، على الرغم من «تطهيرَه» أو «تعقيمه» كما أسلفنا، يُحافظ على ما يشير إلى هذا الحب الجسدي إذ لم يستطع الشارحون والمعلّقون الساهرون على الإيمان إغفاله، واضطروا كما عرضنا أعلاه إلى روحنته، ونسج التوريات بصدده.

التـــوازي

نشيد الأنشاد	الأناشيد السومرية[1]
● الخمر ـ الفم ـ الشفاه	
ليقبلني بقبلات فمه، لأن حبك أطيب من الخمر (١ : ٣)	آه يا آسرتي، يا مالكتي، أنت خمريَ المبهج، يا أحلى عسلي، يا فم أمها الطلي، يا طليتي. (٢٥ : ٣)
نذكر حبَك أكثر من الخمر (١ : ٤)	قبلات فمك تهزني، تعالي يا أختي الحبيبة. . . يا فم أمها الطلي يا طليّتي (٢٥ : ٦ و٧)
شفتاك يا عروس تقطران شهداً. تحت لسانك عسلٌ ولبن (٤ : ١١)	فرجها وشفاهها هي عذبة كشراب وشرابها فائق الحلاوة (٣١: ٢١ و٢٢)

* * *

نشيد الأنشاد	الأناشيد السومرية
● أحبَتك النساء	
اسمُك دهن مهراق. لذلك أحبتك العذارى (١ : ٣)	يا ملتهم النساء، يا أخي، يا ذا الوجه الجميل. كم كان إغراؤك عذباً (٢٥: ٢٦ و٢٧)

* * *

(١) يمكن الرجوع إلى الأناشيد السومرية وفقاً لأرقامها وأرقام الأسطر كما وردت في (١ ـ ٢) و (٢ ـ ٣) من الفصل الثاني في هذا الكتاب.

● قادني إلى داره

نشيد الأنشاد	الأناشيد السومرية
أدخلني الملك إلى حجاله. نبتهج ونفرح بك[1] (١: ٤)	في الحجيرة التي تطفح عسلاً دعنا نتمتع بجمالك الرائع (٣٠: ١١ و١٢)
	كان أخي قد قادني إلى داره، وجعلني أتمدد على فراشه الناعم المضمخ بالعطر. وعند ذلك تمدّد حبيبي العذب فوق قلبي (٢٤: ٢٦ ـ ٢٨)

* * *

● الحبيب الراعي

نشيد الأنشاد	الأناشيد السومرية
أخبرني يا من تحبه نفسي أين ترعى، أين تربض عند الظهيرة. لماذا أنا أهيم كشريدة عند قطعان أصحابك (١: ٧)	إقترني بالراعي يا أختاه... لذيذة قشدته ومنعش لبنه كل ما يمسّه هذا الراعي يتألق (١١: ٦٦ ـ ٧٠)
صوت حبيبي هو ذا آتٍ طافراً على الجبال، قافزاً على التلال (٢: ٨)	هو الراعي الذي خلقه «آن» من أجلي كم هي فاتنة لحيته! إنه الملك! كم هي فاتنة لحيته (١٤: ٤٥ ـ ٤٧)
حبيبي لي وأنا له الراعي بين السوسن (٢: ١٦) و (٦: ٣)	

* * *

(١) يمكن تفهم البهجة والفرح في حجال الملك أو الحبيب على ضوء ما ورد في النص السومري بالمقابل.

نشيد الأنشاد	الأناشيد السومرية

● **زينة الحبيبة**

نشيد الأنشاد	الأناشيد السومرية
ما أجمل خديك بسموط وعنقك بقلائد. تَصْنَعُ لك سلاسل من ذهب مع جمان من فضّة (١ : ١٠ و١١)	لأنني أنشدت، لأنني أنشدت كافأني سيدي!... كافأني سيدي بمنحي عقداً من الذهب وخاتماً من الفضة (٣١: ٩ ـ ١١)
قد سبيت قلبي يا أختي العروس، قد سبيت قلبي بإحدى عينيكِ بقلادة واحدة من عنقك (٤ : ١٠)	اختارت إنانا اللازورد لتزيين صدرها واللؤلؤ البيضوي لتزيين رأسها وردفيها، وأحجار اللازورد الدورو لعقيصة شعرها، وأقراط ذهبية لأذنيها... وحجر من المرمر اللماع لسرّتها و... لفرجها. (١٢ : التقديم)
هم الذين من أجلهم استحممت وكحّلت عينيكِ وتحليت بالحلى وجلست على سرير فاخرٍ أمامه مائدة منضضة... حزقيال (٢٣: ٤٠ ـ ٤١)(*)	عندما من أجل الراعي دوموزي سوف أستحمّ وبعد أن أزين ردفيّ بـ [...] وعندما أدهن شفتي بالمرهم العنبري وأضع الكحل حول عينيّ... (٢٨: ٦ ١ ـ ١٩)

* * *

● **بين ثديي يبيت**

نشيد الأنشاد	الأناشيد السومرية
صُرّة المرّ حبيبي لي بين ثدييّ يبيت (١ : ١٣)	الملك «قرينك»، الحبيب الذي دعوته إلى قلبك. فليركن طويلاً على صدرك الجذاب (٢٧: ٨ و٩ عمود ٢)

(*) نستعير هذه الزينة عن حزقيال في معارضته للبغاء المقدس الذي مارسته بنات أورشليم والسامرة.

نشيد الأنشاد	الأناشيد السومرية
	كم هي كليّة اللذة كم هم عذب ومريح، النوم ويدي في يده. كم هي كلية اللذة حين يلتصق قلبه بقلبي. (١٢: ٤٦ و٤٧)

* * *

● الفراش المخصب

نشيد الأنشاد	الأناشيد السومرية
ها أنت جميل يا حبيبي وحلو وسريرنا أخضر (١: ١٦)	نُصب عند ذلك فراش من أجل ملكتي، طُهِّر الفراش بواسطة الأسَل والأرز العاطر (٣٣: ١٧٥ و١٧٦) من أجلك وفي الحرم الكبير، طهّر «جيبيل» فراشاً مخصباً، غطاؤه من اللازورد (٢٧: ٨ و٩) (الملك) يتوق إلى الفراش الطوباوي، يتوق إلى الفراش. يتوق إلى الفراش الذي يجعله يتذوق طلاوة الحجر، يتوق إلى الفراش (٢٧: ١٨ ـ ٢٠)

* * *

● **اللقاء في الحظيرة**

نشيد الأنشاد	الأناشيد السومرية
ما دام الملك في حظيرته[1] أفاح نارديني رائحته صرة المرّ، حبيبي لي، بين ثدييّ يبيت، طاقة فاغية حبيبي لي (١ : ١٣ ـ ١٤)	أيتها الغانية، عندما ستدخلين الحظيرة، الحظيرة يا إنانا سوف تتهلل أمامك والنعجات الوفيّات سوف تنشر صوفها أمامك لكي يتمكن «قرينك» من التأوه لذة على حضنك. وعندما تنثر الحظيرة النبيلة القشدة من أجلك، سوف أنضح القشدة من أجلك، سوف أنضح اللبن وسوف أبهج روحك أي إنانا (١٨ : ١٩ ـ ٢٧)[2]

* * *

● **جنّة الحبيب ـ الحديقة ـ الحقول**

نشيد الأنشاد	الأناشيد السومرية
كالتفاح بين شجر الوعر، كذلك حبيبي بين البنين تحت ظله اشتهيت أن أجلس وثمرته حلوة لحلقي (٢ : ٣ و٤)	أدخلني إليها! أدخلني إليها! أدخلني أخي إلى حديقته! دوموزي أدخلني إلى حديقته! أخذني معه حتى المظلّة وجعلني أركن معه على زهراء مرتفعة على الفور اتخذت وضعي تحت شجرة تفاح، بينما وصل أخي وهو يغنّي يتجه نحوي اعتباراً من الظلّة السمراء لشجر السنديان

(١) التعبير الوارد في توراة القدس.
(٢) انظر أيضاً (٣٤: ٩ و١٠) من هذا الكتاب.

نشيد الأنشاد	الأناشيد السومرية
تحت شجرة التفاح شوّقتك، هناك خطبت لك أمك، خطبت لك والدتك (٨: ٥)	يتجه نحوي تحت حر الظهيرة سكبت من حضني أمامه الخضار أنتجت له خضاراً وسكبتها أمامه أنتجت له حبّاً وسكبت حباً أمامه! (٢٢: ١ ـ ١٣)
قومي يا حبيبتي يا جميلتي وتعاليّ لأن الشتاء قد مضى والمطر ولّى وزال... التينة أخرجت فجّها وقعال الكروم تُفيحُ رائحتها (٤: ١٠ ـ ١٣)	صدركِ يا إينّين هو حقل. أي إنانا صدركِ هو حقل: حقل ينتج الزروع حقل فسيح يسكب الحبوب! (١٥: ٦٩ ـ ٧٢)
استيقظي يا ريح الشمال، وتعالي يا ريح الجنوب، هبّي على جنتي فتقطرَ أطيابها. ليأت حبيبي إلى جنته(*)، ويأكل ثمره النفيس (٤: ١٦)	وبمجرد أن تدفق من حضن الملك ماء ـ القلب فعلى جوانبه انبثقت الزروع وعلى جوانبه نبت الحب: وبقربه زخرت بنمو نباتها السهوب والمروج (١٦: ٩ ـ ١١ عمود ٣)
قد دخلت جنتي يا أختي العروس. قطفت مرّي مع طيبي. أكلت شهدي مع عسلي شربت خمري مع لبني (٥: ١)	

(*) الجنة بمعنى حديقة وبستان في الأناشيد السومرية وهي تورية للفرج وحتى اليوم تسمي المرأة المصرية عانتها الجنينة.

نزلت إلى جنة الجوز لأنظر إلى خضر الوادي لأنظر هل أقْعَلَ الكرم، هل نوّر الرمان

(٥: ١١)

تعال يا حبيبي لنخرج إلى الحقل . . . لننظر هل أزهر الكرم هل تفتح القعال، هل نوّر الرمان هنالك أعطيك حبّي

(٧: ١٠ ـ ١٢)

أي أختي الجميلة، أريد الذهاب معك لتفقد حقولي. . . أي أختي أريد الذهاب معك لتفقد بستاني! أي أختاه أخصبي لي بستاني

أريد الذهاب معكَ لتفقد بستان التفاح لكي أتناول بيدي ثمار تفاحي! . . . أريد الذهاب معك لتفقد شجر الرمان وأقطف منه الحلو والمعسّل

(٢٩: ١٠ ـ ١٩) مقطتفات

* * *

● أسحبُ المزلاج ـ إبقَ معي الليل بكامله

حبيبي لي وأنا له الراعي بين السوسن. إلى أن يفيح النهار وتنهزم الظلال ارجع يا حبيبي واشبه الظبي. . .

(٢: ١٦)

أي صهرنا، عندما يغيب النهار أي صهرنا عندما يأتي الليل عندما سيدخل «القمر»[١] (. . .) بيتنا سوف أطفىء النجوم على مساراتها. عندما أطفىء القمرفي الأعالي عند ذلك سوف أسحب المزلاج من أجلك[٢]

(١٩: ٩ ـ ١٦)

(١) «القمر» هنا بمعنى الحبيب.
(٢) سحبت الحبيبة المزلاج من أجل الحبيب.

نشيد الأنشاد	الأناشيد السومرية
إلى أن يفيح النهار وتنهزم الظلال، أذهبُ إلى جبل المرّ وإلى تل اللبان. كلك جميلة يا حبيبتي، ليس فيك عيبة (٤: ٦ و٧)	يا مفضل إنليل، أنت لي تعال (قربي) في الليل! ابق معي الليل بكامله! تعال (قربي) في النهار! ابق معي النهار بكامله! (١٩: ٦٠ ـ ٦٣)
شماله تحت رأسي ويمينه تعانقني. احلفكن يا بنات أورشليم... ألا تُيَقِّظْنَ وتُنَبِّهْنَ الحبيب حتى يشاء (٢: ٦ و٧) و (٨: ٣ و٤)	سوف يضع يده في يدي وقلبه على قلبي كم هو عذب ومريح النوم ويدي في يده كم هي كلية اللذة حين يلتصق قلبه بقلبي (١٢: ٤٤ ـ ٤٧)
أنا نائمة وقلبي مستيقظ، صوت حبيبي قارعاً. افتحي لي يا اختي، يا حمامتي... قمت لأفتح لحبيبي ويدايَ تقطران مرّاً وأصابعي مرّ قاطر على مقبض القفل[1] فتحت لحبيبي لكن حبيبي تحول وعبر (١٣: ٥ ـ ٨)	إنه التحق بي، التحق بي الملك صديق آن التحق بي: الملك أمسك بيده يدي (دوموزي) قبلني...» (٥: ٢) و (٥: ٥) النوم بقربكَ منتهى سعادتي (١٧: ١٥) روحك، أنا أعرف كيف أبهج روحك بت عندنا يا حبيبي حتى مطلع الفجر (٣٠: ١٨ و١٩)

* * *

(١) هنا لم تسحب الحبيبة المزلاج، فهل نسيت؟ أم تعذر عليها ذلك؟

● **الاحتفال بعد الزواج**

قد دخلت جنتي يا أختي العروس، قطفت مري مع طيبي. أكلت شهدي مع عسلي. شربت خمري مع لبني. كلوا أيها الأصحاب، اشربوا واسكروا أيها الأحباء[1]

(٥ : ١)

. . . ثم تقدم الملك باعتزاز من الحِجر المقدس التحق مظفراً بحضن إنانا وضاجعها دوموزي متلمساً برقة صدرها الجميل وبعد أن استقرت الملكة طويلاً على حضن الملك. . . تمتمت: ايدين ـ داچان[2] نعم سوف أمدد حياتك!

(٣٣: ١٨٥ ـ ١٩٢)

عندما تمّ تكديس التقدمات، وبمجرد إنجاز تطهير المكان، وحرق البخور ونثر زيت السرو، عندما كدست التقدمات الغذائية وملأت الأواني حتى الطفح، دخل برفقتها إلى قصره الجليل ومثل ضوء النهار، قادها إلى العرش على المنصة السامية. وجلس بقربها وكأنه الملك ـ الشمس ثم جعل الكثرة والوفر وفيض المآكل تُستعرض أمامها. وأقام من أجلها عيداً رائعاً. . . ثم مدّ الملك يده إلى المآكل والمشروبات[3] وبحضور الشعب المشبع وفراً وكثرة. . .

(٣٣: ١٩٣ ـ ٢١٠)

* * *

(١) وصف الوليمة والاحتفال مع الأصحاب والأحباء بعد الزواج المقدس أي أكل شهد العروس. . .

(٢) اسم الملك الذي حقّق الزواج الإلّهي مع ممثلة إنانا.

(٣) إيذاناً ببدء الاحتفال ومساهمة الأصحاب والأحباء في الوليمة، وهنا هم الرؤوس ـ السوداء المدعوون إلى القصر (الرجوع إلى النص الكامل).

● **توجته أمّه يوم عرسه**

أخرجن يا بنات صهيون وانظرن الملك سليمان، بالتاج الذي توّجته به أمه في يوم عرسه وفي يوم فرح قلبه[1]

الإلّه الذي دعوته إلى قلبك الملك «قرينك» الحبيب، فليركن طويلاً على صدرك الجذاب! امنحيه حكماً سعيداً ومليئاً بالأمجاد! امنحيه حكماً ثابتاً إلى الأبد، لا يتزعزع! امنحه عصا قيادة الشعوب والصولجان وعصا الرعاية

(٢٧: ٧ ـ ١١ عمود ٢)

الإلّهة إنانا تقرر هنا مصير «قرينها» الملك: «أنت خلقت لكي تستقر باعتزاز على المنصة المجيدة. أنت خلقت لتجلس على العرش اللازوردي. أنت خلقت لكي تثبت التاج على رأسك... أنت خلقت لتمسك بيدك الصولجان الجليل أنت خلقت لكي تلتصق بقوة على حضني الجميل...»

(٢٨: ٥٧ ـ ٦٥)

من رجاء الشاعر إلى إنانا الأم: ... «وليتمكن إيشمي ـ داجان[2] في حياته المديدة أن يعلن بحرارة: أنت هي «قرينتي» النعجة التي تعتني حنونة بحملانها هي أنتِ»[3].

(٣٤: ٢٤ ـ ٢٦)

* * *

(١) إذا كان الأمر يتعلق فعلاً بالملك سليمان التاريخي، فهذا يعني أن هذا الأخير قد ساهم فعلاً في طقوس الزواج الإلهي مع عشتروت التي كأم له وللبلاد تتوجّه في يوم عرسه.

(٢) اسم الملك «قرين» إنانا.

(٣) العروس هي أم «حنونة» كالنعجة على حملانها.

● **أمي تعلّمني**

نشيد الأنشاد	الأناشيد السومرية
فما جاوزتهم إلا قليلاً حتى وجدت من تحبه نفسي، فأمسكته، ولم أرخه حتى أدخلته بيت أمي وحجرة من حبلت بي . . . (٣: ٤)	أم إنانا تشجعها على لقاء عريسها و «تعلمها»: «هيّا أيتها الصبية، إنه من أجلك مثل أب! هيّا أيتها الصبية، إنه من أجلك مثل أم! أمه تعزك كما تعزك والدتك! وأبوه يعزك كما يعزك والدك! افتحي له بيتك يا ملكتي، افتحي له بيتك!»
أقودك وادخل بك بيت أمي وهي تعلّمني، فأسقيك من الخمر الممزوجة من سلاف رمّاني. شماله تحت رأسي ويمينه تعانقي. أحلفكنّ . . . (٨: ٢ ـ ٤)	وإنانا، بناء على أوامر أمها، استحمت ودلكت جسدها بدهون ناعمة؛ . . . (١٢: ٧ ـ ١٢ عمود ٢ النص الملحق)

* * *

● **العروس ملكة والملكات مدحنها وهي مرهبة كجيش**

هنّ ستون ملكة وثمانون سُرّية وعذارى بلا عدد واحدة هي حمامتي، كاملتي. الوحيدة لأمها هي، عقيلة والدتها هي[١]، رأتها البنات فطوّبنها. الملكات والسراري فمدحنها[٢] من هي المشرفة مثل الصباح جميلة كالقمر، طاهرة كالشمس مرهبة كجيش بألوية[٣]

(٦: ٨ ـ ١٠)

ملاحظة: لم نعثر في الأناشيد السومرية المعروضة على أثر «لحريم» ملوك سومر. ولكن اجلاس ملكة المضاجعة على العرش احتفالاً برأس السنة وارد في النص التالي: ومثل ضوء النهار، قادها إلى العرش، على المنصة السامية وجلس بقربها وكأنه الملك ـ الشمس

(٣٣: ١٩٩ و٢٠٠)

يا مليكتي ذات الرأس...، يا مليكتي كوباتوم[٣]

(٣١: ٦)

سوف أكون دليلك في المعارك وحاملة سلاحك في القتال[٣]

(٢٨: ٤٩)

* * *

(١) الملكات في حريم سليمان هن على الأرجح اللواتي «اقترن» بهن في طقس زواج مقدّس.
(٢) ولكن الحبيبة هنا التي حازت إعجاب الملكات والسراري لجمالها هي مفضّلة الملك على ما يظهر وإحدى مكرساته، كما كان شأن كوباتوم في النص السومري الموازي.
(٣) مرهبة كجيش هي صفة من صفات عشتار المحاربة وإنانا أيضاً كما ورد في النص الموازي.

● **الحبيب تمثال ذهب...**

حبيبي أبيض وأحمر، علمٌ بين ربوة. رأسه ذهب إبريز، قصصه مسترسلة حالكة كالغراب. عيناه كالحمام على مجاري المياه، مغسولتان باللبن، جالستان في وقبيهما... يداه حلقتان من ذهب مرصعتان بالزبرجد. بطنه عاج أبيض مغلف بالياقوت الأزرق. ساقاه عمودا رخام مؤسستان على قاعدتين من إبريز. طلعته كلبنان فتىً كالأرز[1]

(٥: ١٠ ـ ١٥)

أَنتَ في نظري تمثال ذهب حقيقي تحفة فنان في معالجة الخشب تحفة فنان في معالجة المعدن[2]

(١٩: ٤٥ ـ ٤٧)

يا دوموزي... كم كان إغراؤك عذباً يا صورة ذهبيةً لي، يا صورة ذهبية كم كان إغراؤك عذباً! يا تمثالاً من مرمر متوّجاً باللازورد، كم كان إغراؤك عذباً!

(٢٥: ٣٠ ـ ٣٢)

* * *

(١) حار الشارحون الدينيون بصدد تفسير هذا المقطع الذي يصف الحبيب وكأنه تمثال (؟) ولكن الوصف السومري الموازي لا يكذب ذلك.

(٢) التماثيل القديمة كانت تصنع من الخشب الملبّس برقائق معدنية من ذهب أو فضة.

● <u>الظبي</u>:

حبيبي هو شبيه بالظبي أو بغفر الأيائل
(٣: ٩)

إلى أن يفيح النهار وتنهزم الظلال ارجع
واشبه يا حبيبي الظبي أو غفر الأيائل
على الجبال المشبّة

(٢: ١٧)

اهرب يا حبيبي وكن كالظبي أو كغفر
الأيائل على جبال الأطياب

(٨: ١٤)

ملاحظة: لا تشتمل الأناشيد السومرية المعروضة على تشبيه الحبيب بالظبي أو الغزال ولكن النصوص العديدة التي تروي موت دوموزي وملاحقته من قبل شياطين العالم السفلي، تشير إلى أن الإلّه الشمس أوتو يساعده في هربه حين يحوله إلى غزال. وقد تكون الفقرة الأخيرة (٨: ١٤) من نشيد الأنشاد هي من بقايا هذا المعتقد.

* * *

● الحب والموت

إجعلني كختم على قلبك كختم على ساعدك، لأن المحبة قوية كالموت. الغيرة قاسية كالهاوية[1] لهيبها لهيب نارٍ ولظى الرب. المياه الغزيرة لا تستطيع أن تطفىءَ المحبة والسيول لا تغمرها.

(٨: ٦ و٧)

يا ابن الملوك، أي أخي، يا ذا الوجه الجميل... أنقذت لك حياتك خارج أسوار المدينة ولكن ها أنت أصبحت هدفاً لمصيرٍ في منتهى القساوة... آه يا حبيب قلبي أنا التي بدون شك سبّبت لك هذا المصير القاسي. يا أخي يا ذا الوجه الجميل!... كم كان إغراؤك عذباً يا حامل أزهاري إغراؤك كان عذباً في الحديقة يا حامل أزهاري!... يا حامل ثماري...

(٢٥: ١٢ ـ ٣٠)

* * *

(١) بمعنى شيول (Shéol) العبري، أي ما يعادل العالم السفلي السومري والأكادي وهو عالم الأموات. وهنا نرى نشيد الأنشاد بعد أن احتفل وتغنّى بحب العروسين الحبيبين ينتقل فجأةً إلى لهجةٍ جدية ومحزنة يرتبط فيها الحب بالموت، أي موت دوموزي/ تموز بسبب حبه لإنانا/ عشتار، وهذا ما يشير إليه النص السومري الموازي رقم (٢٥).

الفصـــل الرابـــع

نشيد الأنشاد السومري
يبحث عن شاعر

(٤) ـــ نشيد الأنشاد السومري
يبحث عن شاعر

١ ـ في هذا الفصل الأخير، سوف نقدم مقتطفات من أناشيد الحب بين إنانا ودوموزي ومن أناشيد الزواج الإلّهي التي وردت في الفقرتين الأولى والثانية من الفصل الثاني[١] والتي تصلح لأن تكون مادة لنشيد أنشاد سومري متّبعين في تسلسل عرضها ترتيباً يختلف عما ورد سابقاً، وذلك بقصد التوصّل إلى حبكة طبيعية تتغنّى بتعارف حبيبين وبلقائهما سراً أو علانية، في الحظيرة أو في الحديقة أو في القصر. الحبيبة هي إنانا الإلّهة، والحبيب هو دوموزي الراعي والملك. إنهما يتبادلان أشواقهما ويسعيان للقاء المخصب. يتحاوران فيما بينهما أو يصرّحان ويبوحان بحبهما إلى من يحيط بكل منهما: مجموعة المرافقات أو الوصيفات بالنسبة للإلّهة إنانا أو كورس المنشدين والمنشدات... وتتبدل المشاهد وتمرّ الفصول... ويتابع الملوك فيما بعد مهمة دوموزي في إخصاب إنانا التي هي البلاد فيتولّد فيها الوفر والكثرة.

كل ذلك يلائم هيكل مسرحيةٍ وروح نشيد مسرحي. ومادة نشيد الأنشاد السومري، نقدمها فيما يلي على هذا الشكل معرّفين بأشخاص المشاهد المختلفة وبأدوارهم واضعين على ألسنتهم مقتطفاتٍ مما ورد في هذا الكتاب ولن نضيف إلى هذه المقتطفات التي نقدمها بأمانة سوى بعض جمل الربط والتسلسل[٢] التي لن تخفى على القارىء أو الشاعر الذي نسعى لترغيبه لكي يتحقّق لنا من ضمن هذه المجموعة الغنية التي عرضنا، نشيد أنشاد سومري، لن ننسبه بعد ألف عام إلى ملك مثل سليمان، بل نقول عنه إنه من وحي أناشيد الحب في سومر.

---

(١) الأناشيد ذات الأرقام (١ إلى ٢٥) و (٢٦ إلى ٣٤).

(٢) سوف نضع هذه الجمل بين عقفتين [ ].

٢ ـ التسلسل الذي نحاول اتباعه في سرد مشاهد هذه المادة للنشيد المقصود، هو سرد قصة بدء الرعاية والزراعة والمنافسة بين الراعي والفلاح لكسب قلب إنانا ثم رضوخ الفلاح وقبول إنانا بدوموزي حبيباً وعشيقاً وخطيباً وعريساً وقريناً، من خلال فترة الخطوبة وعلاقة الأهل وزيارة العريس لبيت العروس واللقاءات المختلفة، وتغنّي كل من الحبيبين بالحبيب الآخر عبر اعترافات وتصريحات تتراوح بين الشهوة العارمة ورقّة العواطف.

المشهد الأول

الأشخاص: **إنانا إلَهة الحب والخصب.**

المجموعة المؤلفة من تابعات الإلَهة.

المجموعة تخبر إنانا بأن الإلَهين الجليلين إنليل وأنكي خلقا إلَهة المواشي (لاهار) وإلَهة الحبوب (أشنان) وأرسلاهما إلى الأرض لتحقيق مهمتهما[1].

المجموعة: في البدء، لم تكن هناك أية نعجةٍ لكي تضع حَملها
ولا عنزة من أجل جدييانها الثلاثة
ولم يكن موجوداً «الحب الصغير» ولا «حبّ
الجبال» ولا «الحب الممتاز»
[عند ذلك عمد الإلَهان إنليل وأنكي
إلى خلق الشقيقتين لاهار (النعجة) وأشنان (الحبوب)]
تمركزت لاهار في حظيرتها، وكراعية
جعلت القطيع يزداد أهمية
كما استقرت أشنان قرب حاصلاتها
كامرأة فتية لطيفة وجذّابة
وهكذا تمكّنتا من تحقيق الوفر
الآتي من السماء. . .

---

(١) النص رقم (٧).

ومن أجل الجموع الغفيرة، حققتا الكثرة
وجلبتا إلى البلاد الحياة.
[وتابع دوموزوي الراعي مهمة لاهار]
فجعل النعاج والماعز تلد صغارها
وكثّر البقرات والعجول، وفر السمن واللبن بسخاء.
أقام الحظائر والزرائب وأبهج قلب الآلهة.
[وهذا هو الفلاح انكيمدو يستأنف أعمال أشنان]
نمّى الأشجار والزروع وغطّى بالخضرة البساتين،
جعل الحب في الأثلام يتضاعف عشر مرات
وكدس في العنابر حصاده الغني.
[فرضيت عنه الآلهة].

إنانا: (متوجهة إلى المجموعة):
[أنا أراقب عملهما، وأتساءل
أيهما الأقرب إلى قلبي؟ لست أدري]

المجموعة: [إجعليهما من أجلك يتنافسان
ولك أن تختاري عند ذلك].

المشهد الثاني

الأشخاص: **أوتو** الإله الشمس شقيق إنانا.
إنانا إلهة الحب والخصب.
الراعي دوموزي.
الفلاح وإحدى المنشدات.

يظهر الإلّه الشمس أوتو متألقاً في السماء ويتوجّه إلى شقيقته إنانا، مشيداً بالكتان الذي ينمو مزروعاً وَيعِدُ بتقديم غطاء منه لفراش عرس إنانا. يتم هذا الحوار على مسمع من دوموزي الراعي[١].

أوتو: أي إنانا، الكتان المزروع ينمو
الكتان المزروع ينمو وتملأ بذوره الأثلام.
أي إينّين، بفضلك، الكتان المزروع ينمو
وأنا سوف أجلب لك الكتان المزروع
سوف أقدمه لك.

إنانا: أي أخي، عندما ستقدم لي الكتان المزروع
من سيمشّطه لي؟ من سيغزله؟
من سيجدله؟ من سيسدّيه؟ ومن
سينسجه؟ ومن سيصبغه؟

أوتو: أي إنانا، سوف أجلبه لك مصبوغاً.

إنانا: أي أخي، عندما ستقدمه لي مصبوغاً
من هو الذي سيضاجعني عليه؟
من سيضاجعني عليه؟

أوتو: الذي سيضاجعك، إنه هو
الذي سيضاجعك ويصبح قرينك، إنه هو!
إنه دوموزي الذي سيضاجعك
صديق إنليل، هو الذي سيضاجعك
سيضاجعك من ولده حضن كريم
من أنجبه ملك، هو الذي سيضاجعك.

---

(١) النص رقم (١١).

تلاحظ إنانا أن دوموزي ينصت إلى حوارهما فتعارض رأي أوتو مثيرة في قلب دوموزي الغيرة وروح المنافسة حين تعلن لأوتو اختيارها:

إنانا: كلا! الرجل الذي سيضاجعني
إنه الرجل القريب إلى قلبي
الذي سلب مني روحي
إنه الفلاح الذي امتلأت عنابره حَبّاً

أوتو: إقترني بالراعي يا أختاه
إقترني بالراعي أيتها الفتاة، لمَ ترفضينه؟
لذيذة قشدته ومنعش لبنه
كل ما يمسّه هذا الراعي يتألّق
اقترني إذن بالراعي يا إنانّا

إنانا: كلاّ لن أتزوج من الراعي
أنا لا أريد ارتداء ألبسته الخشنة
أنا الفتاة الصبية، أريد الاقتران بالفلاح:
الفلاح الذي ينتج بكثرة هكذا زروعاً!
الفلاح الذي ينتج بكثرة هكذا حبوباً!

يغيب أوتو عن الأنظار وتبقى إنانا لتراقب عن بعد رد فعل دوموزي، تقف بقربها إحدى المنشدات من تابعاتها. وهذا هو دوموزي يحدث نفسه بحزنٍ عميق ويقارن:

دوموزي: ما لدى هذا الفلاح أكثر مني؟
ما لديه أكثر منيّ
ما لديه أكثر مني هذا الفلاح؟
إن قدم لي طحينه، فأنا أعطيه نعجتي،

إن سكب لي جعته المختارة

فأنا أصب له لبني الأكثر دسماً

إن قدم لي أفضل خبزه

فأنا أعطيه ألذّ أجباني طعماً

وبعد أن أكون قد أكلت كفاية وشربت كفاية

يمكنني أن أترك له ما بقي لي من القشدة واللبن.

أكثر منّي، ما لديه إذن أكثر منّي هذا الفلاح؟!

ينظر دوموزي إلى السماء ويلمح ابتسامة خفية على وجه إنانا علامةً للرضى، فيبتهج قلبه.

دوموزي: [إنها تبتسم! إنها تبتسم!

إنانا ابتسمت لي].

يخرج دوموزي فرحاً ويذهب للسهر على أغنامه. المنشدة تقترب من الفلاح وكأنها لا تراه وتنشدُ مردّدة أقوال دوموزي:

المنشدة: ما لدى هذا الفلاح أكثر مني؟

ما لديه أكثر مني هذا الفلاح

[رددوا نشيد دوموزي أيها الرعاة]

يتوقف الفلاح عن عمله في عزق الأرض ثم ينسحب.

المشهد الثالث

الأشخاص: **دوموزي، الفلاح، الكورس.**

الكورس يصف المشهد مشيراً إلى ابتهاج دوموزي.

الكورس: فليبتهج! وليبتهج!

كان الراعي مبتهجاً على الضفة على شاطىء النهر،
كان الراعي يسهر على أغنامه على شاطىء النهر،
[مردداً إنها ابتسمت لي، إنانا ابتسمت لي]

يقترب منه الفلاح ساعياً للمصالحة والأخوة ولكن دوموزي يظهر غضبه.

الفلاح: أنا وأنت أيها الراعي، أنا وأنت
ما الذي يدفعني للتنازع معك؟
دع أغنامك تقضم عشب الضفة
دع أغنامك ترعى في حقولي المزروعة
ولترتوِ جديانك وحملانك من قناتي

يهدأ غضب دوموزي ويعلن للفلاح عن رغبته الزواج من إنانا.

دوموزي: إلى زواجي، أنا الراعي، [إلى زواجي من إنانا]
ستحضر كصديق أيها الفلاح
سوف تُعدّ كصديقٍ لي

الفلاح: سوف أحمل إليك الطحين، وأجلب لك البِيْقّة
سوف أجلب لك العدس!
[سوف أقدم الهدايا لعروسك المرأة الصبية،
إلى الفتاة إنانا سوف أقدم الهدايا]

مشاهد مختلفة

أشخاصها:

إنانا: وهي الملكة والإلّهة والحبيبة والأخت والعروس.

دوموزي: الراعي وهو الملك والأخ.

أم العروس، مساعدة إنانا، الكورس أو المجموعة والشاعر وكهان المعبد (لابسو الكتان).

أ ـ إنانا تصرّح بحبّها وتتصور اللقاء

هي: من غيره، إن لم يكن هو، صُنع من أجلي؟
من غيره إذن صُنع من أجلي
كم هي فاتنة لحيته
هو الراعي الذي خلقه الإلّه من أجلي
إنه الملك! كم هي فاتنة لحيته (١٤)(*)
سوف يوسع لي بيتي،
بيتي أنا الملكة سوف يوسعه
وفي مقري حيث سَيُنْصب فراشي المخصب
ويُغطّى بالقماش الأزرق
سوف أقود إليه رجل اختياري
وسوف يضع يده في يدي
وقلبه على قلبي،
كم هو عذب ومريح، النوم ويدي في يده
كم هي طلية اللذة حين يلتصق قلبه بقلبي (١٢)

هي: بعد أن استعرضتهم جميعهم
فإن دوموزي هو الذي دعوته
ليصبح إلّه البلاد
دوموزي المفضل لدى إنليل

(*) الأرقام الواردة في نهاية كل مقطع تشير إلى رقم النص الذي يحتوي عليها.

والذي كانت تميل إليه أمي
وكان أبي يشيد به! (١٦)

ب ـ فترة الخطوبة

هي: جارتنا أتت حتى بوابة أمي
وسوف أركض إليها بلهفة!
إنها أتت حتى بوابة أمي
وسوف تتحدث إلى أمي لمصلحتك
جارتنا سوف ترش الأرضية لاستقبالك
بيتها يفوح طيباً
وكلماتها تقطّر الفرح،
«سيدي» قالت هو جدير بالحضن المقدس:
دوموزي جدير بالحضن المقدس
سوف يصبح صهر نانّا (١٣).

المجموعة: أيها الأخ لنا أنت صهر لأبينا
أنت الصهر الأكثر امتيازاً
أنت قائد السفينة، أنت سائق العربة (١٧)

هي: (متابعةً أقوال المجموعة في توجهها إلى دوموزي):
قدومك يبعثُ الحياة
قدومك إلى البيت، يحمل الكثرة
النوم بقربك منتهى سعادتي (١٧)

هي: (متوجهة إلى مجموعة المرافقات):
[رددن على مسامعي، رددن أرجوكن]

فرجي، أنا الصبية من سيحرثه لي؟
فرجي أنا، هذه التلّة المتفخة
هذه الأرض الرطبة التي هي أنا
أنا الملكة، من الذي سيضع فيّ
ثيرانه للحراثة؟

المجموعة: إنه الملك الذي سوف يحرثك
الملك دوموزي الذي سوف يحرثك
الملك دوموزي هو الذي سوف يحرثك

هي: احرث إذن فرجي يا رجل قلبي (١٦)
[أحرث إذن فرجي]

هي: (حالمة):
عندما سأستحمّ من أجل الملك، من أجل الإلّه
وعندما من أجل الراعي دوموزي سأستحم.
عندما أدهن شفتي بالمرهم العنبري
وأضع الكحل حول عيني
وعندما ستضغط يداه الساحرتان على قَطَني
وبعد أن يعمد الإلّه الراعي دوموزي
المضطجع بقربي، إلى دعك ثديي اللبني والطلي
وعندما سينقل يده إلى فرجي المقدس
ومثل سفينته الداكنة، عندما [سيقسو]
وعندما مثل سفينته المشوقة،
سوف ينقل الحياة إلى فرجي
[سوف أقول له وأكرر]

أنت خلقت لكي تلتصق بقوة على حضني،
إنانا تحبك وأنت مفضّل أمها (٢٨)

ج ـ زيارة الخطيب وهداياه

المجموعة: (متحدثة عن قدوم دوموزي):
قدومك يبعث الحياة
قدومك إلى البيت يحمل الكثرة! (١٧)

الأم (متوجهة إلى إنانا):
هيّا أيتها الصبية، إنه من أجلك مثل أب!
هيا أيتها الصبية، إنه من أجلك مثل أم!
أمه تُعزّك كما تُعزّك والدتك
وأبوه يعزّك كما يعزّك والدك...
إفتحي له إذن بيتك يا ملكتي
إفتحي له بيتك (١٢)

المجموعة (تتابع وصف المشهد):
استحمت إنانا ودلّكت جسدها بدهون ناعمة،
لبست الرداء الملكي الكريم
وضعت حول عنقها عقداً من اللازورد
وبعد ذلك انتظرت إنانا بلهفة
عند ذلك فتح دوموزي الباب
ودخل إلى البيت مثل شعاع قمر
فتأمل (إنانا) وهو يشعر بفرح عظيم
شدّها إلى صدره وقبلها (١٢)

دوموزي: يا أختاه، انظري ما جلبته مما يلائم عين قلبك
وفقاً لقلبك، لقلبك الحبيب
انظري ما جلبت.
أتيت بالأطايب بكمياتٍ من أجلك،
يا أختاه، يا نور الكواكب ويا بهجة
أمها التي ولدتها
انظري إلى ما جلبته من أجلك.
انظري يا أختاه، ما أتيت به إليك (٢١)

د ـ اللقاءات السرية

هي (متوجهة إلى تابعاتها):
إنّه التحق بي، التحق بي:
الملك صديق آن التحق بي!
الملك أمسك بيده يدي
حبيبي الراعي قبلني (١٣)

هي (متوجهة إلى دوموزي):
هيّا، أيها الراعي دعني: يجب أن أعود إلى بيتنا
دعني يا صديق إنليل يجب أن أعود إلى بيتنا
أية كذبة سوف أرويها لأمي؟

دوموزي: قولي لها: صديقتي كانت تمرح معي في الساحة
رقصت حولي على وقع الطبلة
وغنّت لي الأناشيد العَذبة
قولي لها: هكذا قضيت الوقت

أتذوق حلاوة اللذة!
بينما نحن سوف نسترسل لشهوتنا
على ضوء القمر.
سوف أحل لك شعرك وأمضي معك
أجمل اللحظات (١٣)

هـ ـ سحب المزلاج

هي: أي صهرنا، عندما يغيب النهار
أي صهرنا، عندما يأتي الليل
عندما سيدخل «القمر» بيتنا
سوف أطفىء النجوم على مساراتها
وعندما أطفىء القمر في الأعالي
سوف أسحب المزلاج من أجلك (١٩)
يا ذا الشعر الكثيف، يا ذا الشعر الكثيف، أنت لي
يا حبيبي، يا ذا الشعر الكثيف، أنت لي
يا ذا الشعر الكثيف مثل نخلة، أنت لي
شدّه على حضننا يا حبيبي
يا أسدي ذا اللبدة الكثيفة
شدّها على حضننا، يا أخي
يا ذا الوجه الجميل!
أنت في نظري تمثال ذهب حقيقي
أنت تحفة فنان.
كنْ يا حبيبي، ملكيةً مولدة لأيام سعيدة!
كنْ عيداً يجعل الوجوه مشرقة!

يا مفضّل إنليل، أنت لي! (١٩)
تعال قربي في الليل!
ابق معي الليل بكامله!
تعال قربي في النهار!
ابقَ معي النهار كله.
فليمهد لك إلّهك الطريق (١٩)

و ـ الفراش المخصب/ فراش العرس

الشاعر: في معبد بيت السماء، أعدّ «لابسو الكتان»
من أجله هيكلاً.
وُضع عليه الماء والخبز، من أجل الملك

لابسو الكتان (يتوجّهون إلى دوموزي الملك):
خذ راحتك في القصر، أي دوموزي!
أنت الذي تتألق في القصر وفي البلاد،
إنانا الجميلة، التي هي زينتك، زينتك
إنانا الجليلة التي هي لباسك
اقترب منها سيدي، بعد أن قدمت إلى هنا!
تقدّم منها مردداً نشيداً يسلب الروح!

إنانا (متوجّهة إلى دوموزي):
أيها الثور الوحشي! حياة البلاد،
سوف أمنح الحياة لشعبك

دوموزي: صدرك يا إينّين هو حقل
أي إنانا صدرك هو حقل
حقل متسع ينتج الزروع

حقل فسيح يسكب الحبوب (١٥)

الشاعر (متوجّهاً إلى إنانا):

في المعبد الأبدي، المعلق في السماء مثل غمام،
من أجلك وفي الحرم الكبير،
أعد لك الإلّه فراشاً مُخصباً
من أجلك أنتِ المعدّة لأن تصبحي ملكة
أقام الإلّه هيكلاً (٢٧)

المجموعة: إنه يتوق إليه، يتوق إليه، يتوق إلى الفراش.
يتوق إلى الفراش الذي يجعله يتذوّق طلاوة الحِجْر
يتوق إلى الفراش.
ولجعل هذا الفراش، فراش الملكة أكثر طراوة
أعد له الملك غطاءً من أجلها (٢٧)

مساعِدة إنانا (متوجّهة إلى إنانا):

الإلّه الذي دعوته إلى قلبك
الملك قرينك الحبيب
فليركن طويلاً على صدرك الجذّاب
[امنحيه الخصب والكثرة في كل شيء]
ولتكن له في القصر حياة مديدة (٢٧)

المساعدة (متوجّهة إلى دوموزي):

أمّا مليكتي، ملكة السماء والأرض
سيدة السماء والأرض
فلتُطِل بقاءها خلال أيام عديدة،
على حضنك، أي دوموزي!

المجموعة: باعتزاز توجّه الملك نحو الحجر المقدس
وبفخرٍ اقترب من حجر إنانا المقدس
وبكل فخرٍ حين وصل إليه
أخذها بين ذراعيه
أخذ بين ذراعيه غانية آن (٢٧)

ز ـ في الحظيرة

دوموزي (متوجّهاً إلى إنانا حين تدخل الحظيرة):
يا للنغم العذب ـ مثل صوت بقرة
يا للصدى العذب، مثل صوت عجل
أي إنانا، أنت تطوفين في الحظيرة،
ما أن تصلي إليها أيتها الصبية،
حتى تُسْمِعُ المخضّة نغمها أي إنانا
سوف أجعل نغم المخضّة يتردّد من أجلك
علّني أنقل الفرح إلى قلب إنانا.
عندما ستدخلين الحظيرة،
الحظيرة يا إنانا سوف تتهلّل أمامك
والنعجات الوفيات، سوف تنشر
صوفها أمامك
لكي يتمكن دوموزي «قرينك»
من التأوّه لذّة على حضنك
وعندما تنثر الحظيرة القشدة
على الأرض من أجلك

سوف أنضح القشدة، سوف أنضح اللبن
وسوف أُبهج روحك أي إنانا! (١٨)
أي إينّين، أنت التي تنشرين العذوبة
هذا ما سيفرح روحك أي إنانا!
أنت هي قرينتي، النعجة التي تعتني
حنونةً بحملانها هي أنت! (٣٤)

إنانا: أيها الثور الوحشي، دوموزي
قدّم لي اللبن الدّسم
أريد شرب اللبن طازجاً من يدك.
في وسط الحظيرة. دَفّق من أجلي
لبن ماعزك
املأ مخضتي المقدسة
أريد أن أشرب معك اللبن الطازج
أي دوموزي (١٦)

ح ـ اليوم المنتظر

إنانا: (تحدث مرافقاتها عن استعداداتها):
استحممتُ واغتسلتُ
استحممتُ في البركة المتلألئة
واغتسلتُ في الحوض الأبيض
وفي الحوض دلّكت جسدي بالدهون
ثم اكتسيتُ بردائي الملكي
رداء ملكة السماء.

زينتُ بالكحل عينيّ، مشّطت خصل شعري.
أنا أعرف المشبك ودبوس الشعر
اللذين يعجبانه،
لبستُ في معصمي أساور الفضة
كما ربطت حول عنقي عقداً من اللآلىء (٢١)

إنانا: (تصدر التعليمات إلى تابعاتها):
عندما يعود أخي من القصر
فليعزف الموسيقيون من أجله
وأنا سوف أسكب له الخمر
وبذلك سوف يبتهج قلبه
وسوف تملأ قلبه السعادة!
أخضرن، أحضرن، القشدة
كثيفة والجعة مثملة! (٢١)

إنانا: (نحو مرافقاتها):
آه، كم هو منتفخ صدري
وأية فروة كست فرجي
لنكن سعيدات: أنا ألتحق
بحضن حبيبي، سيد الكرم والجود!
أرقصن ارقصن، جميعكن،
قسماً [بقلوب العاشقين]
لنكن مبتهجات من أجل فرجي
أرقصن أرقصن جميعكن
أخضرن، أخضرن القشدة كثيفة

والجعة مثملة! (٢١)

إنانا: (بعد اللقاء):

أدخلني إليها! أدخلني إليها

أدخلني أخي إلى حديقته

دوموزي أدخلني إلى حديقته

المجموعة: وبمجرد أن تدفق من حضن الملك ماء ـ القلب

فعلى جوانبه انبثقت الزروع

وعلى جوانبه نبت الحَبّ.

وبقربه زخرت بنمو نباتها السهوب والمروج

بينما في بيت الحياة، في القصر الملكي

سكنت قرينته إلى جانبه

تملأ قلبها البهجة

في بيت الحياة، في القصر الملكي

بقيت إنانا إلى جانبه

مكتملة البهجة! (١٦)

ك ـ الرجل العسل وشراب الساقية

إنانا: (إلى دوموزي):

أيها الرجل ـ العسل! الفاتن

الذي يغمرني بالحلاوة إلى الأبد

أيها الإلّه الأكثر سحراً بين الآلهة

يا حبيب ـ أمّه، أنت لي!

أنت ذو اليدين الناعمتين

أغمرني بحنوك إلى الأبد.
أنت الذي بحيوية وإقدام
سحرت لي سُرّتي
يا حبيب ـ أمه، أنت لي! (٢٠)

إنانا: يا حبيبي، أيها الغالي على قلبي،
اللذة التي تمنحها حلوة كالعسل
يا أسدي، أيها الغالي على قلبي
اللذة التي تمنحها حلوة كالعسل
أنت فتنتني: ها أنذا
أرتجفُ كليةً أمامك
رغبتي يا حبيبي أن تحملني إلى غرفتك
أنت فتنتني، ها أنذا أرتجف كلية أمامك
دعني يا عشيقي أمنحك ملاطفاتي!
يا ذا الحلاوة، يا حبيبي
أريد أن أُغمرَ بعسلك
في الحجيرة التي تطفح عسلاً
دعنا نتمتع بجمالك الرائع!
أي أسدي، دعني أمنحك ملامساتي
يا ذا الحلاوة يا حبيبي، أريد أن أنغمر بعسلك
أنت حققت معي متعتك يا حبيبي
أخبر إذن بذلك أمك:
لتقدم لك الأطايب.
وقل ذلك لأبيك يقدم لك الهدايا.

روحك! أنا أعرف كيف أبهج لك روحك
بتْ عندنا يا حبيبي حتّى مطلع الفجر!
قلبك! أنا أعرف كيف أمدد لك قلبك
بتْ عندنا يا أسدي حتى مطلع الفجر
هذه الركنة الكنينة الحلوة كالعسل،
ضعْ يدك عليها أتوسل إليك
ضعْ يدك عليها ثم أغلقها مثل كأس
امنحني ملامساتك، أرجوك يا أسدي! (٣٠)

الحبيبة: عذب يا إلَهي هو شراب الساقية!
فرجها هو كالشراب، فرجها عذب كشراب!
فرجها وشفتاها عذبة كشراب!
وشرابها فائق الحلاوة
فائق الحلاوة شرابها! (٣١)
أي حبيبي، أنت الذي منحتني نعمك!
أنت الذي منحتني نعمَ جسدِك،
أنت لي!
أنت مليكي وإلَه البلاد أنت (٣١)

المجموعة: إلَهنا هو أنت، أنت إلَهنا
أنت سيدنا، فضتنا ولازوردنا
أنت فلاحنا الذي يجعل الحَبَّ
ينبت من أجلنا! (٣٢)

الحبيبة: إنه حلاوة عيوني و [زينة] قلبي
فليشرق من أجله يوم ـ حياة،

من أجل حبيبي الذي هو لي! (٣٢)

المجموعة: بعد أن أُعدّ الفراش المخصب
تم تحميم مليكتي جنباً إلى جنب
بجوار الملك،
نُثر على أرضية القاعة زيت الأرز ذو الأريج
ثمّ تقدم الملك باعتزاز من الحِجْر المقدس
التحقَ مظفراً بحضن إنانا
ضاجعها دوموزي
متلمساً برقة صدرها الجميل!
وبعد أن استقرّت الملكة
طويلاً على حضن الملك
تمتمت: حبيبي، نعم
سوف أمدد حياتك! (٣٣)

المجموعة: دخل برفقتها إلى قصره الجليل
ومثل ضوء النهار، قادها إلى العرش
على المنصّة السامية.
وأقام من أجلها عيداً رائعاً
وعلى وقع الطبل ونغم القيثارة ذات الموسيقى
العذبة التي تسحر القصر،
وعلى نغم الرباب المهدِّىء لقلب البشر
[أمر الملك]:
أيها المنشدون، أسمعونا أنغام البَهْجة! (٣٣)

ل ـ الحب والضياع

الحبيب: آه يا نزوتي، يا نزوتي المسيطرة!
آه يا آسرتي، يا آسرتي، يا مالكتي!
أنتِ خمري المبهج، يا أحلى عسلي!
يا فم ـ أمها الطلي، يا طليتي!
نظرة عينيك تسحرني: تعالي يا أختي الحبيبة
كلمات الاستقبال على شفتيك
تحرّك مشاعري، يا فم ـ أمها الطلّي، يا طليّتي!
قبلات فمك تهزّني: تعالي يا أختي الحبيبة
رشاقتك في دارك تحرك عواطفي
يا فم ـ أمها الطلّي، يا طليّتي! (٢٥)

الحبيبة: يا ابن الملوك، أي أخي، يا ذا الوجه الجميل
أنقذت لك حياتك، خارج أسوار المدينة، أي أخي!
ولكن، ها أنت أصبحت هدفاً لمصير في منتهى القساوة
آه يا حبيب قلبي
أنا التي بدون شك سبّبت لك هذا المصير القاسي
يا أخي يا ذا الوجه الجميل
لقد وضعت يدك اليمنى على فرجي
وكانت يدرك اليسرى تداعب شعري
وفمك كان يضغط على فمي
وعلى فمك انضغطت شفتاي:
ولهذا السبب أصبحت هدفاً لمصيرِ
في منتهى القساوة.

هذا ما سيكون يا ملتهم النساء
يا أخي، يا ذا الوجه الجميل!
كم كان إغراؤك عذباً، يا حامل أزهاري
يا حامل أزهاري.
إغراؤك كان عذباً، يا حامل ثماري
يا دوموزي، كم كان إغراؤك عذباً! (٢٥)

المحتويات

هذا هو الكتاب الأوّل من مجموعة «ديوان الأساطير» التي تصدر تباعاً، وتتضمّن النصوص القديمة الأسطورية والبطولية الأدبيّة، منذ بدايات الحضارة،في كل من بلاد الرافدين والساحل الكنعاني ووادي النيل وغيرها من المراكز الحضارية في عالمنا، والتي كشفت عنها التّنقيبات الأثريّة، وشغلت الباحثين في مختلف أنحاء العالم الغربي، ولا تزال تشغلهم، منذ أكثر من قرن.

تشمل الكتب الأربعة الأولى النّصوص السّومرية والأكاديّة والآشوريّة. ويُختصّ هذا الكتاب الأوّل بنصوص الخصب والإخصاب، أو كما يقول الشعراء السومريون «بمنيّ السماء»، يخصب الأرض و«بماء القلب»، يخصب الأرحام. وعن خصوبة البلاد وخصوبة المرأة، ينقل إلينا هذا الكتاب، أجمل أناشيد الحب والجنس مما يشكل مجموعة أمكن تسميتها «بنشيد الأنشاد السّومري». وهذا مما اقتضى تضمينَ هذا الكتاب دراسةً هي الأولى من نوعها في اللغة العربية عن أصول نشيد الأنشاد التّوراتي.

إنّه مشروعٌ يقدّم للقارىء العربي ذخيرةً ثقافيّة فريدة ـــ جماليّاً، ومعرفيّاً، وتاريخيّاً.

ISBN 1 85516 556 2

